اعداد مكتبة الروضة الحيدرية

المكتبة الرقمية

الرسائل الجامعية

الاستشراق الامريكي والسيرة النبوية (ارفنج) انموذجا

رسالة تقدم بها الطالب

سامي احمد الزهو

الى مجلس كلية التربية - جامعة تكريت

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في

التاريخ الإسلامي

إشراف

الاستاذ الدكتور

عبد الجبار ناجي

١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

قل ياأهل الكِتابِ تَعالَوا الى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَينَنا وَبَينَكُم أَلّا نَعبُدَ إِلّا اللهَ ولا نُشرِكَ بِهِ شَيئاً ولا يَتخِذَ بَعضُنا بَعضاً أَرباباً مِن دونِ اللهِ فإِن تَولَوا فَقولوا أَشهَدوا بأنّا مُسلِمونْ ۞

صدق الله العظيم

سورة آل عمران اية٦٤

إقرار المشرف

اشهد بان إعداد هذه الرسالة تم تحت إشرافي في جامعة تكريت وهي جزء من متطلبات شهادة ماجستير / آداب في التاريخ الاسلامي.

التوقيع:
الاسم: أ.د. عبد الجبار ناجي
التاريخ: / / ٢٠٠٤

اقرار المقوم اللغوي

اشهد ان هذه الرسالة تمت مراجعتها من الناحية اللغوية وبذلك اصبحت مؤهلة للمناقشة بقدر تعلق الامر بسلامة الاسلوب وصحة التعبير.

التوقيع:
الاسم: أ.د. صالح علي حسين
التاريخ: / / ٢٠٠٤

رئيس القسم

بناءاً على التوصيات المقدمة من قبل المشرف والمقوم اللغوي ارشح الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

الاسم: أ . م . د. محمود عبد الواحد القيسي

رئيس قسم التاريخ

التاريخ: / / ٢٠٠٤

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة بأننا قد اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة (الاستشراق الامريكي والسيرة النبوية " ارفنج نموذجاً ") للطالب سامي احمد زهو الدوري وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة فوجدنا إنها جديرة بالقبول لنيل شهادة ماجستير / في التاريخ الإسلامي بتقدير (جيد جداً) .

التوقيع:

الاسم : أ.م. د. طلب صبار محل

عضواً

التاريخ: / / ٢٠٠٤

التوقيع:

الاسم :أ.م. د. محمود عباد الجبوري

عضواً

التاريخ: / / ٢٠٠٤

التوقيع:

الاســـم : أ . د. عبـــد الجبـــار نـــاجي

عضواً و مشرفاً

التاريخ: / / ٢٠٠٤

التوقيع:

الاسم : أ. د. مرتضى حسن النقيب

رئيساً

التاريخ: / / ٢٠٠٤

مصادقة مجلس كلية التربية

التوقيع

أ .م . د. علي صالح حسين

عميد كلية التربية

التاريخ : / / ٢٠٠٤

الاهداء

اهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع لكل من ضحى بدمه من اجل ان تبقى راية الحق عالية.

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والثناء والشكر لله ، يسعدني ان استهل بحثي هذا بكلمات الوفاء والشكر وعظيم الامتنان لكل من آزرني وقدم لي العون والدعم العلمي . واخص في المقدمة استاذي الفاضل الدكتور عبد الجبار ناجي ، المشرف على هذه الرسالة، والتي تحمل معي معاناة الفترة الطويلة بحرص وصبر لا حدود له ، وقدم لي الكثير من بحر علمه الواسع ، وملاحظاته الدقيقة ، وتوجيهاته العلمية السديدة ، ونقده المخلص ، فله عميق اعتزازي وتقديري .

عرفان الجميل ووافر التقدير والثناء لأساتذتي الكرام الاجلاء في السنة التحضيرية ، الذين لم يبخلوا علي بعطائهم وعلمهم واخص بالذكر منهم المرحوم الاستاذ الدكتور ابراهيم الدوري.

ولابد ان اعترف بكل معاني الاعتزاز والتقدير للاستاذ الدكتور جزيل الجومرد والدكتور ناصر الملا جاسم لمتابعتهما المستمرة وتشجيعهما لي ، جزيل الشكر والثناء للدكتور محمود عبد الواحد لمساعدته العلمية في توضيح بعض الجوانب الخاصة بالبحث ، كما اسجل اعتزازي وفائق شكري وثنائي للدكتور خالد محمود.

خالص الشكر والتقدير العميق لموظفي مكتبة الدور العامة ، والعاملين في مكتبة قسم التاريخ في كلية التربية/جامعة تكريت.والى كل من اسهم في تقديم المساعدة الصادقة في إغناء البحث والامتنان العميق والثناء الجميل.وفقهم الله جميعا وجزاهم خير الجزاء.

الباحث

الخلاصة والاستنتاجات

كان لتاريخ الولايات المتحدة الامريكية القصير نسبيا قياسا الى تاريخ الدول الاخرى خصوصية يختلف بها عن غيره في النشوء والتكوين والارتقاء المادي والمعنوي.فالهجرات المتعاقبة والمتباينة الدوافع والدواعي والمختلفة في الأجناس والانواع قد هيأت مزيجا بشريا تحت مظلة قاعدة واحدة آمن بها الجميع هي (اشق او مت) كونت مجتمعا لا يؤمن الا بالقوة والفردية والمنافسة .التي انتجت حروبا وصراعات دموية أوصلت الجميع الى قناعة الاتحاد والحرية في الجانب السياسي والاقتصاد الحر في الجانب الاقتصادي ،ومن ثم الاعتزاز والفخر على المستوى الاجتماعي .

هذه الاسس الثلاث قد عبر عنها رجل الادب والفكر بما استعاره من مفاهيم دينية، بأن هذا العالم الجديد هو الامة المختارة .فاضحت المحورية الامريكية وريثة شرعية وبديلا للمحورية الاوربية ،بل رافضة لنظرة الازدراء والدونية التي تعامل بها الاوربيون معهم وخاصة الانكليز .

ولاشك ان موضوع بحثنا الاستشراق الامريكي يمثل هذا التزاوج بين التراث الفكري للمهاجرين ومعاناتهم التي دامت اكثر من قرنين ، والارض الجديدة مع سكانها الاصليين الذين قبلوا مقهورين مستسلمين لارادة القوة.مضافا لهم العبيد الذين جلبوا من مجاهل افريقيا .

وقد كان ارفنج نموذجا صادقا لتلك التجربة المريرة حيث اخذ اسم البطل القومي الذي استطاع ان يحقق لبلاده الاستقلال ويمنحها كيانا قوميا جديدا مازالوا يفاخرون به.فكانت ولادة واشنطن ارفنج عام ١٧٨٣م الذي سمي بعام السلم ، وكانت رحلاته الى إنكلترا الوطن الام ،كذلك تجواله في مدن اوربا قد فتحت امامه افاق عريضة في التعرف على الكثير من الشخصيات الادبية والتاريخية والفنية ،وبلورة افكاره وطموحاته الادبية حتى اوصلته الى نيل الكثير من الالقاب منها(رائد الادب الامريكي)و(بطل القصة القصيرة)و(سفير العالم الجديد الى العالم القديم) والاهم من ذلك ففي سنة ١٨٢٦م وقع الاختيار عليه ليترجم حياة كرستوفر كولمبس المواطن الامريكي الاول ،وهذا الاختيار كان له وقع كبير في نفس ارفنج لما حقق

لـه ما كان يحلم بـه علـى بعدين ،الاول ؛انقذه من سني الفاقة والعوز .والثاني ؛فتح امامه افاق الكتابة والاستقرار .

ويندفع ارفنج من اسبانيا حيث مقره في القنصلية الامريكية بكل نشاط ونهم لقراءة الكتب وملازمة المكتبات العامة والخاصة طالت لسنوات ثلاث خرج منها بحصيلة كتابين (ترجمة حياة كولمبس)و(رفاق كولمبس)،وليس هذا فحسب بل حقق منعطفا كبيرا بعد ان اطلع على كتب التاريخ العربي الاسلامي غيّر مجرى حياته الادبية ، اذ وجد فيها ضالته التي مابرح ينشدها في البحث عن الابطال والرجال الخالدين في التاريخ.والذي شده الى ذلك ما شاهده في الاندلس من اثار عظيمة دفعت به للتخلي عن متابعة كتاباته عن كولمبس وتوجهه الى كتابة تاريخ تلك الصروح التي لم تغير فقط توجهاته الادبية بل حتى اسلوبه في الكتابه حيث جاء باسلوب جديد مزج فيه بين الرومانسية والتاريخ .

وشرع في الكتابة عن غرناطة فخرج منها باعجاب ملأ مخيلته، بما فيها من روايات جددت فيه العزم لمواصلة تقصيه لذلك التاريخ العجيب.وقد كان كتابه قصر الحمراء سنة ١٨٢٨م السبب في شهرته الاوربية والامريكية على حد سواء.ولم يتوقف عند هذا الحد بل اندفع باحثا عن العقيدة التي كانت وراء هذه الامة العملاقة التي ظهرت من عمق الصحراء لتقلب امبروطوريات الارض حسب وصفه وجاءت الى هذه المنطقة وعمرتها بسواعد لا تعرف الكلل والملل.لذا فانها تستحقها بجدارة كما ذكر في كتابه قصر الحمراء.فوجد في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم مايفوق عظماء اوربا حيث لقبه (عملاق الصحراء) في كتابه حياة محمد الذي من خلاله فتح لامريكا باب الاستشراق ، مسجلا لنفسه ريادة الاستشراق الامريكي .

ومع كل ذلك لم يكن طريقه هذا خاليا من الوعورة والمصاعب رغم شغفه به،والسبب في ذلك يعود لعدم معرفته اللغة العربية مما ابعده عن الاطلاع وبشكل مباشر على المصادر الاصيلة واكتفى بترجمة (جان جانيه)لكتاب (مختصر تاريخ الدول)لـ (ابو الفداء).وكذلك مؤلفات جيبون وخاصة (ظهور وسقوط الامبروطورية الرومانية) ،واستعان ايضا بكتب بريدو ،اوكلي ،بوكوك ،سيل ،بركهارت وغيرهم .وهذه المؤلفات سلكت بتلك الذهنية المتحررة نوعا من رواسب العصور الوسطى

والرافضة للتقليد مسلكا انحرف به عن الوصول الى الحقيقة ،واظهرت في كتاباته الارتباك والقلق وكثرة الافتراض والشك ،حتى كان ذلك سببا في رفض (موراي)(Murry) مدير مطبعة النشر في انكلترا مسودة كتابه (حياة محمد) عندما قدمها للنشر بعد ان اصبح ممثلا للقنصلية البريطانية في لندن. اذ اكد لارفنج بان فصوله مفككة وغير صالحة للنشر ،مما اضطرارفنج للاستمرار في البحث والتقصي عن المصادر والكتب التي تهم موضوعه حتى اصبح لديه مكتبة شرقية تضم انواع الكتب المعاصرة والقديمة ،بالاضافة الى طلبه المساعدة من اصدقائه الذين لهم باع في الكتابات التاريخية.ولم يستطع انجاز كتابه ونشره الا في سنة ١٨٤٩م ،بعد ان قضى فيه ما يقارب الخمسة والعشرون عاما من عمره.وفي نيويورك حيث اختار له بيتا منعزلا اسماه(Sunny Side)(الجانب المشمس).

فقد ظهر كتابه يحمل التوجهات الجديدة لعصره مع رفضه لكثير من الثوابت اللاهوتية ،وقد سجل في مقدمة كتابه انه خالي من العمق والجدة ،لذا وصفه بانه عمل مقدم للمكتبة البيتية.

ويبدو انه قد سجل ذلك اعترافا منه بعدم وصوله الى الحقيقة التي كان ينشدها، لذا ترك المجال مفتوحا امام غيره للتحقيق والبحث عن الاخطاء التي لم يستطع أن يتجاوزها وأضطر للاعتماد على آراء غيره التي لم يؤمن بها .

ولم يفرد من المستشرقين الامريكان بعده كتابا للسيرة النبوية حتى الربع الاول من القرن العشرين.ويمكن ان يكون السبب في ذلك قلة المهتمين من الامريكان بالاستشراق في ذلك الوقت ، لما كان يشغل السياسيين والمثقفين والكتاب والادباء الامريكان مسألة واحدة وهي الاهتمام بالداخل وبناء الامة والمجتمع الجديد. و كانت أول بوادر الاستشراق الامريكي هي، ارسال لجان التنقيب في نهاية العقدين الاوليين من القرن التاسع عشر ، ومن ثم أرسال المبشرين وانشاء الجمعية الاستشراقية الامريكية كما هو الحال في بريطانيا وفرنسا والمانيا.وهنا ابتدات مرحلة جديدة من الاتصال المباشر بالشرق بعد ان كان الاعتماد على المقروء والمسموع الوافد من أوربا.وكان لذك اثرا واضحا في الاستشراق الامريكي ، اذ بقي تابعا ومقلدا للاستشراق الاوربي . ومايؤكد هذا الرأي كتابات المستشرقين الامريكان طيلة مدة

مرحلة الاستشراق التقليدي.ولم يتوسع الا من خلال كتابات المستشرقين الاوربيين الذين هاجروا الى امريكا او الذين وفدوا بعد الاعلان عن هيئة(الدفاع الوطني) وكذلك الذين طلبتهم الجامعات الامريكية لتوظيف نشاطاتهم الاستشراقية فيها ، وبشكل خاص بعد الحرب العالمية الثانية لانحسار النفوذ البريطاني عن العالم العربي والاسلامي وتلاشي امبروطوريتها فاسحة المجال امام الهيمنة الامريكية ، حيث اصبح لامريكا مكانة خاصة بين الدول العظمى بعد ان ملأت فراغا لم يستطع احد من الدول الاوربية ان يشغله غيرها.لذا وجدت امريكا نفسها امام حاجة ماسة الى المستشرقين الذين لديهم المعلومات الكافية بلغات وعادات وثقافات واديان مناطق الشرق ،العربية منها خاصة.لذلك فتحت المجال امام المستشرقين الاوربيين للعمل في امريكا. مما دفع بالكثيرين منهم للمجيء الى امريكا وحتى التجنس بالجنسية الامريكية.ومن أبرز الذين استدعتهم ، هاملتون جب ، الذي اسس مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة هارفارد ، وجوستاف فون كرونباوم الذي قام بتأسيس مركز دراسات الشرق الاوسط في جامعة كاليفورنيا ،كما استقدمت فيليب حتي لتأسيس مركز دراسات الشرق الادنى .

ويبدو من ذلك أن الاستشراق الامريكي وتطوره واتساعه وزيادة عدد العاملين فيه تابعا وبشكل اساسي لاتساع مصالح الولايات المتحدة في البلاد العربية والاسلامية.وهذا يرجح رأي القائلين بأن الاستشراق السياسي والديني هما من توابع الدولة التي لها توجهات توسعية واستعمارية، وكلما زاد التوسع زادت معه الحاجة الى المستشرقين .

وبعد منتصف القرن العشرين ظهرت اصوات في أوربا وامريكا تنادي بمزيد من التخصص في الدراسات العربية والاسلامية،وان هذه الدراسات لايمكن ان تخضع لمجال واحد.وكان من تاثير ذلك ان اصبحت الدراسات العربية الاسلامية تتم من خلال ثمانية عشر قسما علميا في جامعة (بيركلي) بكاليفورنيا يتم التنسيق فيما بينها من خلال معهد دراسات الشرق الاوسط.ولذلك فان المستشرقين اجتمعوا في المؤتمر العالمي للاستشراق الذي عقد في باريس عام ١٩٧٣م وفي هذا المؤتمر تم التصويت على الغاء اسم الاستشراق واطلق على هذه المؤتمرات منذ ذلك الحين (المؤتمر

العالمي للعلوم الانسانية حول اسيا وشمال افريقيا)وبعد مؤتمرين تم تعديل الاسم مرة اخرى ليصبح (المؤتمر العالمي للدراسات الاسيوية وشمال افريقيا)وقد عقد المؤتمر الخامس والثلاثون في بودابست سنة ١٩٩٧م .وقد بدت القيادة لهذا المؤتمر بيد الولايات المتحدة على الرغم من ان استشراقها جاء تابعا لغيره من الدول الاوربية ،الا ان امكاناتها العسكرية والتكنولوجية والصناعية ومصالحها المتشعبة في دول الشرق قد فاقت غيرها مما دفع بها الى موقع الصدارة في الاستشراق وادارة مؤتمراته.وهذا ايضا يدعم موقف الذين يؤمنون بالترابط بين المعرفة والقوة.وفي النهاية تبرز الكثير من الدروس والعبر التي يمكن ان نستخلصها من هذه الدراسات والجهود الضخمة التي بذلها ويبذلها الغرب وامريكا في التعرف على ثقافة وتاريخ ودين وطوائف الشعب العربي والاسلامي.و يمكن ان نعرف مدى سعة و كثافة نتاج الاستشراق اذا لاحظنا انه نشر في الغرب وامريكا اكثر من (٦٠) الف كتاب في قرن ونصف (١٨٠٠-١٩٥٠م) مما يعنى بالشرق العربي وحده.هذا زيادة عن (٤١٤٧٠)مقالة وبحث نشرت حول الاسلام في الدوريات الغربية ،منذ مطلع القرن الحالي في حوالي (الستين)سنة ما بين ١٩٠٦-١٩٦٥م .

ومن اهم هذه الدروس :

١- كان للعامل الديني اثر واضح في قيام المستوطنات الجديدة مما يؤكد احتفاظ المهاجرين الى العالم الجديد بالموروث اللاهوتي من افكار وفلسفات انعكست بشكل مباشر على الاستشراق الامريكي وبشكل خاص نظرتهم الى الاسلام ونبيه(ﷺ) .

٢- ان حالة الاضطهاد والاستعباد والاستعلاء الذي مارسته بريطانيا اتجاه المستوطنات الامريكية له اثره في توجهات الاستشراق الامريكي ،وكان ذلك واضحا في محاولة المستشرقين الامريكان تجسيد المحورية الامريكية على غرار المحورية الاوربية ،واظهارهم ان الولايات المتحدة هي وريثة الشرق والغرب.

٣- اخفاقات ارفنج في الوصول الى دراسة منصفة وغير منحازة بسبب كونه متأثرا بالثقافة الاوربية وعدم معرفته اللغة العربية ،وانه لم يكن اكاديميا بل كان اديبا وروائيا .

٤-ان المستشرقين قد تركوا تراثا ضخما تراكم عبر قرون من المعرفة حول الاسلام والتاريخ العربي الاسلامي معتمدين على اثارنا المعرفية و العلمية كتبا ومخطوطات استطاعوا الاستحواذ عليها من خلال تواجدهم عبر لجان التبشير او التنقيب او السيطرة المباشرة.وقد عملوا على دراسته و تحقيقه وترجمته ونشره وتصنيفه. واوقفوا لذالك مواهبهم ومناهجهم ومميزاتهم،متخذين لذالك المعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات حتى بلغ كما يذكر العقيقي مبلغا عظيما من العمق والشمول والطرافة واصبح جزءا لاينفصل عن تراثنا، ولاتؤرخ الحضارة الانسانية الا به.فاصبحنا امام مسؤلية كبيرة ذات شقين ،الاول منها ؛ ان لا ننكركل تلك الجهود الجبارة ،لاننا نؤمن بان تراثنا جزءا لايتجزء من الحضارة الانسانية التي هي ملك للجميع .اما الشق الثاني؛ فيتوجب ان ناخذ ذالك التراث بحذر شديد ونعيد فيه النظر ونعمل له المعاهد والاقسام لتحقيقه ونقده بنظرة علمية تحليليه من اجل ان نتعرف على الايجابيات للافاده منها ، وكذالك التعرف على السلبيات والشبهات لتجنبها،معتمدين المنهج العلمي السليم للرد عليها من مصادرنا من خلال آراء بعضهم البعض و لتوضيح مدى التناقض بينهم ،بالاضافة الى العودة الى مصادر تراثنا الاصلية وقرائتها والاستنتاج من نصوصها الى ماوصل اليه المستشرقون .

٥- ان كان للمستشرقين الامريكيين والاوربين الحق في الاعتماد على آراء المستشرقين من ابناء جلدتهم واخذها بعين الاعتبار في تعاملهم مع الشرق ، لكن لانجد تبريرا لمؤرخينا وباحثينا في اعتمادهم على تلك الاراء والاخذ بها باعتبارها مسلمات لايرقى اليها الشك .

٦- لاشك ان هناك حقيقة يجب ان نعترف بها ونتفق على اساسها مع ادورد سعيد، بان الاستشراق في اكثر مراحله وظّف المعرفة الاستشراقية ليحولها الى قوة تمكنه من فرض سيطرته وهيمنته على غيره ويقصد بها نظرية ارنست رينان ومن بعده دي ساسي في التقسيم العرقي للعالم الشرقي والغربي.الى اري مبدع منتظم خلاق مركب ، وسامي وصفي ظاهري ناقل متخلف ،وقد بدا هذا

التوزيـع مقبـولا لعقـول كثيـرة خلطـت بـين التخلـف الاجتمـاعي وبـين التركيـب العنصري للاجناس البشرية.

المحتويات

العنوان	الصفحة
المقدمة ومسح المصادر	١-١٦
الفصل الاول: خصائص عصر المستشرق الثقافية	١٨-٦٦
المبحث الاول: العقلية الامريكية واهتماماتها واتجاهاتها	١٨-٣٠
المبحث الثاني: الاستشراق الامريكي وتوجهاته في دراسة التاريخ العربي الاسلامي	٣١-٥٢
المبحث الثالث: الاستشراق الاوربي واثره على الاستشراق الامريكي	٥٣-٦٦
الفصل الثاني:المستشرق واشنجتن ارفنج ومنهجه في الكتابة التاريخية	٦٨-١٢٠
المبحث الاول: ارفنج حياته واهتماماته	٦٨-٨٦
المبحث الثاني: مؤلفات ارفنج ومنهجه	٨٧-٩١
المبحث الثالث: كتاب حياة محمد موارده ومنهجه	٩٢-١٢٠
الفصل الثالث:اراء ارفنج وتفسيراته لعناصر اساسية في السيرة النبوية الشريفة	١٢٢-١٧١
المبحث الاول: ارفنج والنبوة والوحي	١٢٢-١٤٦
المبحث الثاني:ارفنج والقرآن الكريم	١٤٧-١٥٦
المبحث الثالث: ارفنج وموضوع زوجات الرسول (ﷺ)	١٥٧-١٧١
الخلاصة والاستنتاجات	١٧٢-١٧٨
المصادر والمراجع	١٨٠-١٩٥
ملخص الرسالة باللغة الانكليزية	١٩٦-١٩٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة–مسح المصادر

الحمد لله تعالى حق حمده والصلاة والسلام على خاتم انبيائه ورسله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وبعد.

تكونت وجهات نظر متباينة بشأن الاستشراق ،مما جعل من الصعب بمكان تحديد تعريف واضح وشامل له.ففريق يعده اسلوبا غربيا في الهيمنة والممارسة في الاستبناء و السيادة على الشرق[١]، و فريق اخر يعده جهدا متواصلا ودؤوبا ونشاطا حثيثا خدمة للعلوم الشرقية عموما والاسلامية خصوصا[٢].وهناك من يرى بان الاستشراق منذ مراحله الاولى ماهو الا انعكاس حقيقي للعلاقة بين الغرب و الشرق، لاسيما على اثر الاستكشافات الجغرافية و بروز العوامل الاقتصادية كاكتشاف اسواق للصناعات الغربية التي صارت الحاجة ملحة جدا الى تسويقها بعد تكديسها في اسواق اوروبا[٣].والاستشراق عند المستعربين من الجيل الاول يمثل الحلقة المهمة في الاتصال بين الغرب الذي كان بحاجة الى التواصل مع علوم اليونان والرومان والعلوم العربية الاسلامية، بهدف ادخال نتائجها العلمية في النهضة الاوربية الحديثة[٤].ويرى عدد من المفكرين العرب والمسلمين ان الاستشراق يعني العداء للاسلام ورسوله [٥]فلم يبق الا الاعتماد على القاسم المشترك الذي يجمع بين هذه الآراء والتفسيرات التي تبدو متقاطعة في بعض الاحيان .ان هذا القاسم المشترك

---

(١)سعيد ، ادورد ،الاستشراق ،المعرفة،السلطة،الانشاء،(ترجمة،كمال ابو ديب ،ط١،مؤسسة الابحاث العربية ،بيروت،١٩٨١)،ص ٤٣.

(٢)حتي،فليب،دراسة المشرقيات في اوربا ،(مجلة الهلال،العدد ٣٣،)١٩٨٢،ص ١٧٥.

(٣)ناجي، د. عبد الجبار ، تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ،(منشورات دار الجاحظ ،بغداد،١٩٨١)،ص٤٥.

(٤) Lewis.B. "British Comtributors to Arabic Studies"in BSOAS, 1941,P.3-7.

(٥)البهي، محمد ،الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار ،ط٥ ،(دار الفكر ،بيروت، ١٩٧٠)،ص٧٣؛الطيباوي، عبد اللطيف، المستشرقون الناطقون بالانكليزية ومدى اقترابهم من حقيقة الاسلام،(مجلة الفكر العربي ،عدد ٣٢،١٩٨٣) ،ص٨٢.

الذي يتمثل بان الاستشراق مظهر من مظاهر صلة الغرب بالشرق والممتدة لقرون طويلة مثقلة بحوادث ووقائع تاريخية تركت في الذاكرة اثارا بعناوين متعددة وصورا متعاقبة اثرت في تطور الرؤية الغربية الى الشرق و الاسلام عموما .فتنوع مراحل تلك الصلات قد انتجت تنوعا في المواقف.

ان الجذور الاساسية لولادة الاستشراق يمكن تحديدها بالمرحلة الاولى للاحتكاك بين الشرق:العرب ،الاسلام والغرب:الدولة البيزنطية ،النصرانية، وهذا التحديد يعتمد الموضوع الاساسي للاستشراق الذي يتجسد في الاسلام و نبيه(ﷺ) ،ولم يعتمد الاستخدام الرسمي لهذا المصطلح الذي ظهر في بريطانياعام (١٧٧٩م) وفي فرنسا عام(١٧٩٩م)[١] .فان قوة جيوش الاسلام وما حققته من انتصارات سريعة على الامبروطوريتين الفارسية والبيزنطية خلف ردة فعل متقاربة لدى الطرفين ، تمثلت بمحاولتهما التصدي فكريا بعد ان عجزتا عسكريا[٢].الا ان السقوط الكامل للامبراطورية الساسانية وانتشار الاسلام في جميع أجزائها قد عرقل نسبيا ذلك المشروع الذي وصف بالشعوبية و الزندقة.ان ردة فعل البيزنطنيين وبشكل خاص رجال الكنيسة لم تتوقف في محاولاتهم اظهار الاسلام بانه هرطقة(Heresy) [*] او العدو الاول للنصرانية من خلال كتاباتهم التي تكاد تكون متشابهة عند جميع الكتاب المتقدمين و المتاخرين من المستشرقين. والذي يؤيد هذا الراي ما جاء في كتابات القديس يوحنا الدمشقي (Johannes damacenus)(٦٧٥-٧٤٩م) ((ان الاسلام هرطقة وان الرسول(ﷺ) اخذ علمه من رجل من اهل الكتاب او من رجل من الهراطقة الآريوسيين.وزعم ان الرسول(ﷺ) كان قد نظر في التوراة والانجيل وانه تعلم منها وتنبأ.كما زعم ان الاسلام انتشر بحد السيف لا بالحجج والاقناع))[٣] .وهذه التفسيرات والاراء قد اثرت كثيرا على المؤلفات في العصور الوسطى والمتأخرة بشكل كامل ومتساو.وقد نسب يوحنا بن برنكيا (Johan Barpenkaye)(ت ٦٨٥م) انتصار المسلمين إلى إرادة الله وقضائه وقدره، اذ اراد الله ان يرغم انف المملكة المتغطرسة

---

[١] حميش ،سالم ،الاستشراق في افق انسداده ،منشورات المجلس القومي للثقافة العربية سلسلة الدراسات ٣،(الرباط ،المملكة المغربية ،١٩٩١)،ص٧.

[٢] الشامي،د.علي،الحركة الصليبية واثرها على الاستشراق الغربي ،(مجلة الفكر العربي،العدد٣١،١٩٨٣)،ص١٥٧.

[*] الهرطقة : الخروج عن المعتقد الرئيسي للكنيسة الكاثوليكية وتعرب بالمروق الديني ،ينظر، Encyclopedia Britannica, V,16,P.231.

[٣] .Daniel, Islam and the west(Edimburgh, Edimburgh University press ,1960),P.2-3.

الظالمة العاصية لامره بان سلط عليها قوما حفاة اكثرهم عراة ،لايملكون سلاحا يقاتلون به،ولا قوة ،فاجتاحوا الامبراطورية، و تغلبوا على اقوى محاربي العالم في ايامهم، ولم يكن لينتصر ابناء هاجر لولا قدرة الله وامره [١] .وذكر ان يوحنا الخلقدوني (John the chaleedonian) من رهبان سيناء فسر انتصار الاسلام على النصرانية وانهزام البيزنطينيين في مصر وبلاد الشام ،بانه عقاب من الرب للنصارى لابتعادهم عن دينهم القويم وخروجهم عن اوامر الرب[٢].

وتمثل المرحلة الثانية للاحتكاك بين الشرق والغرب ،مرحلة الحروب الصليبية(Crusades)١٠٩٦-١٢٩١م ومن ثم حروب الاسترداد(Reconquesta) التي جاءت تعويضا للفشل في الحملات الصليبية[٣]،وهاتان المرحلتان تعدان المركب الاول الذي اثر سلبا او ايجابا في احساس ومدارك العصور الاوربية المتتالية ،ودعما للكنيسة والبابوية في العالم النصراني اللاتيني.وقد خلفا لعامة النصارى وخاصتهم صورة سلبية جدا عن الاسلام والعرب[٤] .وبرزت ايضا في هذه الفترة الدعوة الى استبدال نهج المواجهة مرة ثانية على الاسلام بالجهد (التبشيري)[*] بدلا من المواجهة العسكرية،الذي تكلل في مجمع فينا المنعقد في (١٣١٢م)[١]وعلى اثر احتدام الصراعات النصرانية الداخلية قد اندفع المفكرون النصارى مثل (جون ويكلف)(١٣٢٠-١٣٨٤م)(J.wycliffe) الى الالحاح على ضرورة اصلاح الكنيسة

---

(١) N.Daniel, Op.Cit,P.5;R.Southern, Western Views of Islam in the midlle ages (Combridge Mass. Harvard University press ,1962),P.72

(٢) Ibid ,P.73.

(٣) هونكة ،زيغريد ،شمس العرب تسطع على الغرب ،ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ،(دار الافاق الجديدة ،بيروت ١٩٨١)،ص٢٥؛ جعيط ،هشام ،اوربا والاسلام ،ترجمة د. طلال عتريسي ،(دار الحقيقة ،بيروت ،١٩٨٠)،ص١٧-١٨.

(٤) غارودي، روجيه ،دعوة الى الاحياء ،ترجمة د. ذوقان قرقوق ،(دار دمشق ،١٩٨١)،ص١١٩.

(*) هذه المفردة لاتحمل المعنى الحقيقي للفظها ،ونفهم نحن المسلمون هذا الجهد بانه تضليل، وورودها في ثنايا البحث تماشيا مع التعريب الحرفي لكلمة (Missionary) .

(١) سذرن ،نظرة الغرب الى الاسلام في القرون الوسطى ،ترجمة د. علي فهمي و د. صلاح الدين حسن ،(دار مكتبة الفكر ،طرابلس ،١٩٧٥)،ص٧٥-٧٦.

من الداخل، واستمر هذا الهاجس لمدة طويلة، اذ اكد همفري بريدو (H.Prideaux) ذلك في كتابه (تاريخ الكنيسة الشرقية)(The History of The Eastern Church) أملا منه ان يوضح الامثلة لمخاطر الصراعات الدينية، التي كانت سببا في رفع العرب من قبل ليكونوا ادوات للرب ضدنا [٢]. ومن اهم الوجوه التي عّبرت عن خصائص هذا التحول القائم على معرفة الدين الاسلامي وتعلم لغة العرب الفيلسوف الانكليزي (روجر بيكون)(١٢١٤-١٢٩٤م) و(ريموند لول)(١٢٣٥-١٣١٦م)اللذان تبنى مجمع فينا فكرتهما ثم صارت الاساس لفهم الشرق عن طريق تأسيس كراسي للغة العربية في كثير من الدول الاوربية [٣] .

وبعد ان انتفع الاوربيون خلال عصر النهضة الاوربية من اسهامات العلماء العرب المغاربة وفي نقلهم التراث اليوناني بدأت اوربا تتنكر لذلك الدور محاولة سحب البساط والانفراد بالمكتشفات العلمية بعد ان كان العلماء العرب يمثلون الجسر الضروري الى فلسفة الاغريق وعلومه[٤] .واهم ماتميز به القرن السادس عشر ظهور الدولة القومية القوية في اوربا وانتهاء دور العرب (السراسين)[*]بانتهاء دورهم في الاندلس بعد سقوط غرناطة في نهاية القرن الخامس عشر وظهور الاتراك العثمانيين اذ اصبحت الدولة العثمانية ملجأ للاقليات المضطهدة من قبل المسيحية

---

[٢] P.M, Holt, The Treatment of Arab History by Prideaux Ockley and Sale in ,History of The near and Middle East in The University of London (London, 1962),P.299.

[٣] سذرن ،المرجع السابق ،ص٧٧ ؛ الطيباوي ،عبداللطيف ،المستشرقون الناطقون بالانكليزية و مدى اقترابهم من حقيقة الاسلام ،(الفكر العربي ،١٩٨٣،ع ٣٢)، ص٩٥.

[٤] واط ،مونتكمري ،تأثير الاسلام على اوربا في العصور الوسطى ،ترجمة ،د. عادل نجم عبو ،(جامعة الموصل ،١٩٨٢م-١٤٠٢هـ)،ص١٢٦.

[*] تحمل هذه اللفظة تحاملا على العرب ،فالمعروف ان لهذا الاستعمال دلالات وتفسيرات متعددة واحسب ان استعمال المستشرقين له كان متقصدا .فقد يراد من الاستعمال كلمة مركبة من S ara a أي ساره زوجة ابراهيم و Cene عبيد أي (عبيد ساره) يعني العرب .وقد تكون الكلمة تحريفا للشرقيين (السراسين – الشرقيين)،ويحتمل ايضا ان المراد بالكلمة السراقين (السراسين –السراكين)،راجع ناجي ،د.عبد الجبار ،تطور الاستشراق ،ص٣٩.

الكاثولوكية والارثودوسكية ،بالاضافة الى ماجرى من حروب وسفك دماء بين الدول الاوربية نفسها.كل ذلك قد خلف اوضاعا متردية وتعيسة اثرت على جميع المستويات ،مما اضطر الكثيرين للهجرة الى العالم الجديد[١]. هذه الاسباب مجتمعة دفعت المهتمين بالاستشراق الى ان يعيدوا النظر في كيفية القدرة على التاثير في من يريدون تغيير ديانتهم كما جاء في كتابات (فولني)(Volney)(١٧٥٧-١٨٢٠م) اذ يقول (لابد من التواصل مع الناس الذين نريد سبر اغوارهم، لابد من معانقة اوضاعهم ، حتى نستشعر العوامل التي تؤثر فيهم و التعلقات الناجحة عنها) [٢] .و ان كتاب فولني الذي ظهر عام ١٧٨٧م في مجلدين قد ادى خدمة كبيرة في تهيئة الحملة النابليونية على مصر عام ١٧٩٨م. وتعرض في الجزء الثاني للاسلام ،وكانت كتاباته عن الاسلام من حيث هو دين ومن حيث هو نسق من النظم السياسية ،تتسم بالتحامل ،فادى به هذا في نهاية الامر الى اعتبار الشرق الادنى[*] ليس اكثر من مكان يمكن لفرنسا ان تحقق فيه مطامعها الاستعمارية[١].

---

[١] فروخ ،عمر، التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ط٥، المكتبة العصرية،بيروت،١٩٧٣)،ص١٨٢.

[٢] فولني،رحلة الى سوريا ومصر ،ج ٣ ،(باريس،١٨٢١) ،ص ٢٩١.

[*] ظهر هذا المصطلح الاستعماري في اواخر القرن التاسع عشر ليدل على المناطق الواقعة جنوب شرق اوربا والتي كانت لا تزال تحت سيطرة الدولة العثمانية .وتعني كلمة (ادنى) مناطق الشرق الاكثر قربا لاوربا،قياسا الى المناطق البعيدة،والتي اطلق عليها الشرق الاقصى ،وسميت شرقا لكونها لا تزال تحت حكم الدولة العثمانية.وقد توسع مصطلح الشرق الادنى ليمتد نحو الشرق حيث شمل اكثر اراضي في اوربا واسيا وافريقيا.ومن الدول الواقعة ضمن هذا المصطلح:تركيا،اليونان،ايران،الاردن،فلسطين،لبنان،سوريا،دول الخليج العربي،العراق،مصر،السودان ؛ينظر، E ncyclopedia Britannica,(Shicago,1965,vol.15),P.408. ؛كذلك ينظر،لويس ،برنارد،الغرب والشرق الاوسط، ترجمة نبيل صبحي،(لاغوس،١٩٦٥)،ص ٣.

[١] يراجع ،النجار ،د.شكري ، لم الاهتمام بالاستشراق ،(مجلة الفكر العربي ،العدد ٣١، ١٩٨٣م).

كما ادى التوجه الاستعماري في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الى احتدام التنافس والصراع بين الدول الغربية بهدف السيطرة على مناطق الشرق، وعلى نحو خاص المناطق التابعة للدولة العثمانية [٢].

أن هذه الاوضاع كانت بمثابة ارضية خصبة لنمو التوجهات الاستشراقية ولاسيما مايتعلق منها بالبعثات (التبشيرية) والتنقيبية التي كانت اداة مهمة لجمع المعلومات التاريخية والاجتماعية والدينية عن تلك المناطق المراد السيطرة عليها. اذ كان دور بريطانيا وفرنسا كبيرا في تلك المرحلة .

الا ان الولايات المتحدة دخلت باب التبشير والتنقيب والتجارة مستفيدة من حالة التنافس بين الدولتين الكبيرتين اللتين تنتميان الى طائفتين متنافرتين، (البروتستانتية والكاثوليكية) ،لذا كان اطمئنان بريطانيا للمبشرين الامريكان الذين ينسجمون معها في الاتجاه الطائفي اكثر من الفرنسيين [٣].وفي ضوء ذلك نجد في هذه المرحلة ازداد عدد الذين انصرفوا لتعلم اللغة العربية والكتابة والبحث في الكثير من مواضيع التاريخ العربي اغلبها يدور حول الدين الاسلامي [١].وتعدّ هذه المرحلة مرحلة الاستشراق بالمعنى التخصصي للكلمة ،فقد اتخذ الاستشراق شكلا مؤسساتيا تجلى في تأسيس الجمعيات ،من اهمها (الجمعية الاسيوية)في باريس (١٨٢٢م)التي اصدرت (المجلة الآسيوية)(Journal Asiatique)،والجمعية الملكية الآسيوية في لندن (١٨٣٤م) والجمعية الشرقية الامريكية (١٨٤٢م)والجمعية الشرقية الالمانية

---

[٢] زقزوق ،محمود حمدي ،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري ،(الدوحة ،سلسلة كتاب الامة،١٩٨٤)،ص٨٤؛ رودنسون ،مكسيم ،جاذبية الاسلام ،١٩٨٠،ص٨٤.

[٣] التميمي ،د. عبد الملك ،الاستعمار الثقافي الغربي في منطقة الخليج العربي ،(الكويت ،١٩٨٨م)، ص٧-٩؛نوار،عبد العزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا،(القاهرة ،١٩٦٨ م)، ص ٣١٣-٣١٤؛ اخذ النشاط التبشيري الامريكي بالتصاعد في الاقسام الشمالية من العراق ولاسيما منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر خاصة بعد الاعتراف رسميا بالطائفة البروتستانتية في= =عام ١٨٤٨ كطائفة مستقلة و مساوية لبقية الطوائف المسيحية الاخرى في الامبروطورية العثمانية. lord Curzon , Central Asia , (Moslim World , Vol-15), P,194-196

[١] رودنسون ،مكسيم ،الصورة الغربية والدراسات العربية الاسلامية ،ترجمة ،د.شاكر مصطفى ،(الكويت ،١٩٨٨م)،ص٣٠-٣٥.

(١٨٤٥م)،وصاحبت هذه الجمعيات مؤتمرات للمستشرقين.وانعقد اول مؤتمر في باريس (١٨٧٣م)واخرها (١٩٧٣م)[٢]ومن اهم اعلام الاستشراق في هذا العهد (سليفستر دي ساسي)(A.I.Slivestre De sacy) (١٧٥٨-١٨٣٨م)و(جوزيف فون هامر بورجشنتال)(Purgsntall–J.Von Hammer)(١٧٧٤-١٨٥٦م)[٣].

وفضلا عما تقدم ذكره من نشاط الحركات التبشيرية والتنقيبية وارتباطاتها السياسية ، برز الى الوجود منذ مطلع القرن العشرين اتجاه جديد يتمثل بالشركات المنقبة عن النفط الذي يعد العامل الاساسي في التوجهات الاستعمارية لمناطق الشرق لما يتطلب من تهيئة معلومات كافية عن المنطقة[٤]، مما زاد الحاجة الى معرفة ودراسة احوال المناطق التي تتوفر فيها هذه المادة الحيوية، وانعكس ذلك بشكل واضح على الاعتماد على الدراسات الاستشراقية[٥]. والمهم ان الاستشراق رغم تغير اساليبه وتطور فاعليته وازدياد العاملين فيه الا انه من الناحية الفكرية ظل ضيق الافق بحيث ان مواضيعه لم تخرج عن نطاق العهود الكلاسيكية لاسيما موضوع السيرة النبوية والتراث العربي الاسلامي للتشكيك في نبوة الرسول الكريم محمد (ﷺ) والوحي والقرآن الكريم ،حتى تجذرت وتشربت تلك الافكار في العقلية الغربية والامريكية وسرت في اللاشعور الجماعي الى حد من العمق يجعلنا نتساءل -كما ذكر جعيط – فزعين ان كان من الممكن يوما اجتثاثها [١] .

والجدير ذكره ان الاستشراق الامريكي جاء متاخرا نسبيا قياسا بالاستشراق الهولندي والالماني والبريطاني والفرنسي، الا ان الحرب العالمية الثانية وما تمخضت عنه من افول نجم الدول الاوربية العظمى اتاح الفرصة لامريكا ان تملأ الفراغ

---

[٢] ج،دوجا ،تاريخ مستشرقي اوربا من القرن الثاني عشر الى التاسع عشر ،ج١ ،(باريس ،١٨٦٨م)،ص٣١.

[٣] م . ن ،ص٣٠.

[٤] ناجي ،د. عبد الجبار ،تطور الاستشراق ،المرجع السابق ،ص١٦-١٧ ؛ خليل، د.مصطفى ،تطور الصراع نحو السيطرة على البترول العالمي ،(الاسكندرية،السنة بلا)، ص ١٢٣؛دوران ،دانيال ،الاحتكارات البترولية وسياستها الدولية ترجمة ،وليم خوري ،(بغداد، بلا)، ص ٤٣.

[٥] بيتر ،كران ،الاستشراق الامريكي ،المصدر السابق ،ص٦٤.

[١] جعيط ،هشام ،اوربا والاسلام ،(مط لوساسي ،باريس،١٩٧٨)،ص٢١؛ البهي ،محمد ،الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، (ط٥، بيروت ،١٩٧٠)، ص٥٣.

الاوربي في هذا المجال بشكل واع.ويشير (بيتر كران)الى ان تزايد اهمية منطقة الشرق الاوسط[*] بالنسبة الى الولايات المتحدة من جهة وقلة الاهتمام بالتاريخ العربي من جهة ثانية اديا الى تزايد الطلب على المؤهلين في الدراسات الشرقية [٢]،ولما لم يكن هناك العدد الكافي من المتخصصين في الدراسات العربية الاسلامية،فقد اعتمدت هذه التوجهات على كبار المستشرقين الاوربيين للعمل في الجامعات الامريكية .من بين هؤلاء على سبيل المثال (السير هاملتون جب)(H.A.R.Gibb)[٣] الذي اسس قسم دراسات الشرق الاوسط بجامعة هارفرد،كما استقدمت (جوستاف فون كرونباوم)(Von Grunbaum) في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلوس ،و(برنارد لويس)(Brnard Lews) من جامعة لندن اذ عمل لعدة سنوات استاذا زائرا حتى انتقل الى جامعة برنستون[١] .واصدرت الحكومة الامريكية مرسوما بتوفير مبالغ ضخمة لدعم مراكز دراسات الشرق الاوسط في عدد من الجامعات الامريكية ،وهذا بدوره شجع الكثير من المستشرقين الاوربيين للتجنس بالجنسية الامريكية [٢].فهذه النماذج تعكس مدلولا كبيرا بانتقال الاستشراق الاوربي بكل مايحمله من افكار ومفاهيم وفلسفات الى الولايات المتحدة التي اصبحت الرائد الاول للاستشراق.

---

[*]الشرق الاوسط مصطلح استعماري ظهر للمرة الاولى عام ١٩٠٢م حين اطلقه المؤرخ البحري الامريكي(الفرد ثايرمان)(١٨٤٠-١٩١٤م) على المنطقة الواقعة بين الهند وشيه جزيرة العرب، والخليج العربي يشكل مركز هذه المنطقة . وقد تبنت الحكومة البريطانية هذا المصطلح-حين اطلقت اسم (دائرة الشرق الاوسط) على احدى دوائر وزارة المستعمرات البريطانية التي استحدثت في اذار ١٩٢١ بعد اسابيع معدودة من تولي ونستن تشرشل منصب وزير المستعمرات في شباط ١٩٢١ الذي شاع استعماله فيما بعد.لازال هناك وجود تباين كبير في استعمال هذا المصطلح ودلالاته واستمرار الالتباس بالنسبة لموقعه.للتفاصيل ينظر، Encyclopedia Britannica, Vol. 15, P. 407-408. ؛لويس،برنارد، الغرب والشرق الاوسط، ص٣.

[٢] ناجي ،د. عبد الجبار ،موقف الاستشراق الامريكي من دراسة المدينة العربية الاسلامية ،(مجلة الاستشراق،عدد١ ،١٩٨٧)،ص١٣٤.

[٣] ينظر ،ناصر ، ملا جاسم ،هاملتون جب ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (جامعة الموصل ،١٩٩٨م).

[١] ينظر ، تحليل نقدي للدراسات الاسلامية في جامعات امريكا الشمالية ،اعداد لجنة الدراسات الشرقية ،(ترجمة د. مازن مطبقاني طرابلس ،ليبيا ،١٩٧٥).

[٢] ، م.ن.ص٧٣.

وقد ارتبطت الدراسات العربية الاسلامية في امريكا بمؤسسات تجارية مثل (روكفللر Rockefeller)ومؤسسة (فورد Forde)ومؤسسة (كارينجيCaringi)،وماتزال المؤسسات (التبشيرية) تقوم بجهود كبيرة للقيام بنشر البحوث والدراسات حول العالم الاسلامي [٣]،ويمكن ان نشير الى مؤتمر كولورادو التنصيري في الولايات المتحدة الذي ضم مئات المنصرين من كل انحاء الولايات المتحدة ،ونشرت بحوثه التي تتناول ادق التفاصيل عن الاوضاع العقائدية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية للعالم الاسلامي [٤].ويمكن ان نضيف هنا ان الاستشراق التقليدي الذي كان يهيمن على مجال الدراسات العربية والاسلامية قد اختفى الى حد كبير، وسبب ذلك يعود الى وجود بعض الباحثين الغربيين المعاصرين الذين كانوا يبحثون في كل مايتعلق بالاسلام والمسلمين واصبحت دراسة العالم الاسلامي تتم بالتنسيق بين قسم دراسة الشرق الادنى او الشرق الاوسط وبين الاقسام المختلفة الاخرى [٥].

ومن الجدير ذكره ان هذا الاهتمام الواسع ابتدأ بردة فعل لامة مغلوبة تجاه امة غالبة حتى وصلت الحالة الى الغلبة و التفوق واحتقار الاخر. ليس هذا فحسب بل ان المقارنة التاريخية العجيبة ان المستشرقين لم يتركوا بابا في التراث العربي الاسلامي الاطرقوه والفوا فيه الكتب معتمدين على المخطوطات والمصادر العربية . وظل بعض مؤرخونا يتبنون تفسيرات وتوجهات مؤلفات المستشرقين عن التأريخ الاسلامي وبشكل خاص في السيرة النبوية بدلا من أن يكون التراث العربي من اسهام المؤرخين العرب بالدرجة الاولى . ولكن لسوء الحظ كان المستشرقون ممن تعلموا اللغة العربية وممن افنوا الكثير من سنوات اعمارهم في البحث والتقصي عن مفاصل مختلفة من تأريخنا وحضارتنا كانوا هم الرواد في ذلك . والانكى من كل ذلك ان مؤرخينا وباحثينا صاروا يرجعون الى هذه الكتب الاستشراقية ويعتمدونها في الكتابة التأريخية .

---

[٣] خليفة ،محمد ازمة الاستشراق ،(الرياض ،١٩٨٧)، ص٢٢.

[٤] تحليل نقدي للدراسات الاسلامية في جامعات امريكا الشمالية ،المرجع السابق،ص٢٥.

[٥] مطبقاني، د. مازن ،في الاستشراق الامريكي المعاصر ،(ط١ ،الرياض ،١٩٩٩)،ص٤-٥.

أن هذا الامر ليس عيبا ولكنه أدخل الكثير من الاراء والتفسيرات التي صارت على مدى قرن من الزمان مجالا للاخذ والرد والعطاء والمنافسة وعقد المؤتمرات ولاسيما بالنسبة الى اهم مفصل في تأريخنا ، الاوهو سيرة الرسول (ﷺ) ومغازيه وسراياه والوحي والقرآن الكريم .

من هذا المنطلق اصبح ذلك حافزا امام الباحث لاختيار هذا الموضوع الذي هو احد ثمرات هذه المجادلات والنقاشات والدراسات. فالمستشرق (ارفنج) الاسكتلندي الاصل والامريكي المولد والنشأة، موضوع الدراسة، يّعد أول مستشرق أمريكي اهتم بهذا الموضوع الاساسي بالنسبة لتأريخنا ، وقد كتب كتابا خاصا بالسيرة. ولهذا الكتاب حسناتة وسيئاته ، وما هذه الدراسة الا انموذجا لدراسة اسهام مستشرق امريكي عن تأريخنا وبالاخص عن سيرة نبينا محمد(ﷺ).

اعتمدت الرسالة نظرا لاطارها التاريخي المعاصر المراجع الحديثة الاجنبية والعربية بالدرجة الاساس ، كادوات في عرض فصولها ومباحثها .غير ان الامر لاينطبق كليا على متن الرسالة انما رجعت الى ألمظان الاسلامية حينما صارت الحاجة ماسة الى تقويم اراء وتفسيرات (ارفنج) عن الرسول الكريم وسيرته واخلاقه وشمائله(ﷺ).لذلك فان مسح المصادر سيتضمن محورين اساسيين .

اولا- فائدة المراجع الحديثة:

كان لزاما علينا ان نقرأ قراءة متفحصة اعمال المستشرق (ارفنج) سواء كان ذلك عن (فتح غرناطة) (The Conquest of Grenada) و(فتح الاندلس) (The Conquest of Spain) وكتاب (الحمراء)(The Alhambra) وغيرها من الكتب التي كانت اهميتها تنحصر في بيان التطور الفكري لمؤلفها. اما كتابه المباشر (حياة محمد)(Life of Mahomet)،فأن الاستاذ الدكتور علي حسني الخربوطلي قد بادر بترجمته الى العربية وهو جهد قيم دون شك لكن ترجمة النص ليست دقيقة تماما، اذ حذف الكثير من مطاعن (ارفنج) واستبدلها اوتركها دون ترجمة ،مما جعل من المتعذر اعطاء فكرة صادقة عن حقيقة اراء هذا المستشرق وتصوراته بالاستناد الى هذه الترجمة .لذا اعتمدنا اساسا الكتاب في لغته الاصلية ،الانكليزية ،وبطبعته الاولى .فالكتاب قدم لنا فائدة

قيمة في التعرف على منهج (ارفنج) التاريخي واسلوبه في هذا الميدان الذي كان بعيدا عن اهتمامه الاساسي وهو القصة والرواية .في الوقت ذاته فقد افادنا كتاب (Pierre M Irving)(حياة ورسائل ارفنج) (The Life and Letters of Washington Irving) .وتحتل دراسة باير (Pierre) ،المقام الاول في التعرف على سيرة (ارفنج) ونشاطاته الادبية والتاريخية .ويكفي القول ان باير لم يكن ابن اخ (ارفنج) فقط، بل كان بمثابة مدير اعماله، لذا كانت متابعاته لاعمال (ارفنج) منذ الفترة المبكرة ولم ينقطع عنه حتى عندما كان (ارفنج) غائبا عن امريكا في جولاته الاوربية او في عمله الدبلوماسي في اسبانيا ولندن .فقد عاش معه في بيت واحد فجاءت كتاباته عن (ارفنج) تحوي على ادق التفاصيل سواء العائلية ام الادبية.وبالاضافة الى ذلك كان (باير) كاتبا ناجحا مكنه ذلك من نقل سيرة (ارفنج) بلغة سهلة ومؤثرة .

ويلي مؤلف (باير) بالاهمية والتأثير في دراستنا لحياة (ارفنج) كتاب ستانلي وليمز (Stanley T .Williams) (The Life of Washington Irving) وان كان متأخرا عن باير، الا انه استطاع تقسيم فصول كتابه بما يتناسب وسيرة (ارفنج) الادبية والاستشراقية في جزئين .وقد افاد البحث من كتاباتهما في التعرف على مراحل حياة (ارفنج) واسرته ومراحل تطوره الثقافي في الولايات المتحدة واوربا وانتهاءا باسبانيا.وفي هذا المجال لابد من ذكر كتابات (C.Carey) في القاء الضوء على مجالات اخرى من حياة (ارفنج) وثقافته ونتاجاته وخاصة كتابه (Washington Irving, Journals and Note Books) (ارفنج) ،المجلات والمقالات) الذي قدم صورة شاملة عن الكتابات والمقالات الصحفية لـ(ارفنج) في اسبانيا وباريس .وكشف لنا اهتمامات (ارفنج) وتوجهاته المسرحية والتراثية في رحلاته الى اوربا. وتعود اهمية كتابات (كيري) (C.Carey) الى انه صاحب لدار نشر واصدر الكثير من اعمال (ارفنج) . كما افاد الباحث من كتاب (جارلس دودلي Charlis Dudley) الموسوم (واشنجتون ارفنج في امريكا)(W.I in the America) اذ كان الكتاب بمثابة استعراض لحياة ومؤلفات ارفنج وخاصة التي تهتم بالمجتمع الامريكي.وكذلك

كان لكتاب(هيلمان جورجH.George) (واشنجتون ارفنج سفير العالم الجديد الى العالم القديم)(W.I Ambassador at (large from New World to the old وهناك مراجع اخرى اهتمت بسيرة (ارفنج) واعماله كان لها فائدة كبيرة في معلومات البحث التي ذكرت في ثنايا الدراسة.

ولما كان (ارفنج) اول مستشرق امريكي يخصص كُتبا عن الشرق وكتابا خاص عن رسول الامة (ﷺ)،فقد صار الامر ملحا للتعرف عن طبيعة الثقافة في امريكا الجديدة النشأة والتكوين وعن العقلية الامريكية آنذاك،وفي هذا المجال افادنا كتاب (تاريخ الشعب الامريكي) لفرحات زيادة وتحت اشراف فليب حتي المشهور في كتابه (تاريخ العرب)،كان مدخلا مهما نحو نشوء المستعمرات الاوربية وتنافس تلك الدول وحروبها الطويلة ومراحل اتحاد الولايات واستقلالها .وقد اتخذت منهجية هذا الكتاب دليلا لمتابعة تاريخ الشعب الامريكي وتطور توجهاتهم الداخلية والخارجية عن طريق المصادر التي اهتمت بهذا الموضوع ،ومنها كتاب (تاريخ الولايات المتحدة)(Ahistory Of The United States of America:) لمؤلفه (Parkes, Henry Bamford) وقد عرض في الجزء الاول دوافع الهجرة وكيفية نشوء المستعمرات الاولى والصراع مع سكان امريكا الاصليين .اما في جزءه الثاني فتابع الحروب التي جرت بين بريطانيا والدول الاوربية الاخرى وانتهى الى بداية الخلافات البريطانية الامريكية الاولى وتفاعلاتها الاوربية واثرها في اعلان الاستقلال .كما افادنا كتاب (حضارة العالم الجديد من عصر الاستكشاف الى عصر الذرة) للكاتب (ارل شينك ميرز)(Arel M Sheing)والذي عربه الراحل (فؤاد جميل) حيث كان بمثابة عرض مختصر ودقيق للقدرات الفردية عن قادة المستعمرات والرجال الذين اثروا في تاريخ امريكا.

اما اهم المصادر التي قدمت معلومات عن العناصر الاساسية التي كونت بنية المجتمع الجديد وعقليته الثقافية وتوجهاتها نحو الشرق فكان كتاب (الشخصية الامريكية تكوينها ومقوماتها)لـ(د.و بروجان)(D.O Brogan) ترجمة زهدي جارالله ،وكذلك كتاب (المؤسسات والنظم الامريكية)لـ(جيمس

برايس)(Jemes Pries) الذي عربه انيس صايغ ،وكان لهذين الكتابين اثر واضح فيما يتعلق بثقافات وفلسفات وافكار المجتمع الامريكي ومدى اقترابها من الافكار والفلسفات الاوربية. اما فيما يتعلق بالدوافع الاساسية للولايات المتحدة الامريكية التي دفعتها نحو الشرق فكان كتاب (S.M. Zewemer) (Arabia The Cradle of Islam)(بلاد العرب مهد الاسلام) الذي امدنا بمعلومات غنية عن البعثات (التبشيرية).وكذلك كتابات (د. تقي الدباغ واخرون) بعنوان (طرق التنقيبات الاثرية) وهو جهد قيم يتضمن اعمال التنقيبات والتحريات الاثارية الامريكية في الشرق الاوسط .

كان لابد من التعرف في هذا المجال على الشخصيات الاستشراقية الامريكية المعاصرة (لارفنج) او الذين جاؤا بعده.وذلك بهدف معرفة التأثر والتأثير بين مستشرقي المدرسة الامريكية ان جاز لنا تسميتها بذلك كتابات (P.M Holt) في كتاباته(P.M, Holt, The Treatment of Arab History by Prideaux Ockley and Sale in ,History of The near and Middle East in The University of London) وهي معالجة ممتازة لطبيعة تناول بريدو واوكلي وسيل للتاريخ العربي وهم يعدّون من اهم المستشرقين الذين تأثر بهم (ارفنج) .وكذلك كتاب (A.J. Arberry) (Oriental Essays)(المستشرقون البريطانيون)قد اعطانا صورة واضحة عن المستشرقين الذين اخذ منهم (ارفنج) اهم افكاره نحو الشرق والاستشراق .وفيما يخص النشاطات الاستشراقية الامريكية فقد كانت بحوث (د.مازن مطبقاني)(في الاستشراق الامريكي)وكذلك مقالة (بيتر كران)(الاستشراق الامريكي)هي الاساس في فهم تطور الدراسات الاستشراقية الامريكية وتوجهاتها الحديثة ومدى اعتمادها على الاستشراق الاوربي .

ثانيا– المصادر الاسلامية:

تطرق (ارفنج) الى الموضوعات التاريخية في سيرة النبي محمد (ﷺ) معتمدا كما يبدو لنا على افكار جاهزة او كتابات اوربية كان من اهمها مؤلف (جوستاف فيل)(J.Weil).ولذلك فقد ادلى بعدد من الاراء والتفسيرات التي في حقيقتها لاتختلف عن مثيلاتها في الاستشراق الاوربي .وهي اراء وتفسيرات ربما ترجع الى عدم فهمهم النصوص العربية بالشكل الذي نفهمها نحن العرب

او الى انهم اعتمدوا المعلومات التي ترجمت الى اللغة الاجنبية اوالمانية او انكليزية او لاتينية ،وكذلك الحال اعتمادهم على ترجمات القرآن الكريم الى اللغات الاجنبية .فانطلاقا من هذه الاشكالية المهمة كان علينا ان نراجع امهات المصادر الاسلامية الاصلية بغية التعرف على النصوص التاريخية من مصادرها الام .والقرآن الكريم ،كلام الله المنزل على نبيه ،كان اول مصدر سماوي زودنا بايات كريمة بشأن الرسول محمد(ﷺ) واخلاقه وشمائله .ثم مؤلفات الحديث النبوي الشريف منها: (صحيح البخاري، صحيح مسلم، مسند احمد) ثم مؤلفات السيرة النبوية ،واعتمدنا على(السيرة النبوية)لابن هشام وذلك للاهتمام الذي ابداه المستشرقون الاوربيون والامريكان عن هذا المؤلف.وكذلك سيرة (ابن اسحاق) المسماة (المبتدأ والمبعث) باعتبارها الاساس لسيرة ابن هشام.وبعدها اعتمدنا على كتاب (الروض الانف) لـ(السهيلي) لانها تعد تفسيرا وشرحا لسيرة ابن هشام .وافدنا في هذا الجانب على كتب الطبقات وخاصة (الطبقات الكبرى) لابن سعد .

لاريب ان موضوع البحث يتوخى دراسة تاريخية للاستشراق الامريكي مسلطا الجهدلتحقيق ثلاثة اهداف ،الاول اعطاء القاريء تصورا واضحا قدر الامكان عن المجتمع الامريكي منذ النشؤ والتكوين واثر ذلك في المفاهيم والافكار التي تكونت تجاه الشرق ومدى ارتباطها بالتوجهات الاستشراقية الاوربية.والثاني ،متابعة تطور مواقف وآراء ارفنج الذي يعد سفير العالم الجديد الى العالم القديم ،والرائد الاول في موضوع الاستشراق الامريكي ،وكذلك دراسة الاسباب و الدوافع الرئيسية التي تقف وراء توجهاته الاستشراقية،وهل كانت افكاره مغايرة لافكار الاستشراق الاوربي ام مطابقة له ؟اذ كانت تلك الافكار والمفاهيم المورد الرئيسي للمثقفين والمفكرين الامريكان عن الشرق والشرقيين .والثالث يستهدف دراسة تطور الافكار والتفسيرات التي وقف عندها ارفنج فيما يخص السيرة النبوية الشريفة ،مع التاكيد على النقد الذي يتوخى ابراز مدى افتراق او اقتراب رؤيته من المنظور الاوربي تجاه السيرة المطهرة.ولتحقيق هذه الاهداف جاء اختيار تقسيم البحث الى مقدمة و ثلاث فصول وخلاصة .

كـرس الفصـل الاول لدراسـة الخصـائص الثقافيـة لمرحلـة النشـوء والتكـوين للمسـتوطنات فـي العـالم الجديـد .وتضـمن المبحـث الاول اتجاهـات العقليـة الامريكيـة واهتماماتهـا فـي هـذه المرحلـة واثـر التنـافس الاوربـي علـى ثـروات الارض الجديدة.وفـي المبحـث الثـاني كـان التركيـز علـى توجهـات الاستشـراق الامريكي نحو التاريخ العربي الاسلامي ،واعطاء لمحة عن الدوافع الاساسية لـذلك.واهـتم المبحـث الثالـث بالاستشـراق الاوربـي واثـره علـى الاستشـراق الامريكي.ويتضمن الفصل الثاني لدراسة عن حياة المستشرق ارفنج ومنهجه في الكتابة التاريخية ،اذ قُسم هذا الفصل الى ثلاثة مباحث ايضا، تضمنت حياة ارفنج وتطوراهتماماته بالتاريخ العربي الاسلامي وبشكل خاص سيرة الرسول(ﷺ).ويتصدى الفصل الثالث لدراسة ومناقشة آراء وتفسيرات ارفنج لعناصر اساسية في السيرة النبوية الشريفة ،اذ تضمن المبحث الاول عرض لاراء ومفاهيم ارفنج حول موضوع النبوة والوحي،واما المبحث الثاني فاهتم بما حدده ارفنج من افكار حول كتاب الله تعالى. وينتهي الفصل بعرض آراء ارفنج عن زوجات الرسول الكريم(ﷺ)،وبيان مدى انسياق ارفنج مع غيره من المستشـرقين الاوربيين،ومـدى اختلافـه معهـم .واخيـرا الخاتمـة اذ تضـمنت الاستنتاجات التـي تـم التوصـل اليهـا فـي ضـوء الحقـائق الـواردة فـي فصـول البحث.

الفصل الاول
خصائص عصر المستشرق الثقافية

الفصل الاول

خصائص عصر ارفنج الثقافية

المبحث الاول

اتجاهات العقلية الامريكية واهتماماتها:

لاشك أن ظاهرة الاستشراق تعد جزءا مهما من حلقات التطور الثقافي،فمن الصعوبه عزلها عن مجمل التغيرات السياسية والدينية والاجتماعية والثقافية، فانها نتاج لذلك وتعبير عنه ، ان الاستشراق تيار فكري يتمثل في اجراء الدراسات المختلفه عن الشرق والتي تشمل حضارته واديانه وادابه ولغاته وثقافته[١]. لقد اسهم هذا التيار الفكري في صياغة التصورات الغربية والامريكية عن الشرق بصورة عامه وعن العالم الاسلامي على نحو خاص[٢]،مستجيبا للثقافه التي انتجته اكثر من استجابته لموضوعه[٣]، وذلك لان المستشرق ينظر الى الشرق من خلال ثقافته وموروثه وميوله واتجاهاته السياسيه والدينيه [٤].

ان البحث عن الخلفية التاريخية للاستشراق الامريكي يستلزم دراسة التكوين الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي للمجتمع الامريكي الذي يتمثل بنتاج قوتين اساسيتين هما؛ هجرة شعوب أوربا المختلفه بعاداتها وخصائصها القومية،وتاثير البلاد الجديدة في تلك الخصائص والعادات وتكيفها معها[٥] .

يبدو ان مراحل تشكيل الهوية الجديدة للعالم الجديد وسكانه من المهاجرين والوافدين من العالم القديم الى العالم الجديد لم تكن قد بنيت على(ايدلوجية) فكرة دينية او دنيوية مستقلة خاصة بالمجتمع الامريكي الجديد ، انما هي في واقع الحال

---

[١] سعيد ، ادوارد ، الاستشراق ، المصدر السابق، ص٤١.

[٢] ناجي ، د. عبد الجبار ،دراسات اسلامية ، حوار مع موضوع الاستشراق وعلاقته بالتبشير، (مجلة دراسات اسلامية ،عدد ٧ ، سنة ٢٠٠١)، ص٦٣.

[٣] سعيد ، المصدر السابق ، ص٥٥.

[٤] د. يانوش دانتسكي ، الاستشراق بين الشرق والغرب ، ترجمة عدنان المبارك ، مجلة الاستشراق ، (عدد ١ ، ١٩٨٧)، ص٥١.

[٥] وايتني ،فرنسيس ، موجز التاريخ الامريكي ،(مؤسسة طباعة الالوان المتحدة ، القاهرة ،بلا ت)، ص٩ .

مزيج يضم مجموعة من المستوطنات التي تمثل كل مستوطنة فيها صورة مصغرة للدولة الاوربية التي انشاتها وفي جميع المجالات السياسية او الاجتماعية أو الثقافية [١].

ان المرحلة الاولى التي يمكن تحديدها سياسيا بمرحلة الاستيطان ،هي التي بدأت منذ ان وطئت اقدام (كولمبس)(Colompes) اراضي العالم الجديد اذ اكد لملكة اسبانيا وقرينها قائلا: ((ايها الامراء الاسياد تعلمون ولاشك أن ما تضمه هذه البلدان غير محدود القيمة ولن اتمكن من وصف مايمكن أن نجنيه من منفعة))[٢]. ومن يوميات كولمبس هذه، وردت الوثيقة الاتية التي تبين بدايات التوجه الى الشرق وابعاده ،قوله في رسالة الى الملكة قائلا: ((فان سموكما قررتما ان تبعثا بي الى الاصقاع المذكورة من بلاد الهند لاقابل الامراء المذكورين . وأن ارى المدائن والاراضي وأعرف احوالها بنية العمل لهدايتهم الى عقيدتنا المقدسة وقد امرتماني بان لا اذهب الى هناك بطريق البر صوب الشرق كما كانت العاده بل يجب ان اذهب عن طريق الغرب حيث لانعلم عن يقين ان احدا قبل الان قد سلك هذا الطريق...))[٣]. فقد اكد كولمبس على الجوانب المادية المؤسِسة لتلك البلاد بالاضافة الى الهدف الاخر وهو التبشير.ولم تنفرد اسبانيا في رغبتها على تحقيق هذين الهدفين بل شمل ذلك جميع الدول الاوربية[٤].

فالعنصر الاول المتمثل بهجرة جماعات متعاقبة من شعوب وأثنيات وثقافات وديانات متنوعة من الاسبان، والبريطانيين، والفرنسيين، والالمان، والأسكتلنديين، والأيرلنديين ،والهولنديين، والسويديين وافارقة على شكل حشود من الرقيق الذي يحمل في اعماقه ارثا محليا وتأريخا قوميا ونظرة بائسة مع نفسه ومشمئزة من اسيادهم كل ذلك كان هو المحرك الاساسي للثقافة الامريكية الجديدة والمساهم الرئيس في بنية العقلية الامريكية المتنوعة و غير المتكافئة ثم هناك كثير غيرهم قد كانت دوافعهم

---

[١] لورانس ، ايج ، جبسون ، حضارة العالم الجديد ،ترجمة فؤاد جميل ،(بغداد، ١٩٥٨)، ص٦٦-٦٨.

[٢] ارفنج .أ.لينارد ، من عصر الاكتشاف الى عصر الذرة ،ترجمة فؤاد جميل، (القاهرة ، ١٩٥٨م) ، ص٥.

[٣] ويليس ، ويجر ، الادب الامريكي ، ترجمة د. نظمي لوقا ، (دار المعارف ، القاهرة ، بلا ت) ، ص١٤.

[٤] ارفنج .أ.لينارد ، المصدر السابق ، ص١٢.

للهجرة متشابهة و يمكن اجمالها بمحاولة التحرر من الظلم و الاضطهاد و التخلص من المعاناة والالام سواء منها الدينية او الاجتماعية او الاقتصادية[١] .

وبرزفي القرن السادس عشر الصراع الديني على اوجه بين الكنيسة الكاثوليكية وبين دعاة الاصلاح،ونقصد اصلاح بنية الكنيسة الداخلية ومايتعلق بمسؤولية الكنيسة عن سلوك الفرد. فقد هددت افكارهم الاصلاحية بانقسام الناس على انفسهم وتقويض دعائم السلطة الملكية وذلك بالقضاء على وحدة كنيسة الدولة [٢]. ونتيجة للضغوط التي مارستها الدولة بحق المصلحين الذين تسموا باسم (البيوريتان)(Puritans)[*] لاسيما في عهد جيمس الاول(Games 1)(١٦٠٣-١٦٢٥م) حيث اضطر قسم منهم للرحيل الى مدينة (ليدن)(Liden) بهولندا.وبعد سنوات قليلة عزموا الرحيل الى العالم الجديد ليؤسسوا في سنة ١٦٢٠م مستعمرة الحجاج التي عرفت باسم (نيو بليموث)(New Plemoth) [٣]. وفي عام ١٦٢٥م ازداد اضطهاد البيوريتان على يد (شارل الاول)(١٦٢٥-١٦٤٩م) مما اضطر نفر من رعاة الكنيسة لاقتفاء اثر الحجاج وكان قد رافقهم عدد من ذوي النفوذ والثراء وأسسوا مستعمرة (ماساتشوستس) (Masatchosts) [٤]، التي تفرع منها مستعمرات اخرى مثل

---

[١] د.و.بروجان ، الشخصية الامريكية تكوينها ومقوماتها ، ترجمة زهدي جارالله ، (دار اليقظة العربية ، بيروت ،١٩٦٤م) ، ص ص٤٨-٤٩ .

[٢] م.ن.ص١٢.

[*] Puritanism البيوريتانية:هي حركة اصلاحية قامت داخل الكنيسة الانكليزية خلال اواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر،وكانت في بداية مرحلة حكم الملكة (ايلازابيث الاولى)(١٥٨٨-١٦٠٣م)،وكان اول استخدام لاسم البيوريتان في سنة ١٥٦٠م ضد اصحاب الفكرة القائلة بضرورة (التطهير)(Purify) للكنيسة الانكليزية من الاثام البابوية الكاثوليكية الرومانية.ينظر،-The New Encyclopaedia Britannica,Vol.15,P.304 308.

[٣] ويليسون ،جورج ،قراءة الحجاج ،ترجمة فؤاد جميل ،(بغداد ،١٩٥٨)،ص ٢٦؛ وايتني ،فرنسيس ، موجز التاريخ الامريكي ، المصدر السابق ، ص١٢.

[٤] Muzzey , David , our contry's history , (Ginn and company , 1961), p.32.

ويذكر ماكس سافيل في كتابه (حضارة العالم الجديد)والاستاذ في جامعة واشنجتن بان ماساتشوستس ولاية دينية متسلطة واقل تسامحا مع من يخالفها لذا قامت بنفي (روجر وليمس) القس الذي انتقد بناة هذه المستعمرة .

(رود ايلند)(Rod Iland) و(كونيكتكت)(Conecatact) [١]. لم يكن البيوريتان وحدهم الذين اندفعوا الى الهجرة الى امريكا بدافع ديني بحت بل هناك (الكويكرز)(Coicars)[*] فقد هاجروا الى العالم الجديد واسسوا مستعمرة (بنسلفانيا)(Pinsalvania)بقيادة (وليم بن)(William Pin) صاحب كتاب (لا تاج بدون صليب) (No Cross, No Crown)[٢].ويذكر (باوغ)(Paugh) ان (بن) اسهم في تأسيس ثلاث مستعمرات هي (نيوجرسي ،ديلاور ،بنسلفانيا)(Pinsalvania،Delawer،New Gersi) .وكان من الكويكرز ،وكتب كتاب بعنوان (رسالة في سبيل السلام للحاضر والمستقبل)ودعا فيه الى اتحاد المستعمرات البريطانية في سبيل قصد مشترك[٣]. واهتمام (سيسل كلفرت)(Cisel Gilvert) بالكاثوليك الانكليز عاملاً من العوامل التي دفعته الى انشاء مستعمرة(ماريلاند)(Marryland)[٤]. و كان كثير من المستوطنين الاوائل في (كارولينا الشمالية)من فئة المنشقين الدينيين الذين هاجروا من المانيا وايرلندا سعيا وراء الحرية الدينية [٥].

يبدو ان للعامل الديني تاثير واضح في قيام المستوطنات الجديدة يتضح ذلك من خلال المؤلفات التي صدرت في الفترة الواقعة بين الكشف والثورة منها،فكتابات (صمويل برتشاد)(S.Pertchad) في مؤلفه (رحلات الحجاج)وكتابات (جون سمث)(John Smith) الذي اكتشف (نيوانكلند)(New England) واطلق عليها هذا الاسم [٦] وكذلك كتابات (وليم براد فورد)(William B.Ford)وكان بارعا وبليغا، انتقل معتمدا على نفسه الى مرحلة الاقتباس من التوراة، وكان لها تاثير واضح في هذه

---

(١) Nevins Allan, The pocket History of The United States, (Washington Square Press,. Inc.,1960), P.213.

(*) الكويكرز: وهي تسمية اخرى للبيوريتان المتشددون،ينظر .The New Encyclopaedia Britannica,Vol.3. P.145

(٢) باوغ، كارل ، وليم بن ...مؤسس مراكز الاستيطان،ترجمة نيقولا جورج،(بيروت ،١٩٥٦)،ص٤٢.

(٣) زيادة ،فرحات ،تاريخ الشعب الامريكي (برنستون ،١٩٤٦)،ص٤٤؛ باوغ كارل،المصدر السابق ،ص ص ٤٢-٤٣.

(٤) Parkes, Henry Bamford, The United States of America; A History, (2nd Ed .,Alfred A. Knopf, Inc.,1959),P.235.

(٥) زيادة ،فرحات ،المصدر السابق ،ص ١٣

(٦) ويجر ويليس ،المصدر السابق ،ص١٨.

المرحلة التاريخية المبكرة من الاستيطان. وعلى غرار براد فورد نجد (جون ونثروب)(John Winthrob) يقتفي اثره في الكتابة [١] حتى اصبحت مواعظ القساوسة البيوريتان تطبع وتتداول في كتيبات او مجلدات شكلت قسما لايستهان به من الادب الامريكي [٢]،وهذا (جون كوتن J.Cotton)وهو كاهن عمل بالتعاون مع (ونثروب)كي يجعل الثيوقراطية البيوريتانية راسخة الدعائم [٣].

ومن الصواب القول ان الحرب الاهلية في بريطانيا في عهد شارل الاول كانت من وحي نجاح البيوريتان في العالم الجديد اذ نجد ان من بين اول دفعة من المتخرجين في (هارفرد)(Harvard) وهم عشرون، ذهب اثناعشر من بينهم(جورج داوننج)(Joerge Dawning) الذي اطلق اسمه على شارع داوننج في لندن ، ليشاركوا في الحرب الاهلية [٤].اقتصر الانتاج الادبي في المستعمرات الى حد كبير على المباديء الدينية فكانت المواعظ هي المادة الرائجة فيما تصدره المطابع انذاك. فقد الف القس (كوتن ماذر)(Cotton Mather) اربعمائة كتاب من اشهرها(انتصار المسيح في امريكا) [٥].

من الواضح ان العامل الديني كان الدافع الاهم للهجرة وكذلك في نشوء المستوطنات مما يؤكد احتفاظ المهاجرين بالموروث اللاهوتي من افكار و ممارسات ليس فقط تجاه الاخر بل تجاه الطوائف النصرانية نفسها[٦]. فمعانات المجتمع الامريكي من الطبقية الاجتماعية و الدينية التي قسمته الى ثلاث درجات، كان سببا في عدم نجاح امريكا نجاحا تاما في توحيد شعبها على اساس الحرية والمساواة كما

---

(١) Foerster, Norman, American Poetry and Prose, (4th Ed., Houghton Mifflin Company, 1957), P.62.

(٢) Larkin, Oliver Waterman, Art and Life in America, (Ed.,Henry Holt and Company,Inc.,1960),P.73.

(٣) Hofstadter, Richard, United States The History Of a Republic, (Prentice-Hall, Inc.,1957),P.213

(٤) Larkin, Op, Cit,P.75.؛ويليس،ويجر،المصدر السابق،ص٢٢.

(٥) Foerster, Op,Cit,P.85.

(٦) بروجان،المصدر السابق،ص١٧١.

يزعم البعض [١]، فالشكوك المتبادلة بين الطوائف الدينية تدلل على صعوبة التعايش بينهم حيث نجد ان الكاثوليك الامريكيين مستعدين لاسوء الشكوك في جيرانهم ،وكذلك كان جيرانهم يشكون فيهم اسوأ الشكوك [٢] .

ولم تكن الدوافع السياسة والاقتصادية اقل تاثيرا من العامل الديني بل كان لها اثر واضح في الهجرة وكذلك في صياغة افكار ومفاهيم وتصورات المجتمع الامريكي الجديد [٣].وادت الضائقة الاقتصادية دورا سلبيا وايجابيا في بلورة العقلية الامريكية الجديدة،ومواجهتها للتحديات، وكانت من العوامل الاساسية التي دفعت الكثير من المهاجرين الى ترك بلادهم في اوربا ،فعلى سبيل المثال الصعوبات الاقتصادية التي اجتاحت بريطانيا في المدة الواقعة بين ١٦٢٠ و١٦٣٠م ادت الى تعطل عدد كبير من العمال عن العمل ،حتى اصبح امهر الصناع ليس باستطاعته الحصول على مايقيم اوده الا بشق الانفس [٤]. كذلك مازاد هذا البلاء سوءً رداءة المحاصيل الزراعية زد على ذلك ان صناعة الصوف التي كانت آخذة بالنمو في انكلترا تطلبت مقادير متزايدة من الصوف حتى يستمر العمل في المصانع وحمل هذا مربي الاغنام الى الجور على الاراضي الزراعية وتحويلها الى مراعي وهو مايطاق عليه بحركة التسييج (Enclosure System) [٥]، وتحولت مستويات معيشة الطبقتين الدنيا والوسطى في انكلترا الى حد البؤس والفاقة [٦].واستثمر المروجون للهجرة تلك الحالة المعاشية المتدنية لاقناع الناس على الهجرة ،ولما كان الفقراء لايملكون شيئا على الاطلاق حتى انهم لم يستطيعوا توفير مالا لنقلهم، قامت شركات الاستعمار كشركة (فرجينيا)(Virginia)وشركة (خليج ماساتشوستس)(Masatchosts Gulf) بدفع تكاليف

---

[١] بروجان،المصدر السابق،ص١٧٣-١٧٤.

[٢] Beard Charles A, The Beard's New Basic History of The United States,(Doubleday and Company,Inc.,1960),P.314.

[٣] زيادة ، فرحات ،المصدر السابق ،ص٤٦.

[٤] م،ن،ص ٤٧.

[٥] وتني ،فرنسيس ، المصدر السابق ،ص١٢.

[٦] م.ن.

نقل المستعمرين على ان يعملوا لحساب هذه الشركات [١]. ثم جرى تعديل على هذا الاجراء،فصار على المهاجر ان يعمل لمدة زمنية محددة بين اربعة اعوام الى سبعة نظير اجور سفره بحرا والانفاق عليه.وقد دلت التقارير على ان نصف المهاجرين الى المستعمرات الواقعة جنوب نيوانكلند جاؤوا الى امريكا وفق هذا النظام [٢].

وفي خضم هذه الضائقة يبرز دور تجار السوء .اذ استخدم ربابنة السفن جميع الوسائل لتشجيع الهجرة وذلك بعد ان كسبوا اموالا طائلة من بيع عقود استخدام المهاجرين الفقراء ،فنجد القضاة والقائمون على شؤون السجون قد قاموا بتهيئة الفرص للمذنبين كي يستبدلوا حياة السجن بالهجرة الى امريكا ،والمثال على ذلك مستعمرة (جورجيا)(Georgiya) التي اسست بجهود (جيمس ادورد)(James Edward) بهدف اطلاق سراح المذنبين من غياهب السجون الانكليزية ثم يبعثون بهم الى امريكا لتاسيس مستعمرة تقف حاجزا امام الاسبان الذين كانوا في الجنوب [٣].ولم تقتصر الهجرة على الرجال بل شملت النساء اللواتي بعن انفسهن لمروجي الهجرة ،وحملن الى العالم الجديد شريطة ان يقدم طالب الواحدة منهن(مئة وعشرون باوندا من التبغ)[٤] وقد شجعت الملكة (اليزابيث)[*] (Elizabeth)(١٦٠٣-١٦١٥م)شركات النقل الى العالم الجديد حتى انعمت على تاجر الرقيق (هوكنز)(Hokins) بلقب فارس[٥]. ولم تتوقف الهجرة عند هذا الحد بل

---

[١] رابت ، بويس، تجربة في الاستعمار، (ترجمة طوني يوسف، بيروت، ١٩٥٦)، ص١٣.

[٢] Muzzey ,Op.Cit.,P.45.

[٣] Morris, Richard Brandon, Encyclopedia of American History (2nd Ed.,Harper and brothers,1961),p.63.

[٤] Franklin, Op.Cit,P.63.

[*] اليزابيث(١٥٣٣-١٦٠٣) ملكة انكلترا وايرلندا بين ١٥٥٨-١٦٠٣م ،وهي ابنة(هنري وآن بوليان).بعد اعدام امها بالجريمة العظمى في عام ١٥٣٦م عاشت الاميرة اليزابيث في البلاط حتى تنصيبها ملكة عام ١٥٥٨م.ينظر ، The New Encyclopaedia Britannica , Vol.1, P.400.

[٥] Hofstadter, Richard,Op.Cit,P.132.؛رابت ، بويس، المصدر السابق، ص١٤.

نضجت تجارة الاطفال وجلبهم او اختطافهم من الاحياء الفقيرة في لندن لينقلوا الى المستعمرات لكي يعدوا صناعا متمرنين في فيرجينيا [١].

ومن الجدير ذكره ان عدد المهاجرين من انكلترا شكل النسبة العظمى بين المهاجرين من بقية الدول الاوربية هولندا ،السويد،المانيا ،فرنسا ،والبرتغال [٢]. هذه الحالة ادت بالتالي الى شيوع القيم والعادات والمفاهيم الاجتماعية والاخلاقية البريطانية في معظم المستوطنات [٣].وان كانت تلك الدوافع لم تقتصر على الانكليز ،اذ عسف كبار ملاك الاراضي الذي ادى بالكثيرين من الاسكتلنديين والايرلنديين وغيرهم للهرب من الفقر والحرمان [٤].فضلا عن ما تقدم ذكره ينبغي ان لانستبعد ما فرضته سياسة الاضطهاد في المانيا وما حل في البلاد من جراء الحروب الدينية او الاقتصادية الطويلة من دمار وخراب[٥]. وكثيرا ماكان المستوطنون من غير الانكليز يكيفون انفسهم وفق ثقافة المستوطنين الاصليين ،الا ان ذلك لم يمنع من المصادمات والحروب الدامية بين المهاجرين ،اما بسبب التنافس على المستعمرات او على اثر العداوات السابقة نتيجة الحروب بين الدول الاوربية [٦]

.

وعلى الرغم من ان الحكومة الاسبانية هي التي خاطرت بارسال بعثتها الاولى بامر من (ايزابيلا)(Ezabella)[*] بعد موافقتها على الحاح كرستوفر كولومبس الذي

---

[١] ويلسون ،جورج ،اف ،من عصر الاستكشاف ،(بغداد ،١٩٥٨م) ص٢٤.

[٢] برايس ،جيمس ،المؤسسات والنظم الامريكية ،ترجمة انيس صايغ ،(الدار الشرقية للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٦٤م)ص٤٣.

[٣] م ، ن، ص ٤٤.

[٤] Allen,Frederick Lewis,The Big chang, America transfoms itself(Harper and brothors,1952),p.221.

[٥] Franklin,John Hope,form silvery to freedom,(Alfred A. knopf,Inc.,1956),p.63.

[٦] بروجان ،المصدر السابق ،ص١٨٠.

[*] ملكة اسبانيا(١٤٧٤-١٥٠٤م)،اعتلت العرش بعد وفاة ملك الكاستيل هنري الرابع ١٤٥٤-١٤٥٤م ،اذ اسند العرش الى ابنته (جوانا)انصياعا لرغبة امها البرتغالية.الا ان النبلاء وخلافاتهم مع هنري فقرروا مع رجال الدين مؤتمرا في (أفيلا)سنة ١٤٦٥م قرروا فيه اسناد العهد الى اخيه الفونسو .غير ان وفاة الاخير اربك الوضع مجددا فاتجهت الانظار الى اخته ايزابيلا زوجة فرديناند وريث عرش الاركون سنة ١٤٦٩م.وبذلك اتحد العرشان= =الكاستيلي

فشل باستحصال الموافقة من حكومته في ايطاليا ولا من البرتغال،فانها لم تستمر الدولة الاولى في استغلال خيرات العالم الجديد[١]. ويبدو ان اخبار السفن العائدة من العالم الجديد بعد ان وصلت الى بقية دول اوربا بما تحمله من الذهب والاموال فكانت دافعا لمناصبة اسبانيا العداء من قبل بقية الدول وخاصة بريطانيا التي تصدت بقراصنتها للسفن الاسبانية المشحونة بكنوز العالم الجديد ،ينهبونها ويغيرون على المرافيء الاسبانية في سواحل امريكا الشرقية ويعيثون فيها فسادا [٢]. كانت الملكة(اليزابيث)(Elizabith) حريصة على انشاء مراكز بين فلوريدا ونوفاسكوشيا للاغارة على السفن الاسبانية واضعاف سيطرة (فليب) ملك اسبانيا ،و كانت النتيجة ان هاجم الاخير انكلترا في عقر دارها ولكنه لم يلبث ان غُلب على امره وُهزم اسطوله سنة ١٥٨٨م فزالت بذلك قوة اسبانيا البحرية واصبح الاستعمارمن نصيب منافسيها[٣] .

ويبدو ذلك واضحا في اسماء المستعمرات الجديدة التي انشأتها الدول الاوربية في العالم الجديد ،مثل مستعمرات (نيوانكلند)(New England) التابعة لانكلترا و(نيوبرن)(New Bern)التابعة لسويسرا و(نيو امستردام)(New Amistirdam)الهولندية ومستعمرات (فرنسا الجديدة)(New France)المحيطة بالمستعمرات الانكليزية على شكل هلال من الشمال والغرب[٤].

لقد اثار الوجود الاوربي في العالم الجديد سلسلة من الحروب الدامية دامت لسنين طويلة اثرت كثيرا في تفكك النسيج الداخلي لبنية المجتمع الامريكي على اسس من التفرقة الاثنية والقومية والعنصرية وفي مختلف جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،فالصراعات السويدية الهولندية على وادي

والاراكوني فكانتالبداية الحقة لتاريخ اسبانيا الحديث. شرعت بالاستيلاء على اخر الامارات الاسلامية وهي غرناطة .كما وضعت الحجر الاساس للامبراطورية الاسبانية عند اكتشاف كولمبس عن طريق الخطأ العالم الجديد سنة ١٤٩٢م.

[١] بروجان ،المصدر السابق ، ص ١٨١.

[٢] زيادة ، فرحات ،المصدر السابق ،ص٥.

[٣] Hofstadter,Richard, Op.Cit.,P.33.

[٤] . Savelle,Max,A Short History of American Civilization,(The Dryden press,1957),p.42

(ديلاوير)(Delawer) والحروب الهولندية الانكليزية و الصراع الانكليزي الفرنسي الذي اشتركت فيه المانيا واسبانيا والبرتغال [١]. الى جانب هذه الحروب الدموية الطويلة بين الانكلوسكسون والشعوب اللاتينية والتي شكلت الجزء الاكبر من الذهنية الامريكية ،كان هناك صراع بين المستوطنين وسكان الارض الاصليين الذين اطلق عليهم خطأ (الهنود الحمر) ،اذ حاولوا جزافا الدفاع عن ارضهم وخيراتهم امام ذلك السيل الهائل من الجيوش المنظمة وغير المنظمة التي اعتمدت في باديء الامر القوة والقسوة والابادة الجماعية للسكان الاصليين في البلاد الجديدة[٢] ،والتي تمثلت بما قام به الاسبان وخاصة (البيزاريون)باستيلائهم على (بيرو)وهي نقطة الانطلاق صوب حوض الامازون وشيلي وقلب امركاالجنوبية [٣].

كان السكان الاصليين يتوجسون خيفة من القادمين الجدد ،لذلك اعدوا انفسهم وتهيأوا لمواجهتهم فكانت هناك حروب كثيرة ازهقت الكثير من الارواح ،واستمر ذلك حتى بعد الاستقلال [٤].وما كان اهتمام الحكومة الفدرالية بامر التوسع نحو الغرب الا نتيجة للالحاح المستمر من قبل طالبي استيطان تلك الجهات.وكثيرا ما استولى هؤلاء على بعض الاراضي بالقوة ، على الرغم من ان ملكها كان مضمونا للهنود بمقتضى عهود مقطوعة على انفسهم[٥].وبعد ان درست الحكومة الفدرالية الموقف قررت محاربة الهنود والاستيلاء على الاراضي عنوة ،فبعثت اليهم بحملة في السنة الثانية من نهاية الحرب مع الوطن الام التي بدات عام ١٨١٢م واستمر القتال قائما بين الطرفين زهاء ربع قرن ،كان من نتيجته اندحار الهنود واستيلاء المزارعين وشركات سكك الحديد على اراضيهم بعد ترحيلهم عنها بصورة قاسية خالية من الرحمة مما حمل رئيس الولايات المتحدة آنذاك (روثر فورد)(Rother Ford) على التصريح قائلا: ((ان الكثير من حروبنا مع الهنود ان لم يكن اكثرها كانت نتيجة

---

[١] جبسون ،المصدر السابق ،ص٦٦-٦٧.

[٢] ارفينج،لينارد ،المصدر السابق ،ص١٠.

[٣] م.ن.

[٤] زيادة، فرحات ،المصدر السابق،ص٤٤.

[٥] م ، ن ، ص ٤٥.

لنقضنا عهودنا او لاعمالنا))[١] وانتهت المعارك بوضع قوانين لتحديد العلاقة مع الهنود الحمر وكانت علاقة الوصي بالقاصر[٢].وعلى الرغم من ذلك فقد تخلل تلك الفترة نوع من التفاهم والتبادل التجاري مع المستوطنين وبعض قبائل الهنود الحمر مثل تجارة الفرو والجلود[٣]،ليس هذا فحسب بل ظهر من المستوطنين من دافع عن حقوق اهل الارض الاصليين وطالب برفع الحيف عنهم واخص بالذكر (روجر ويليمس)(Roger Williams) الذي كان يرى ان على شركة خليج ماسوشوستس ان تدفع للهنود حقهم في الاراضي ،وكذلك لم ير تحويلهم عن دينهم مادامت طقوسهم الدينية تمثل طريقتهم الخاصة في العبادة ،الا ان ذلك لم يرق (للبيوريتانين) مما اضطرهم الى نفيه [٤]. وقد استخدمتهم الدول الاوربية كجزء من ادوات الصراع فساندتهم فرنسا ضد الانكليز وساندهم الانكليز بعد الاستقلال ضد الامريكيين[٥].الا انهم بالنتيجة كانوا مصدر قلق لجميع الاطراف مما دفعهم الى التقهقر وحصر انفسهم في مناطق الغرب ثم بعد ذلك تحتم عليهم ان يندمجوا ويذوبوا في المجتمع الجديد لاحول لهم ولاقوة [٦].

ولم يكن المجتمع المكون للارض الجديدة قد صنعته الهجرات الطوعية بل هناك الزنوج الذين جلبوا قسرا من افريقيا ،وقد تزايدت اعدادهم في القرن السابع عشر ولاسباب اقتصادية[٧]. حيث اقتصرت اعمالهم في شمال البلاد على الخدمة في المنازل ،وفي الجنوب كانوا اداة فعالة لدى كبار المزارعين يصعب معها الاستغناء عنهم.وكان لهذه الحقيقة وجه واضح في الحرب الاهلية التي نشبت في اواسط القرن التاسع عشر (١٨٦١-١٨٦٥م) [١] .

---

[١] وليس ويجر ،المصدر السابق ،ص٢٠٦.

[٢] سافيل ماكس ،اقلية مؤلفة من واحد ،(مط شفيق ، بغداد،١٩٦٤م)،ص٥٤.

[٣] رابت ،بويس ،المصدر السابق، ص١٨.

[٤] سافيل ماكس ،المصدر السابق ،ص٥٤.

[٥] وتني ، فرنسيس ، المصدر السابق،ص٦٣.

[٦] م.ن. ص٦٤.

[٧] Franklin, John Hope, From Slavery To Freedom ,(Alfred A, Kmopf, 1956),P.65.

[١] Franklin, John Hope,Op.Cit, P.72

على الرغم من تعدد القوى المهيمنة على المستعمرات في العالم الجديد ،الا ان انكلترا استطاعت ان تنتزع السيطرة من الدول الاوربية الاخرى وتبسط سلطانها ونظامها عليها [٢]. لكن تلك السيطرة المتعالية والمبنية على عدم المساواة هيأت اجواء رافضة في اوساط المجتمع الجديد حتى كان التمرد والمطالبة بالاستقلال النتيجة الحتمية لذلك [٣].حيث اسفرت عن حربين شرستين بين المستوطنين وبين الدولة الام ،كان ثمرتها الاستقلال وظهور قومية جديدة نشأت اوربية واضحة امريكية لها صفاتها التي احتفضت بشيء من تراثها واختلفت في اشياء كثيرة[٤]. فالمستوطنون الاوربيون الذين حملوا الافكار الاوربية وقضوا طرقا للحياة تلائم مناخا مختلفا ومجموعة مختلفة من الامكانات الاقتصادية ومجتمعا شدت اجزاءه في البداية عادات سياسية واجتماعية مستوردة ،قد خلفوا ببطيء وبازمان متكررة عادات امريكية سياسية واجتماعية وثقافية لتحل محل المستوردات الاوربية [٥].

لقد فّعلت هذه الحالات الاجتماعية هذا النوع من الحياة المؤسسة على مبدأ ذرائعي ((اشق او مت)) أذ نتج حيال ذلك حياة منافسة من اعلاها الى اسفلها وذلك لعدم وجود استقرار حقيقي ولا امان حقيقي لاحد[٦].وادى هذا الى تشكيل ثوابت في شخصية المجتمع الامريكي يمكن اجمالها بالفردية والايمان بالقوة وعدم الثقة والشك.وهذه الثوابت اصبحت القاعدة الاساسية التي ترتكز عليهاالنظرة الى الآخر[٧].ولعلنا ندرك ذلك بشكل جلي في الميادين الفكرية والثقافية التي ضمت بشكل دقيق الموروثات الاوربية وتجارب تفوقها على العالم الجديد. فالكُتاب والمفكرون الاوائل استعادوا الذاكرة الثقافية والارث الحضاري للاقطار التي جاءوا منها ووضفوه مع تجاربهم القومية الجديدة [١].

---

[٢] جبسون ، المصدر السابق ،ص٦٦-٧٥.

[٣] م،ن، ص٧٦.

[٤] ديفيد سون، فيليب ،رائدا الحرية ،ادمس وبين ،ترجمة نظمي لوقا ،(بغداد ،١٩٥٨م)،ص٨٧.

[٥] بروجان ، المصدر السابق ،ص٤٤.

[٦] م،ن ،ص٤٧-٤٨.

[٧] جيمس برايس ، المصدر السابق ،ص٤٠-٤١.

[١] ويليس ويجر ، المصدر السابق ،ص٢٦-٢٨.

ان كتابات ارفنج عن العرب والتاريخ العربي تبدو فيها التركيبة الاوربية الامريكية واضحة بسبب اعتماده على المصادر الاولية الاوربية مثل كتاب (تاريخ العرب)(The History of Sarasens) لـ (اوكلي)(Ockeley S.) و(انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية)(Decline and Fall Of The Roman Empire) لـ (جيبون)(Gibbon) والذي تناول الفصل الخامس عشر منه شخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)وترجمة (جورج سيل)(George Sale) للقرآن الكريم ،وكتاب (همفري بريدو)(The History Of The Eastern Church) بالاضافة الى كتابات (دي ساسي)(De Sasy)و(هامر –بروجنشال) وغيرهم التي كانت تصل الى ايدي القاريء الامريكي في وقت مبكر [٢].قد اطلع (ارفنج) على تلك المؤلفات ومثيلاتها،وجهد الى هضمها وتوظيفها واسباغ الروح الامريكية الجديدة عليها محاولة منه ان يشحذ الهمم في عرض قدرة العرب والمسلمين على بناء حضارة عظيمة في ارض غير ارضهم محاولا المقارنة ولو بصيغة غير مباشرة بين المستوطنات الجديدة وبين العرب في الاندلس [٣]. ولم يترك ارفنج في معظم كتاباته عنصر او فلسفة الشك في المصادر الاوربية وما تحمله من استنتاجات لاهوتية بعيدة عن الواقع كما سياتي ذكره في الفصول القادمة.[٤]

ولم تخلُ كتابات الكتاب الامريكان الذين اتصلوا بالشرق في وقت مبكر من القرن التاسع عشر امثال (هيرمان ملفل Herman melville) و(توين Twain) وغيرهم ممن اخذوا الموروث الاوربي ولكن بعد تكييفه مع العقلية الامريكية الجديدة مظهرين القدرة على اغناء القاريء الامريكي عن كتابات الاوربيين فيما يخص الشرق والشرقيين[٥] .

---

[٢] Irving ,Pierre M,The Life and Letters Of Washingt Irving ,(Butnam, 1863),P.349؛ P.M, Holt, The Treatment of Arab History,P.290

[٣] Irving ,Pierre M,The Life and Letters Of Washingt Irving,Op.Cit,P.209.

[٤] Emerson, Ralph Waldo, The Complete Works Of Emerson , (Boston, Mifflin And Company ,1954),P.112

[٥] ويليس ويجر ، المصدر السابق ،ص٣٠.

المبحث الثاني

الاستشراق الامريكي ..الخلفية التاريخية والتوجهات في دراسة التاريخ العربي الاسلامي:

كان استيطان العالم الجديد كما مرّ ذكره قد جاء عقب حركة واسعة من التوسع الاوربي عامة بما يسمى بعصر الاستكشافات من اجل السيادة والنفوذ واكتشاف الاسواق للصناعات الاوربية [١]. ولذلك فقد تعددت الاجناس واختلفت اللغات والثقافات والتوجهات وتنوعت الاثنيات والقوميات والمذاهب[٢].غير ان هذه الاجناس جميعها قد انصهرت في القرنين السابع عشر والثامن عشر وتبلورت حول الفئة المتكلمة بالانكليزية واصبحت شعبا جديدا له انتماءً قوميا يشده للدفاع عن ارضه وخيراته امام كل الدول الاستعمارية حتى تلك الدول التي انحدروا منها[٣] ،حيث ذكرياته المؤلمة عن الفقر والعوز والظلم والاضطهاد والقسوة ،وما عاناه في الارض الجديدة من ماسي وحروب لقرون طويلة امتدت من اليوم الاول الذي وطئت فيه اقدام كولومبس للعالم الجديد، وحتى اعلان الاستقلال عام ١٧٧٦م الذي نشبت على اثره حربا شعواء بين الوطن الام والمستعمرين انتهت في عام ١٧٨٣م باستقلال المستعمرات الامريكية لتصبح الولايات المتحدة الامريكية امة لها انتماؤها القومي الجديد [٤].

مبدئيا فان الاستقلال قد حقق شعورا جديدا عند المستوطنين الجدد بانهم ينتمون الى امة لها كيانها وشخصيتها وفلسفتها في الحياة والانتاج[٥]. وانعكس ذلك على نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وبالخصوص على الناحية الادبية

---

[١] ويتني فرنسيس، المصدر السابق ،ص ٥٥.

[٢] بروجان ، المصدر السابق ، ص ٤٦.

[٣] ويتني فرنسيس ، المصدر السابق ،ص٥٣.

[٤] زيادة ، فرحات ، المصدر السابق ،ص٥٧.

[٥] .Franklin, John Hope, Op.Cit,P.65.

والثقافية[1] فالاتجاه الاساسي الذي بُنيت عليه الافكار والاساليب الادبية هو مبدأ الاتحاد القومي ،فانه قد امدّ جميع النشاطات بعناصر من القوة والعنفوان التي ظهرت بظهور الجمهورية الفتية [2]وتاثر الكتّاب بهذه الروح وراحوا يفاخرون بعزتهم القومية وبصلاح النظام الذي كانوا يعيشون في ظله ،خصوصا بعد ان اصبحت اوربا ساحة للاضطراب والثورات السياسية [3].

وشكل هذا الشعور النواة الاولى للاستشراق الامريكي او الدافع الاول من بين دوافع كثيرة يمكن تحديدها ابتداءا برفض الاستمرار في الاعتماد على الموروث والمستورد الاوروبي اذ شخص الكاتب الامريكي (رالف والدو امرسون)(R.W. Emerson)(١٨٠٣-١٨٨٢م) هذه الروح الجديدة بنزعته الرافضة للتقليد والاعتماد على الغير ومحاولة اسباغ القومية الجديدة على كل شيء ،حيث يقول في احدى خطبه ((لقد اصبحت الايام التي كنا نعتمد فيها على علوم البلدان الاجنبية ومعارفها ونتتلمذ على رجالاتها في دور النهاية ،فملايين الناس يخوضون في غمار الحياة في هذا المحيط لايمكنهم ان يعيشوا على هذه البقية التافهة من المنتجات الاجنبية .فتحدث بيننا حوادث واعمال يجب علينا ان نتغنى بها ان لم تتغن هي بنفسها))[4]

واكد امرسون ايضا ((ان تاثر الامريكيين بالافكار والاوضاع الاجنبية وتقاليدها وقيمها ادى بهم الى احتقار قواهم العقلية فاصيبوا بالعقم في الابتكار الادبي والفني))[5]ويستدل من توصيات امرسون هذه وغيره من الكتاب امثال (جيمس فنيموركوبر)(J.F Coper) (١٧٨٩-١٨٥١م) و(ناثانيال هوثرون)(N.Hawthorne) (١٨٠٤-١٨٦٤م)و(وليم سيمز)(William Seimes) (١٨٠٦-١٨٧٠م) وغيرهم اهتمامهم باظهار قوميتهم الجديدة بالمظهر المتميز والمستقل بنهضته عن غيره وبردة الفعل عن الروح الاستعلائية التي كان الانكليز ينظرون بها نحو غيرهم

---

[1] زيادة ، فرحات ، المصدر السابق ،ص٢٤٣.

[2] Franklin, John Hope, Op.Cit,P.244.

[3] ويتني فرنسيس ،المصدر السابق، ص٥٥.

[4] Emerson ,O.P.Cit, P.108

[5] Emerson ,O.P.Cit, P.105

وخاصة تجاه الامريكان[١]،هذا من جهة ومن جهة ثانية محاولتهم الاهتمام بالمواضيع المحلية الامريكية معرضين عن المواضيع (الكلاسيكية) القديمة او التي تُمتْ الى العصور الوسطى بصلة[٢] .

فان (كوبر)(Coper) مثلا تعرض للصراع بين الموالين والمناوئين للتاج البريطاني والشجاعة التي تجلت على الحدود الغربية لامريكا[٣]. وعرّف كوبر لاول مرة الجمهورية الامريكية الى العالم القديم باسلوب جذاب استهوى نفوس الاوربيين ،وردّ على منتقديهم من ذوي النزعة الارستقراطية بمقالات عديدة مدافعا عن الحكومة الامريكية وشعبها[٤]. ومثل (هوثرون)(N.Hawthorne) الروح الجديدة في نيوانكلند خير تمثيل ،حيث اخذت العلوم الطبيعية والاراء العلمانية تشذب الاوهام البيوريتانية وتعمل للقضاء عليها[٥].كما ان (ويتمان)(Witman)كرس مواهبه في التغني بامريكا واهلها وعلى الاخص العامة منهم ،ولاقت اشعاره استحسانا كبيرا لدى الشعب الامريكي [٦].

في الوقت نفسه برزت الى الوجود طبقة اخرى عكست قدرة الامريكان على مجارات الكتاب في العالم القديم والاحرى استطاعتهم على انجاز ماهو افضل من غيرهم ،وفي شتى المستويات[٧]. وهذا يعكس الحالة النفسية للمجتمع الامريكي تجاه الدول الاوربية والتي تعبر عن رفض كل انواع الاستعلاء والغطرسة الموجهه ضدهم .وزاد ذلك الشعور عند بعض الكُتّاب ،امثال (مارك تواين) (Marck Twain) لوصف الثقافة الاوربية بالثقافة (الهرمه) حيث اصبح ذلك شائعا في اوساط المثقفين

---

[١] زيادة ، فرحات ،المصدر السابق ،ص ٢٤٦.

[٢] م.ن.

[٣] ويجر ،ويليس ، المصدر السابق ،ص٥٦ .

[٤] فرحات ، المصدر السابق ،ص٢٤٧.

[٥] ويجر ،ويلس ،المصدر السابق ص٥٩.

[٦] م.ن.ص ٩١.

[٧] Raw Laurence , American Literature and Orientalism ,(Journal of American Studies, No,9, 1999, P.32.فرحات ،المصدر السابق ،ص٢٤٨.

الامريكان [١].وقد سادت بين اوساط المثقفين والعامة فلسفة قوامها بأن الله قد اختار الشعب الامريكي خاصة وقاده ليحقق نوعا من الحرية والمدنية مفادهاانها اسمى من أي مدنية حققتها أي دولة اخرى[٢].الا ان هذا لايعني ان الشعب الامريكي استطاع الاستغناء عن نتاجات وانجازات واسهامات الاوربيين سواء في المجال الاقتصادي او الثقافي الادبي ،بل كانت بمثابة دعوى للانصراف الى حصر الاهتمامات في شؤون البلاد وترقية حياتها القومية ، متجاهلين مايجري خارج حدودهم [٣].فنجد الاديب والمستشرق (واشنجتن ارفنج) (Washington Irving) قد كتب تاريخ العرب في الاندلس وحياة محمد (ﷺ) مؤكدا ان المكتبة الامريكية يجب ان تلبي لقرائها كل ماتحتويه المكتبه الاوربية ولكن باقلام امريكية [٤]. فالمرحلة الاولى بعد الاستقلال كانت تستهدف تاسيس هوية قومية للولايات المتحدة ،وتستقي خصوصيتها من الاختلاف المفترض عن العالم القديم ،الشرقي الاسيوي والغربي الاوربي [٥].

ولعل ذلك يتضح من خطب امرسون فقال في احدها ((ان المجد الذي نعزوه الى موسى وافلاطون وملتون هو ليس لانهم تكلموا بما كان يفكر الاخرون ،بل لانهم تكلموا بما فكروا به انفسهم .فعلى المرء ان يستنير بذلك النور الداخلي الذي يشع احيانا في فكره قبل استنارته بما يبهر من اقوال الشعراء الحكماء))[٦]
فالشرق الذي مثّله امرسون بموسى والغرب الذي مثله بافلاطون وملتون وما قدموه من امجاد ماهو الا تعبيرا عن ذواتهم الاسيوية والاوربية ، وعلينا ان يكون لنا تعبير ينسجم مع هويتنا الجديدة وينعكس من ذواتنا المستقلة عن الاخر .

---

[١] ويجر ،ويليس ، المصدر السابق ،ص٢٥٥.

[٢] جيمس برايس ، المصدر السابق ،ص١٩٢.

[٣] فرحات،المصدر السابق ،ص١٠٧.

[٤] Irving ,Life Of Mohamet, P.5

[٥] الدعمي ،محمد ،في جذور الاستشراق الامريكي ، مجلة شؤون اجتماعية ،(العدد٤٤ ،١٩٩٤م)،ص٩٣.

[٦] Emerson ,O.P.Cit, P.108.

ويتجسد الدافع الثاني بالشغف الادبي وحب الاطلاع ومحاولة التعرف على الحضارات الاخرى ، فالكُتّاب والادباء لم يتركوا مجالا من مجالات الادب او التاريخ الا حاولوا الكتابة به ،ويمكن تشخيص بداية هذا الاهتمام من خلال ماعبر عنه الكُتّاب الخياليون والمفكرون والشعراء الامريكيون في بداية المطاف والذين كانوا يتبنون افكار ومفاهيم المدرسة الرومانتيكية التي زاد شيوعها في نهاية القرن السابع عشر[١]،وقد وجد انصار هذه المدرسة في الشرق الغريب والبعيد نموذجا يلبي توجهاتهم الادبية، لذا نجد ان الروايات الشرقية لها صدى كبير في الوسط الشعبي الامريكي كما هو في وسط المثقفين والمفكرين ،حيث قصص الف ليلة وليلة وقصص علاء الدين وغيرها كانت من الروافد المبكرة في الادب الامريكي، فقد عبرت تلك الروايات الاطلسي واستقبلت بنفس الاهتمام والحماس الاوربي عن طريق القراء والجمهور الامريكي[٢] .ان اول طبعة لقصص (الليالي العربية) قد ظهرت في فلاديليفيا اواسط القرن الثامن عشر وظهر تأثيرها في كتابات الكثير من الادباء الامريكان امثال الروائي (هاملن غارلاند) (Hamlin Garland) الذي وصفها: ((احد اهم كتبي المبكرة هو علاء الدين ومصباحه السحري وان كان صغير الحجم الا انه يحتوي على كل السحر الشرقي)) (Aladdin and his wonderful lamp) وكذلك الكاتب (هارت بيجر ستو) (Harriet Beecher Stowe) قد كتب تجربته مع قراءة الليالي العربية[٣] ، و(جارلس دودلي) (Charles Dudley) مثال اخر على انعكاس اثر الليالي العربية على المؤلفين الامريكيين[٤] ، و(هنري وودسوورث) (Henry wadsworth) حيث اكد بان الليالي العربية اصبحت من اهم المحتويات المستخدمة لوصف العرب وعالمهم[٥] . وقد اثرت النهضة الاقتصادية في ازدهار

---

[١] ب.م .هولت ،من رواد الدراسات العربية في انكلترا ،مجلة الاستشراق ،العدد٢ ،١٩٨٧،ترجمة ،د. يؤيل يوسف عزيز)،ص٢٥.

[٢] Abdul Razzak,The Arabian Nights in America:A General Survey ,(Orientalism ,3, Baghdad ,1989),P.29.

[٣] Duncan B. Macdonald ,A Bibliographical and Literary Study of thee First Appearance of the Arabian Nightsn Europe,(The Literary Quarterly, 1832),P.405.

[٤] Scott, P.J.M. Reality and Comic Confindence in Charles Dickens . (london and Basingstokes, 1979), P.143.

[٥] Muhsin Jassim Ali, Nineteenth-Century Criticism of the Arabian Nights ,(Ph. D. dissertation , Dalhousie University, 1978),P.113.

الكتابة والتأليف وزادت من اقبال المسافرين الى الشرق الاوسط مثل الرحالة (ملفل هيرمان) (Herman melville) الذي اطلع على روايات الف ليلة وليلة بوقت مبكر من عمره ، فكان لذلك تاثير كبير في تحمسه الى السفر الى الشرق . فزاراليونان ، وتركيا ، ومصر، وفلسطين[١] . ويظهر من خلال كتابه(Fragments from writing desk) (شذرات من منضدة المكتب) مدى تعلقه بالحكايات الشرقية ووصف حياة الشرقيين وادابهم ودياناتهم[٢]. ومن اولئك الرحالة (امرسون) (Emerson) ، (ثوريو) (Thorean)،(الكولت) (Alcolt) ، (جانثان) (Janathan) وغيرهم[٣]. فقد كان محفزهم الاول للسفر الى الشرق الروايات والقصص العربية من اجل الاطلاع على ثقافته ولغاته واديانه ومحاولاتهم كتابة تلك المعلومات التي الّموا بها خلال سفراتهم[٤] . كتب امرسون كتابا عنوانه (Perpetual forces) (القوى الابدية) حيث جعل فيها شهرزاد النموذج العالمي للمتعة الادبية وكذلك تحفظ هذه الاقصوصة بهجة وحياة الشباب الاوروبيين والامريكان[٥] . وقد شكلت كتب السفرات موردا جديدا يدفع لزيادة الشغف في التعرف على الشرق[٦] .

اما الدافع الثالث فكان من اجل التعرف على الحضارات الاخرى ، ويمكن القول ان الرومانسية الامريكية وشغفها بالشرق قد كان عاملا مساعدا لزيادة عدد المهتمين بالحضارة العربية الاسلامية بعد ان وفرت لهم كتب الرحلات وصفا للمجتمعات الشرقية وما تحويه بلدانهم من اثار وكنوز حضارية عظيمة[٧] . ويعدّ (واشنجتن ارفنج) (Washington Irving) من الرواد الاوائل للمستشرقين الامريكان الذين كتبوا عن الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس متنقلا من الرومانسية الى التاريخ باسلوبه الخاص والمتميز ، فقد كتب في بداية حياته الادبية بالاشتراك مع (جيمس

---

(١) ويجر،ويليس ، المصدر السابق ، ص ٥٧.

(٢) م ، ن، ص ٩٥.

(٣) Abdul Razzak, Op,Cit,P.31.

(٤) Mukhtar Ali Isani, The Oriental Tale In America(Princeton University,1962),p.123.

(٥) Mukhtar Ali Isani,P.204.

(٦) Alexander Cowie,The Rise of The American Novel,(New yourk,American Book Company,1951),p.328.

(٧) Ibid, P. 285.

بلدنك) (James Paulding) في سلسلتهم (Salmagundi) من اوائل سنة ١٨٠٧م متاثرا بالروايات العربية وخاصة رواية الف ليلة وليلة وقد كتب قصص قصر الحمراء فيما بعد بالسمات نفسها المألوفة في قصص الليالي العربية وذلك واضحا في قصصه السجادة السحرية والحصان السحري[١]. وقد رأى (بو) (Edgarallen Poe) في الحكايات الشرقية فرصة مناسبة لاسترسال السخرية والهجاء بالعادات الارستقراطية في المجتمع الامريكي[٢] ، وقد اطلق لرواياته عنوان (Arabici) (فن الزخرفة العربي) واكد ان الروايات والقصص العربية هي افضل مدخل الى التاريخ العربي الاسلامي والاطلاع على الحضارة العربية[٣] . وكذلك حفزته قراءاته الاولية عن الروايات والقصص العربية للمزيد من الاطلاع على القرآن الكريم من خلال ترجمة جورج سيل للقرآن الكريم[٤] . ويرى (هنري واتسوورث) (Henry wadsworth) ان روايات الليالي العربية اصبحت من اهم المحتويات المستخدمة لوصف العرب وعالمهم[٥] . كما حدد الكاتب والاديب (ناثنيال هوثرن) (Nathaniel Hawthrorne) ان الليالي العربية قد ايقضت اهتماماته بالحضارة الشرقية ودفعته للاطلاع على المؤلفات التي تهتم بتلك الحضارة وخاصة كتب (اوكلي ،جيبون و بوركهارت)[٦] .

اما الدافع الديني فقد ترك اثارا واضحة على بدايات الاستشراق الامريكي وان كان ذلك من موروثات الافكار والمفاهيم والفلسفات الاوربية ، الا انه يمكن ملاحظة محاولة الخروج عن ذلك الموروث في كتابات ارفنج وامرسون وملفل وغيرهم[١]، حيث مثل هؤلاء تيارا كنسيا جديدا ليس رهبانيا ، ويعود سبب ذلك الى ظهور فلسفة

---

(١) Nasir Sari,The Image of The Arab in American Popular Culture,(University of Illinois,1962),p.126.

(٢) L.Moffitt Cecil,Poe's Arabesque (New yourk,1966),p.65.

(٣) Abdul Razzak, Op,Cit,P.32.

(٤) Kurt F. Leidecker,Edgar Allen Poe's Orientallism(Univercity of Hoston,1966),p.278.

(٥) Abdul Razzak, Op,Cit,P.31.

(٦) William R. Polk, The United States and the Arab Worid(Cambridge, 1975),P.263.

(١) Arthur Christy,The Orient in American Transcendentalism:A study of Emerson,(New yourk ,1969),p.301.

(البراغماتزم)(Bragmatisim) على يد (بيرس ووليم جيمس وجون ديوي)(Pears,William James,John D.) والتي تعتقد بان اهمية الافكار انما تظهر في نتائجها العملية اذ لم تعد الحقيقة مصدرها التامل والوحي بل اصبحت فرضية قابلة للاختبار[٢] . كما ان الاراء الثابتة لا محل لها في السياسة والدين والاقتصاد والعلوم الطبيعية[٣] . فكانت كتابات امرسون حول التاريخ العربي الاسلامي مستوحاة من تلك الفكرة التي تهتم بالنتائج التي حققها العرب المسلمون على ارض الواقع ، حيث يشيد بالروح الحماسية التي نفخها الاسلام في نفوس معتنقيه[٤] ، وجهد على ان يظهر الاسلام والنصرانية يعبران عن حقيقة جوهرية واحدة[٥] . ويؤكد امرسون ان الحكمة المحمدية المتمثلة بالقول (ان المعرفة جيدة اذا ما كان الايمان دعامتها) وهي غاية ما تحتاج اليه امريكا في ذلك الوقت[٦]. ويرى في اسباب تقدم العرب المسلمين انهم حافظوا على سجايا احترام النفس والكرامة[٧] . وفي هذا يحاول امرسون التركيز على ما يحتاج اليه الامريكيون ليكونوا امة قوية قادرة على بناء نفسها ومنافسة للاخرين[٨]. ولم يذهب ارفنج في كتاباته الا الى ما اراده امرسون وخاصة في مؤلفاته الاندلسية (فتح غرناطة) (Conquest of Granada) و(فتح اسبانيا) (Conquest of Spain) و (الحمراء) (The Alhambra) حيث يندفع لاظهار التناقض بين اسبانيا العربية واسبانيا الامبريالية[٩] فالاثار العظيمة التي تركها العرب المسلمون ماهي الا دلالة كبيرة على قدرتهم الابداعية وان الدين الاسلامي كان المحرك الاساسي لاؤلئك

---

[٢] فرحات،المصدر السابق ،ص١٢١.

[٣] بيتر جران، المصدر السابق،ص٧٩.

[٤] Emerson ,O.P.Cit, P.204.

[٥] Emerson ,O.P.Cit, P.204.

[٦] Ibid, P.112.

[٧] Ibid, P.110.

[٨] Ibid, P.108.

[٩] Obeidat, Marwan M.,Washington Irving and Muslim Spain,(Intermational Journal of Islamic and Arabic Studies, No,4, 1987),P.29.

الرجال الذين بنوا هذه الحضارة في ارض غير ارضهم ،الا ان الدمار الذي أُلحق بتلك الصروح ينتمي الى ثقافة ناقصة[١] .

هذا لايعني ان التوجه الامريكي الديني قد سار على الوتيرة نفسها مع الفلسفة البراغماتية بل هناك مايقابلها من الرغبة الجادة في التبشير والاهتمام بنشر النصرانية في بلاد (الكفر والهرطقة) كما جاء في كتابات (صموئيل زويمر) (S. Zewemer) وغيره من المبشرين الذين يمثلون التيار الكنسي اللاهوتي والذين حاولوا الاتصال بالشرق لغايات واهداف بعيدة كل البعد عن نظرة امرسون وارفنج[٢] ،الا ان الطرفين كانا يشكلان الصورة الحقيقية للدافع الديني تجاه الشرق[٣] .

كان للدافع الاقتصادي الذي مّيز مرحلة متقدمة في تاريخ الاستشراق الامريكي وخاصة بعد الحرب الاهلية سنة ١٨١٥م حيث الاهتمام الواسع في مجال الصناعة والزراعة وما حقق من نجاحات مهمة في هذين المجالين وانعكاساتها على التجارة بسبب وفرة السلع وندرة الاسواق او بالاحرى الاحتياج الى اسواق لتصريف الفائض من الانتاج عن حاجة الاسواق المحلية بالاضافة الى البحث عن مصادر المواد الاولية وبشكل خاص في بلاد الشرق الاوسط التي كانت منطقة تنافس بين الدول العظمى بريطانيا وفرنسا ، كان لكل ذلك اثار ايضا في الاستشراق الامريكي[٤] .

ان هذا يمثل عقبة كبيرة امام امريكا الدولة الناشئة ،لذا حاولت ان تحذو حذو بريطانيا في مجال الاستشراق لما له من اهمية كبيرة في معرفة اوضاع مناطق الثروة اجتماعيا وسياسيا وثقافيا[١] .فكانت الجمعية الاستشراقية الامريكية التي تأسست في بوسطن(Poston) سنة ١٨٤٣م من ابرز المنعطفات في مجال الاستشراق الامريكي

---

(١) Raw Laurence , Op,Cit,P.72.

(٢) See ,Zewemer, S.M.,Arabia The Cradle of Islam, Op,Cit,P.360.

(٣) Obeidat, Marwan M., Op, Cit,P.31.

(٤) بيتر جران ،المصدر السابق ،ص٥٩.

(١) Addison, James Thayer, The Christaim Appoach to The Moslem, (New York,1942),P.196.

واحدى نتائج التطورالاقتصادي[٢]. وقد اكد العالم اللغوي (جون بيكيرنك) (John Pickering) كأول رئيس للجمعية بقوله : ((يتوجب على الولايات المتحدة دراسة الشرق من اجل اللحاق بالقوة الامبريالية الاوربية)) وذكر ان الهدف الرئيسي من هذه الجمعية هو تنمية مؤسسات التعليم الاسيوي والافريقي والتركيز على اللغات الاسيوية ونشر الترجمات الذاتية – سِيَر حياة الابطال والزعماء – للشخصيات الاسيوية والافريقية وخاصة في التاريخ العربي الاسلامي ،وكذلك الاهتمام بالمكتبات والكتب التي تهتم بالشرق[٣] .واخيرا تأسيس الهيئات واللجان التبشيرية والاثارية وتشجيعها للقيام بدورها داخل مناطق الشرق ،ويبدو ذلك واضحا بتركيز الاهتمامات الاولى للاستشراق الامريكي موزعة بين الاهتمام بالدين الاسلامي والقرآن الكريم الى العقائد والعلوم[٤].

لاشك ان الدافع السياسي للاستشراق الامريكي حدد توجها جديدا مخالفا لما كانت تتبناه امريكا في نظرتها الى الشرق[٥] .وجاء ذلك نتيجة طبيعية للدافع الاقتصادي والتطور العسكري الذي حصل عقيب الحرب العالمية الثانية[٦] .وقد اصبح الاستشراق الامريكي بعد ذلك التاريخ محورا للاستشراق الاوربي لما تمتعت به الولايات المتحدة من قوة عسكرية وسياسية واقتصادية تفوقت بها على القوى العظمى التي انسحبت مضطرة من الخط الاول الى الخط الثاني في التاثير الدولي[١]

---

[٢] Collins, Concise Encyclopedia,(London, Peerage Books,1985),P.457.

[٣] Layard, A.H ,Op,Cit,P.387.

[٤] انظر ،التميمي ،د. عبد الملك ،التبشير في منطقة الخليج العربي ،دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي،المصدر السابق ،ص ص٣٤-٤٠.

[٥] بيتر جران ، المصدر السابق ، ص ٧٣.

[٦] انظر ، خليل ، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ، ص ص ٣٢-٣٤.

[١] بيتر جران ، المصدر السابق ، ص ٧٢ ؛وما يؤيد تفوق الولايات المتحدة في مجال الاستشراق على الدول الاوروبية مقترح المستشرق البريطاني اربري بعد الحرب العالمية الثانية الى الحكومة البريطانية للشروع بتجديد الاستشراق البريطاني لما لحق بالدراسات الشرقية في بريطانيا من تاخر وتخلف عن الولايات المتحدة.للمزيد من التفاصيل ينظر Report of the ieterdepartmental Commission of Enquiry of oriental, Salvonic,East European and African studies,(London,1947),p.6-40.

. وبدا ذلك واضحا في زيادة اهتمام الولايات المتحدة بموضوع الاستشراق فتم تأسيس معهد الشرق الاوسط في واشنطن ، وما لبث ان أُتبع بمجلس شؤون الشرق الاوسط في نيويورك، بالاضافة الى قوة الدعم الذي خصصته حكومة الولايات المتحدة للدراسات الشرقية والجهود المبذولة من قبل مراكز الدراسات لاسقاط الحواجز الفاصلة بين مختلف فروع المعرفة، والعمل على تقدم دراسة هذه المجالات تقدما متوازيا[٢] .وتبين المقترحات التي قدمتها جامعة ميتشيغان لتوسيع دراساتها حول الشرق الحديث دليلا على الاهتمام الواسع بالشرق، ويمكن اجمالها :

١- التعريف بالشرق الادنى لاوسع عدد ممكن من الامريكيين.

٢- تشجيع الفكرة القائلة بان للولايات المتحدة مصلحة حيوية في نمو هذه المنطقة حاليا ولاحقا.

٣- تكوين فريق عمل من الخبراء الامريكيين في شؤون الشرق[٣].

ومن دون شك فان التوجه في الانتاج الادبي والفني هو من تاثيرات المحيط الذي نشأ فيه والظروف الجدية التي سادت انذاك .فالاستقلال السياسي والاقتصادي وزيادة الثروة كل هذه وجهت الافكار الى تاملات جديدة في الحياة لم يكن للكُتّاب عهدا بها من قبل. وكما ان للجوانب السياسية والاقتصادية اثرا في تقسيم تاريخ الامم الى حقب كذلك لها التاثير نفسه في تحديد الادوار الادبية والفكرية [٤].

وعلى هذا الاساس فمن الواضح ان الاستشراق الامريكي قد مرّ بمرحلتين اساسيتين ومتميزتين لكل منهما معالم واضحة تتوافق والخط الذي سار عليه المهتمون في هذا المجال .

ولعلنا نعرّف المرحلة الاولى لهذا الاستشراق بالاستشراق التقليدي أي الذي اعتمد موضوعات المستشرقين الاوربين المعروفة وبالامكان تحديد مداه الزمني من تاريخ

---

(٢) R.Bayly Windsor, Arabic and Islamic studies in the U.S. Middle East forum, No.31,1956,p.19-22.

(٣) R.Bayly Windsor, p.23.

(٤) بروجان ، المصدر السبق ،ص٤٦.

الاستقلال سنة ١٧٨٣م حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ،واما الدور الثاني وهو مانعرفه بالاستشراق الحديث والمعاصر .

يرجع سبب تسمية الدور الاول (بالاستشراق التقليدي) الى عدة متغيرات منها على سبيل المثال:- التوجه في اهتمامات المستشرقين الى التاريخ الاسلامي المبكر والوسيط وكذلك تركيزه على المواضيع والمسائل التي كررها المستشرقون الاوربيون ،بينما كان موضوع الاستشراق الحديث الرئيسي يتمثل بالتاريخ المعاصر للامة الاسلامية وبالخصوص الامة العربية لا كما في الاستشراق التقليدي ،الذي يركز على التاريخ العربي الوسيط[١] .

ان تحديدنا لسنة ١٧٨٣م كبداية للاستشراق الامريكي يرجع الى انها السنة التي تم بها توقيع انكلترا وثيقة الاستقلال للمستوطنات الامريكية ،واصبحت بموجبه المستوطنات، الولايات المتحدة ،والتي تمثل جمهورية لها سيادتها على اراضيها وتستند الى حكومة وطنية مثلّت جميع الامريكيين[٢]. فما سبق ذلك التاريخ يمكن ان يعد مرحلة النشوء والتكوين معتمدة على الدول الاوربية الذي كان العالم الجديد مسرحا لتنافسهم الاقتصادي والاستعماري[٣]. وكذلك تعد تلك المدة بمثابة مرحلة الطفولة للمجتمع الامريكي[٤] .

لذا فقد اصبح الموروث الاستشراقي الاوربي وبالتحديد البريطاني طاغيا على المستشرقين الامريكان الاوائل[٥]. والسبب في ذلك يعود الى ناحيتين اساسيتين الاولى: عوامل العزلة عن العالم الخارجي والانشغال بالمشاكل الداخلية بعد الاستقلال والناحية الثانية :اقتصار المكتبات الامريكية على المصادر الاوربية،وكانت الانكليزية الاكثر شيوعا [١]. وهناك من يرى ان الاستشراق الامريكي قد توجه الى الشرق عبر الترسبات النفسية والعاطفية التي جرفتها اليه الثقافة الشائعة

---

[١] بيتر جران ، المصدر السبق ، ص ٧٣.

[٢]. فرحات ، المصدر السابق ، ص ١٦٥.

[٣] Franklin, John Hope, Op.Cit,P.240.

[٤] فرحات ، المصدر السابق ، ص ١٦٩.

[٥] بيتر جران ، المصدر السابق ، ص ٧٣.

[١] جمس برايس ،المصدر السبق ،ص٢٨١.

في اوربا [٢]. ومع بداهة هذا الاستدلال وطبيعة محوريته لكننا علينا ان لانعتقد بان المؤثر الاوربي هو مؤثر واحد اذ ان هناك ثقافات اوربية متنوعة منطلقة من فلسفات واثنيات ومعتقدات و(ايديولوجيات) افكار مختلفة ان لم تكن متعارضة،وكان ذلك واضحا في الكتابات المبكرة للمستشرقين الرواد امثال ارفنج وامرسون وبوش[٣] .

ونظرا لان الّرواد من الكُتّاب الامركيين هم في الواقع على صلة بمدرسة الادب الامريكية التي تميزت كتاباتهم بالاسلوب القصصي والروائي الذي يعتمد اساسا على خيال الاديب والقاص الخيالي مما اعطاها الشهرة والتاثير المباشر باوساط واسعة في المجتمع الامريكي يفوق تاثير الكتاب التقليديين الاوربين في مجال الاستشراق ،وهذه الكتابات اشاعت جو من الاهتمام وحب الاطلاع بين الجمهور الامريكي نحو الشرق[٤] .

وعلى الرغم من اهتمام المفكرين الامريكيين بحشد الطاقات لدعم الاستقلال وابراز قدرات الامة الجديدة على تقديم ماهو افضل وفي جميع الميادين لم يشغلهم ذلك عن الشرق ،وان كان في باديء الامر عن طريق الاتصال غير المباشر عبر الصفحة المطبوعة والمقروءة [٥]. الا أن ذلك لم يدم طويلا فقد طرأ تحول جذري في فلسفته وتوجهاته واهتماماته اذ زاد الاهتمام بالشؤون التجاريه والدينيه والاثاريه ، التي دفعت الاستشراق الامريكي نحو الشرق مباشرة[٦]. فقد سعت السياسة الامريكية الى تأسيس علاقة اقتصادية وتجارية مع اقليم حوض البحر الابيض المتوسط والمناطق المتاخمة في نهاية القرن السابع عشر[١]، وبشكل يختلف عن النظرة التوسعية الاستعمارية لبريطانيا وفرنسا والبرتغال في تلك الحقبة[٢] حيث عقدت اتفاقية بين

---

[٢] م.ن.ص ٧٤.

[٣] See, Mukhtar Ali Isani , The ORIENTAL Tale in America through 1865 : A study in American Fiction (Ph. D. dissertation, Princeton University, 1962)

[٤] الدعمي ،محمد ،المصدر السبق ،ص٩٣.

[٥] م.ن.

[٦] فرحات، المصدر السبق ، ص٢٨٢.

[١] عثمان،عوض،العلاقات الليبيه الامريكيه ،(مركز الحضاره العربيه للاعلان والنشر،الجيزه ،١٩٩٥م)،ص٤.

[٢] توماس.اي،العلاقات الدوبلوماسيه الامريكيه مع الشرق الاوسط، ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمه والنشر،(دمشق،١٩٨٥م) ،ص٥٨.

الولايات المتحدة والحكام المحليين في الاجزاء الساحلية من شمال افريقيا ، تدفع الولايات المتحده بموجبها مبالغ من المال مقابل تعهد الحكام المحليين بحماية السفن التجارية [٣].

كما ابرمت واشنطن معاهدات مع حكام منطقة الخليج العربي وشواطيء الجزيرة العربية لضمان مصالحها التجارية ،وابرز هذه المعاهدات تلك المعقودة مع سلطان مسقط سنة (١٨٣٣م) وحصلت بموجبها الولايات المتحدة على امتيازات تجارية كثيرة [٤] .

وازداد اهتمام امريكا بتجارتها مع الشرق بعد ان اصبح لها اسطولا بحريا ضخما سمح لها بادامة تواجدها التجاري في المنطقة خاصة في نهايات القرن الثامن عشر[٥]، حيث تطورت علاقاتها التجارية مع الدولة العثمانية الى علاقات دبلوماسية مكنتها من التغلغل في الكثير من مناطق الشرق [٦] .

الذي يهمنا في هذا المجال هو سعة العلاقات التجارية مع الشرق وبداياتها المبكرة مع حركة الاستقلال وما هيأت من اجواء شعبية ورسمية تجاه الشرق ،لما ينقله التجار عن مايسمى باقاليم الجغرافية المقدسة ،فكان ذلك قد اثار المتدينين الامريكان لتجشم الصعاب ووعثاء السفر في سبيل نشر الديانة المسيحية والتبشير بين اوساط معتنقي الديانات الاخرى[٧].ففي الربع الاول من القرن التاسع عشر وبعد خروج امريكا من حرب ثانية مع الوطن الام مسجلة انتصارا كانت انعكاساتها القومية اكثر من العسكرية اذ اكد (البرت جالاتين)(Albert Gallatin) قائلا: ((اما الان وبعد تحقيق النصر في ١٨١٥م فقد اصبح الامريكان يشعرون كأمة ويتصرفون كأمة اكثر من أي وقت مضى))[١].وتبرز اهمية هذا النصر عندما علمنا مدى استهانة انكلترا بالشعب الامريكي ومحاولة اذلاله باساليب تعسفية،كان منها القاء القبض على

---

[٣] عثمان،عوض، المصدر السابق ، ص ٦.

[٤] ينظر ،امريكا وعمان ،١٨٣٣-١٩٨٠ دور عمان في استراتجيتي نيكسون وكارتر ،ترجمة مركز البحوث والمعلومات ،المجلد الاول ،ص١٣٦.

[٥] التميمي ،د.عبد الملك ،المصدر السابق ، ص ٣٣-٤٣.

[٦] فرحات ، المصدر السبق ،ص٢٨٤.

[٧] Layard ,A.H, Discoveries In Nineveh And Babylon ,London ,1853, P.378.،

[١] ويتني ،فرنسيس ، المصدر السبق ،ص٧٦.

البحارة الامريكان والزامهم على العمل المضني في اساطيلهم ،وقد بلغ عدد الامريكان (٦٠٠٠بحارا)يعملون بالسخرة ضمن الاسطول الانكليزي [٢].وكذلك انزال رتب ضباط المستعمرات عندما كانوا يشكلون جيشا واحدا مع الضباط الانكليز ،ونظر هؤلاء الى الجنود الامريكان نظرة ازدراء حتى لقبوهم بالرعاع[٣].

كان ذلك النصر نقطة تحول في المشاعر القومية الامريكية[٤]. اذ اضحت الولايات المتحدة في مصاف الدول العظمى ،وتنامى عندها شعور صادق في اوساط الكتاب والمثقفين والسياسيين ان بلادهم هي بحق وريثة العالم القديم من شرقه وغربه ،وانهم يمثلون ولادة عنصر جديد لم يحقق ردعا للمستهينين بهم فحسب بل كون لديهم الروح المتعالية التي تنطوي على رؤية دونية تجاه العالم القديم وهو نفس الشعور الذي انتاب الاوربيين في النظرية العرقية للحضارة الاوربية تجاه الغير [٥].

وبالرغم من هذه المشاعر التي سادت في المجتمع الامريكي، فان امريكا لم تندفع للتخطيط نحو الاستحواذ والاستعمار على الاقل في تلك الفترة سوى التركيز على النهضة الصناعية والتجارية والعلمية والثقافية [٦].ومما يؤكد ما سبق ذكره ان الامريكيين اهتموا اهتماما ملحوظا بارسال البعثات (التبشيرية) الى الشرق وخاصة المدن الكبرى في الوطن العربي ،امثال بيروت والموصل والاسكندرية،وغيرها [١]. ناهيك عن تشجيعهم ارسال البعثات التنقيبية التي قامت بعدة عمليات حفر وتنقيب في بلاد الشرق. ففي سنة ١٨٢٠م وصل الى بيروت جماعة من المشيخيين[*]

---

[٢] ويلسون،جورج ،اف ،المصدر السابق ،ص١٤٠.

[٣] ويتني ،فرنسيس ،المصدر السابق ،ص٤٥.

[٤] Savelle,Max,A Short History of American Civilization,(The Dryden press,1957),p.42

[٥] دانجر فيليد،جورج ،حرب مستر ماديسن ،مط شفيق (بغداد ،١٩٥٨م) ،ص١٤٠.

[٦] فرحات ،المصدر السبق ،ص٢١٦.

[١] فرحات ،المصدر السبق ،ص٢١٦.

[*]المشيخانية(Persbyterians) :طائفة دينية بروتستانتية تعيش في الولايات المتحدة، ذات نظام حكومي كنسي مسيحي يقوده الكبار(شيوخ)الذين ينتخبون من قبل تجمع او حشد كنسي لا من قبل الاساقفة، مؤسسها (جون كلفن)(١٥٠٩-١٥٨٤)،وهولاهوتي فرنسي. ورغم وجود العديد من الكنائس المشيخانية، الا ان الكنيسة الاسكتلندية هي الكنيسة الرسمية الوحيدة في العالم المؤسسة بموجب القانون. ينظر Collins K Concise

موفودين من قبل (اللجنة الامريكية للاشراف على الارساليات الاجنبية) وقد اتخذوا من جزيرة مالطا مركزا لها ،ثم شعرت بضرورة العمل في سورية سنة ١٨٢٣ [٢]. وبعد سيطرة ابراهيم باشا على سورية وانتصاره على القوات العثمانية وتساهله مع البعثات (التبشيرية) قامت اللجنة بنقل المطبعة من مالطا الى سورية ١٨٣٤[٣] ،وباشراف (ايلي سمث)(Eley Smith) فصدرت عنها مصنفات (كرنيليوس فانديك ،ويوحنا ورتيب ،وجورج بوست[٤](C.Fandik, Wortieb, Poset) ،الذين يعدّون من الرواد الاوائل للاستشراق الامريكي. وبهذا حلت التجربة الامريكية المباشرة بديلا عن التجربة غير المباشرة التي كانت تصل اليهم معادة الاستيراد وعبر اوربا[٥] . واستمر تطور عمل اللجنة ونشاطاتها (التبشيرية) حيث انشأت اول مدرسة في سنة ١٨٣٥م التي تحولت بدورها الى اكبر المراكز التعليمية في الشرق الادنى خاصة بعد ان تطورت المدرسة الى كلية في سنة ١٨٦٦م واُطلق عليها (الكلية السورية البروتستانتية)[١](Syrian College of Protestants).وصار المبشر (دانيال بليس) (Daniel Bliess) اول رئيسا لها[٢].ولم يتوقف عمل اللجنة عند هذا النشاط ،بل ظهرت مؤسسات امريكية اخرى في بيروت وجبل لبنان والقدس.ولم يطل الامر حتى

Hudson, S. Winthrop , : ويراجع عن البروتستانتية الامريكية ؛EncyclopediaK, london, 1985,P.457.
American Protestantism, Fourth Impression, United States of America, 1966.

[٢] حتي ،فيليب ،خمسة الاف سنة من تاريخ الشرق الادنى (بيروت ،١٩٧٥م) ،ص١١٥.

[٣] فرحات ، المصدر السبق ،ص٢٦٩.

[٤] العقيقي ، المصدر السبق ،ج٣،ص١٣٠.

[٥] م،ن ،ص ١١٨.

(١) Layard ,A.H, Discoveries In Nineveh And Babylon ,London ,1853, P.378

(٢) Denovo,John A.,American Interests And Policies In The Middle East ,(Minneapolis,1963),p.14.

انتشرت مدارسهم في انحاء البلاد العربية فبلغ عددها سنة ١٨٦٠م ثلاث وثلاثين مدرسة تحتوي على مايقرب من الف تلميذ [٣] .

هذا وفي ضوء النجاحات التي حققتها هذه اللجنة تزايد عدد الارساليات الامريكية في بلدان الشرق العربي وازدادت مدارسها حتى عمت مصر وفلسطين والعراق فضلاعن بلدان الشرق الادنى الاخرى كتركيا وايران والبلقان[٤]. ومن المؤسسات التي اهتمت بالتعليم العالي جامعتي بيروت والقاهرة ،وكلية (روبرت)(Ropert) في استانبول وكلية (البرز)(Al-Burz)في طهران [٥].وقد شرعت البعثات (التبشيرية) الامريكية بالانتشار في شمال العراق عن طريق اروميا ،واخذت بممارسة نشاطها بين الاثوريين والارمن القاطنين في المناطق الكردية في شمال العراق ومن ابرز نشاطاتهم تشيدهم للكنائس والمدارس الملحقة بها [٦]. وبعد الاعتراف بالطائفة البروتستاتينية سنة ١٨٤٨م في الامبروطورية العثمانية تتابع قدوم (المبشرين) الامريكان الى الموصل امثال (بيركنس)(Perkins) وفورد (Ford) [٧] .واتخذت (البعثة التبشيرية العربية)(Arabian Mission) البصرة اول محطة لها عام ١٨٩١م لاعتبارات عديدة اهمها كون البصرة تتمتع بموقع ستراتيجي كأهم ميناء على رأس الخليج العربي،ووجود قنصلية امريكية هناك تسهل نشاطاتها (التبشيرية)[١]. وقد تاسست هذه البعثة في مدينة (نيوبرونسويك) (New Brunswick) في ولاية نيوجرسي الامريكية عام ١٨٨٩ م من قبل المستشرق (لانسنك)(Lansing) استاذ اللغة العربية في معهد اللاهوت التابع للكنيسة الاصلاحية الهولندية ،وثلاثة من

---

[٣] فرحات ، المصدر السبق ،ص٢٧٠.

[٤] Layard,A.H,Discoveries In Nineveh And Babylon,(London,1853),p.379.

[٥] حتي ،فيلب، المصدر السبق ،ص١٦٩.

[٦] Layard ,A.H, Op.Cit,P.379 .

[٧] Denovo ,John, A,American in terests and Policies in The Middle Easy 1900-1939 ,Winnepolis ,1963 ,P.14.

[١] التميمي، د.عبد الملك ،المصدر السابق ،ص٣٤.

تلاميذه وهم المستشرق (جيمس كانتين)(James Cantine) والمستشرق (صموئيل زويمر)(Samuel Zewemer) والمستشرق (فيلب فيليبس)(Philip Phelps) [٢].

وشمل عمل البعثة التبشيرية نطاق الجزيرة العربية والخليج العربي، كما وان نشاط البعثة في المرحلة الاولى كان حذرا لحساسية العلاقة مع الامبراطورية العثمانية باعتبارها تمثل الدولة الاسلامية[٣] ، مما حدا بالبعثة الى افتتاح محطتين اخريين في البحرين عام ١٨٩٣ م وفي مسقط عام ١٨٩٤ م لتابعية المنطقتين الى الاستعمار البريطاني [٤].ويبرز دور البعثة من خلال رجالها المؤسسين حيث يعدون من اشهر المستشرقين الامريكان ،وكان لهم تاثير كبير في صياغة وجه الاستشراق الامريكي بمؤلفاتهم الغزيرة وبشكل خاص (زويمر)الذي اصبح رئيس (المبشرين) في الشرق الاوسط [٥].

وعلى الرغم من فشل النشاطات (التبشيرية) في البلاد العربية وخاصة القدر الذي حققته من نتائج في مجال الدعوة و(التبشير) بالنصرانية، الا ان البعثة نجحت في تهيئة الاجواء لتغلغل المصالح الاقتصادية الامريكية في شؤون الشرق ، وكذلك في رسم صورة واضحة عن المجتمعات الشرقية للمجتمع الامريكي[٦]. والاهم من ذلك مواصلة التصورات الامريكية بأحقيتهم في ميراث الشرق حيث يؤيد هذا ما قاله (جان فينلي) محرر جريدة التايمس النيويوركية ((اننا نعتبر الشرق الادنى مهد حضارتنا الغربية فتلك البلدان التي تحيط بالقسم الشرقي من البحر المتوسط بما فيها شبه جزره وهي ابدا عزيزة لدينا لان من هناك انبثقت اديانا وهناك كانت اول مدرسة تعلم فيها الجنس البشري))[١] .

وبالاضافة الى ذلك فانها فتحت المجال على مصراعيه امام الاثاريين والرحالة ، وكان ذلك واضحا في تصاعد وتيرة (التبشير) ومعها تزايد عدد البعثات الاثارية

---

(٢) Addison, James Thayer, the Christain Apparoch to the Moslem ,(New york ,1942),P.196.

(٣) Zewemer ,S.M.,Arabia the Cradlr Of Islam ,(New york, 1900),P.362.

(٤) Ibid,p.362.

(٥) العقيقي ،المصدر السبق ،ص٣٠-١٣٨.

(٦) الهلالي، عبد الرزاق،تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني،(بغداد،١٩٧٥م)،ص٤٠-٤١.

(١) فرحات ، المصدر السبق ، ص٢٧٠.

خلال العقد الاخير من القرن التاسع عشر[٢] .وكانت بعثة وولف(Wolf) برئاسة (دبليو .ايج وورد) (W.H.Ward) سنة ١٨٨٥م هي اول بعثة امريكية اوفدها المعهد الاثاري الامريكي في نيويورك (Archaeolgical Institute Of America) حيث كان مقرها (بابل) [٣] ، ووصلت بعثة اخرى سنة ١٨٨٩م للتنقيب في (نيبور او نفر) وكانت بعثة مشتركة من جامعة بنسلفانيا وصندوق التنقيبات في فلاديليفيا[٤] وتابعت البعثات الاثارية الامريكية بعد النجاحات الواسعة التي حققتها في ارض الرافدين حتى وصل تعدادها الى ثلاثين بعثة خلال السنوات (١٨٨٥-١٩٢١م) والتي مارست التنقيب في اربع عشرة موقعا [٥].

فيظهر اذن ان العالم الجديد لم يرث عن اوروبا ادبياتها وما رافقها من افكار ومفاهيم وتصورات حيال الشرق العربي الاسلامي فحسب ، بل ورث حتى طرق واساليب الاتصال التي تمثلت بارسال (المبشرين) والاثاريين وسفن التجارة ، وان كانت قد تشابهت في الاسلوب ، لكنها اختلفت مع العالم القديم بالهدف ، والذي ربما فرضته اوضاع السياسة الداخلية والخارجية لامريكا خلال تلك الفترة[٦] ، الى ان اصبح لامريكا نفوذ معنوي في منطقة الشرق العربي اكثر من أي دولة اوروبية اخرى[٧] .

ومن بين اهم نتائج الاتصال المباشر بالشرق تأسيس (الجمعية الاستشراقية الامريكية في سنة ١٨٤٢م اسوة بانكلترا وفرنسا، وترأسها المستشرق (بيكرنج) (Pickering) وعضوية كل من (روبنسون) (Robinson) و (جانكنز) (Jenkins). وفي سنة ١٨٤٧ م اصدرت هذه الجمعية مجلة باسم (مجلة الجمعية الاستشراقية الامريكية) (Journal Of The American Oriantal Society) [١].وعنيت بالقضايا

---

[٢] الدباغ ، المصدر السبق ، ص٥٠.

[٣] م،ن ،ص٥١.

[٤] م.ن.ص٥٠

[٥] م.ن ، ص٥٢.

[٦] Earle,Edward Mead,Turkey, The Great Powers and the Baghdad railway, A study in Imperialism, New yourk,P.236.

[٧] Ibid.P.237

[١] جوستن ، بيركنس ،المصدر السبق ،ص١٩٠ .

(التبشيرية) والاستشراقية بواسطة مراسليها الذين توزعوا في انحاء مختلفة من العالم [٢]وساهم في تحريرها والكتابة فيها المستشرق (سليسبيري)(Salisbury) ودي فورست(Forst. D) حيث نشروا فيها دراسات نفيسة عن تاريخ الشرق وجغرافيته وعاداته واديانه [٣].

والملاحظ ان الاهتمام الامريكي في الاستشراق قد شغل المستشرقين الامريكان، حيث الترجمة والنشر والاصدارات وقاموا بانشاء حلقات يجتمعون فيها كل شهر في نيويورك وفيلادليفيا ، للتعرف على الكتب الشرقية الجديدة والاطلاع عليها [٤].

فعلى الرغم من ان الاستشراق الامريكي جاء متاخرا زمنيا عن الاستشراق الاوربي وانه افاد من انجازاته وتجاربه وتوجهاته في كثير من المجالات الا ان الكثير من المستشرقين الامريكان حاول ان ينحى منحى مغايرا لماجاء به مستشرقو القرون الوسطى حتى عصر التنوير[٥] ،وهذا يعود بالدرجة الاولى لمرحلة التأسيس ومن ثم مرحلة الاعتزاز بالهوية القومية الجديدة ،ورفض روح التعالي والغطرسة الاوربية تجاه الاخر وكما مر ذكره .

والشيء الاهم هو بروز الوجود الامريكي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فوجدت المدارس الفكرية والفلسفية التي ركز مفكروها على مبدأ النقد والتحليل في ابحاثهم وارائهم ،وكذلك ما افرزه عصر النهضة من تغيير النظرة الى التاريخ بعقلية منفتحة رافضة للاراء الكنسية واصبح التاريخ دراسة اجتماعية خاضعة للنقد والتحليل [١].وكذلك فان معظم رواد الاستشراق الامريكي كانوا من الرومانتيكيين الذين يؤمنون بان الماضي يعبر عن جهود انسانية قيمة وانه حلقة متصلة بالحلقات الاخرى [٢]. وتتضح هذه النزعة في كتابات ارفنج وامرسون .

---

[٢] م،ن ،ص١٦٩.

[٣] العقيقي ،المصدر السابق ، ج ٣ ،ص١١٩.

[٤] م.ن.

[٥] م،ن،ص٥٩-٦٠.

[١] ناجي ،د. عبد الجبار ،مراحل تطور الاستشراق ، المصدر السابق، ص٩١.

[٢] م.ن.ص٩٦.

اما المسألة المهمة الاخرى هي ان الاستشراق الامريكي جاء موافقا للسياسة الامريكية انذاك التي لاتؤمن بالاستعمار كما هو حال الدول الاوربية وخاصة انكلترا وفرنسا [٣].بالاضافة الى ردة الفعل في المجتمع العربي بعد الحرب العالمية الاولى وتنكر الاوربيون لوعودهم الذي اعطى دورا معنويا فاعلا للولايات المتحدة في المناطق العربية ،وهذا لايعني عدم وجود مستشرقين امريكان كتبوا بعقلية القرون الوسطى او على الاقل تاثروا باولئك الكتاب ،كما هوالحال في كتاب (جورج بوش) (حياة محمد)الذي اقتفى اثر كاتب السيرة همفري بريدو)[٤]،وكذلك كتابات رئيس المبشرين (صموئيل زويمر)[٥] .

تطور الاستشراق الامريكي في جميع المجالات التبشيرية او الاثارية في التاليف والنشر تطورا مطردا حتى اصبح محط انظار المستشرقين الاوربيين ،مما حدا بالكثير منهم للتجنس بالجنسية الامريكية واضافة مالديه من معرفة وكتابات الى خزانة الاستشراق الامريكي ،وعلى سبيل المثال لاالحصر ،جورج سارتون (S. George) (١٨٨٤-١٩٥٦م) البلجيكي الاصل ،وفيليب حتي (١٨٨٦-١٩٧٨م) لبناني الاصل ،ليوي (١٨٩٥-١٩٦٣م) الالماني ،والن تطسون البريطاني ،جفري ارثر الاسترالي ،وغيرهم كثيرون [٦]. وبالقدر الذي افاد هؤلاء المستشرقون الاستشراق الامريكي في مجال البحث والتاليف والترجمة الا انه من جهة اخرى ساهموا على تركيز افكار القرون الوسطى المتحاملة على العرب والمسلمين[١] .

ان مراجعة مقررات وتوصيات المؤتمرات الاولى للجمعية الشرقية الامريكية نجد الكثير من الكتابات المنصفة وخاصة على لسان رئيسها الاول (ادورد

---

[٣] رؤوف ،سعاد ،التغلغل الامريكي في العراق ،رسالة دكتورا غير منشورة ،(بغداد ،١٩٩٥م) ،ص٣٢.

[٤] الدعمي ،في جذور الاستشراق الامريكي ،المصدر السبق ،ص٣٤.

[٥] العقيقي ، المصدر السبق ،،ج٣ ،ص١٣٨.

[٦] م، ن ،ج٣ ،ص١٣٠.

[١] بيتر جران، المصدر السابق، ص٦٥.

سيليبري)(Salisbury)حيث وصف العرب والادب العربي بانهم يمثلون اتم تطور للحضارة الاسلامية [٢] .

الا ان هذا الوصف لم يدم طويلا بعد تنوع اتجاهات المستشرقين القادمين الى امريكا ،ناقلين تصوراتهم ومفاهيمهم وافكارهم التي نشأت وتربت في اجواء استعمارية ولاهوتية حاقدة ،ادت بالنتيجة الى تكوين رؤية حولت ذلك الاعجاب الى مشاعر مضادة ،وليس ادل على ذلك من كتابات المستشرق (غوستاف فون كرونباوم) وخاصة ماجاء في كتابيه (الاعياد المحمدية)و(دراسات في الثقافة الاسلامية)[٣].

ويعد هذا التحول اشارة الى بدء مرحلة جديدة من التوجه الامريكي السياسي والثقافي وصولا الى استشراق يتماشى وتلك المرحلة وهو الاستشراق الحديث والمعاصر .

.

المبحث الثالث

الاستشراق الاوربي واثره على الاستشراق الامريكي:

الاستشراق الامريكي برز متزامنا مع ظهور المدارس الفكرية والفلسفية في اوربا ،امثال المدرسة العقلية ،والمدرسة الشكية ،والمدرسة الرومانتيكية لا سيما في المانيا[١].وقد ركز انصار المدرسة العقلية على منهج النقد والتحليل في ابحاثهم وارائهم اكثر من تأكيدهم على الافكار التي كانت مسيطرة على اسهامات وكتابات

---

[٢] الطعمة ،د.صالح جواد ،التلقي الامريكي للادب العربي ،ا مجلة الاستشراق ،العدد ٢ ،(بغداد ،١٩٨٧م)،ص٧٢.

[٣] ينظر ،سعيد ، المصدر السبق ، ،ص٢٩٦.

[١] كولنجود ،المصدر السابق ،ص ١٢٢.

العصور الوسطى التي خضعت بالدرجة الاولى الى التوجهات الكنسية واللاهوتية [٢].ولابد من الاشارة الى ان هذه المدارس كانت من العوامل الاساسية التي هيأت الى عصر النهضة الاوربية الحديثة،التي فرضت اثارها على جميع الاتجاهات ومن ضمنها كتابات المستشرقين سواء الاوربيين ام الامريكان[٣] .

لقد اثارت فلسفة الشك التي جاء بها (ديكارت) وتصنيفه للعلوم حقيقة ضمن دائرة المعارف الانسانية مفادها ان الرياضيات والفيزياء هي العلوم العقلية الوحيدة فعلا ،واستبعد التاريخ والعلوم الاجتماعية من هذا التصنيف ،وكان ذلك محفزا للمؤرخين على الاخذ باساليب النقد العلمي والتحليل والمقارنة في الكتابات التاريخية انسجاما مع المدرسة العقلية وموقف ديكارت من العلوم[٤]

وبالرغم من تطور الدراسات الاستشراقية بتاثير تقدم منهج البحث العلمي وخاصة في كتابات المستشرقين عن السيرة النبوية برفضهم لاراء الكنيسة التي كانت تعتبر التاريخ خاضعا للمشيئة الالهيه وتمنع التحليل والتقييم العقلي وتكرس الاراء المتطرفة والمتحجرة ،الا ان ذلك لم يمنع من وجود اتجاهات وتفسيرات سلبية ابتعدت عن هذا المنهج البحثي[٥] ،فان التقييم العقلاني للاديان باعتبارها ظاهرة اجتماعية وسياسية وثقافية يمكن فهمها وشرحها عبر العلوم الاجتماعية وليس عبر علم اللاهوت او الروح الدينية ،حيث ان استعمال هذه الطرق النقدية في مجال دراسة الدين يؤدي عادة الى اختزال الدين الى بعد واحد بدلا من النظر اليه كعقيدة جامعة تربط مابين الظواهر عامة العلمية والطبيعية والاجتماعية ببعضها ،وقد افرطت هذه العلوم في التحليل الذي فشل في رؤية البنية الكلية التي تجمع الامور وتعطيها معناها الكامل. كذلك نتيجة لتطبيق المنهج العقلي على الديانات وكتبها واثبات بشريتها حولت الكثيرمن الباحثين والمفكرين الى علمانيين وملحدين [١].

---

[٢] احمد امين وزكي نجيب محمود ،قصة الفلسفة الحديثة ،ج١،(القاهرة ، ١٩٥٩) .

[٣] ناجي ، د. عبد الجبار ،تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

[٤] م ، ن ، ص ١٠١.

[٥] Holt ,The Treatment of Arab History, Op. Cit, P, 301.

[١]البهي ، محمد ، الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ،(بيروت،١٩٧٠)، ص ٦٣.

لاشك ان الاستشراق الاوربي قدم عوامل جمة في الاستشراق الامريكي وتفسيرات وآراء مستشرقيه،وبقي مدين الى الاستشراق الاوربي طيلة مرحلة الاستشراق التقليدي ، اذ كانت التبعية واضحة من حيث التفسير والرؤية والمنهج [٢] .ويعود ذلك لاسباب عديدة ،من اهمها ؛ان سكان امريكا قد حملوا افكارا ومفاهيم وفلسفة مجتمعاتهم الاوربية التي هاجروا منها ،وخاصة التصورات حيال الشرق العربي الاسلامي[٣]. والانشغال الامريكي بالاوضاع الداخلية واعتماد سياسة العزلة من اجل ترسيخ اركان الجمهورية الجديدة [٤].وغياب المستشرقين الامريكان المهتمين بالعلوم الاسلامية والتاريخ العربي الاسلامي في تلك الفترة او بالاحرى عدم اثارة اهتماماتهم بالقضايا التاريخية والتراثية التي ابتدأت باستعارة الذاكرة الثقافية والارث الحضاري الاوربي ،ويدلل على ذلك ان المستشرقين الامريكان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لايشكلون رقما امام المستشرقين الاوربيين ،ولا حتى مع اي دولة من دول اوربا في عدد مستشرقيها وتنوع حقول معارفهم،لذا نجد ان امريكا كان استشراقها انعكاس للاراء والمفاهيم الاوربية[٥] .

وتماشيا مع التوجهات الاوربية فقد ارسلت امريكا بعثات التبشير الى مناطق الشرق واعقبتها هيئات التنقيب الآثارية ،ومن ثم السفن التجارية كما مر ذكره سابقا .لذا نجد كتابة الرواد الاوائل للاستشراق الامريكي مستوحات من الترسبات النفسية والعاطفية التي جرفتها اليه الفكر والثقافة الشائعة في اوربا عن العرب والاسلام،وكان ذلك واضحا في كتابات الرواد الاوائل امثال بوش،ارفنج وغيرهم [١]، الا ان الحربين العالميتين قد غيرت في مراكز القوى والكثير من التوجهات السياسية والاقتصادية لاسيما في ما يتعلق بالثروات النفطية. تلك التي ظهرت اثارها في

---

(٢) Carl T.Jackson, The Oriental Religions and American thought: Nineteenth –Century Explorations(Westport, connecticut: Greenwood Press, 1961),P.286.

(٣) Muhsin Jassim Ali , Ninteenth Century of the Arabian Nights . (Ph. D . dissertation , Dalhousie University , 1978 ,) , P.112.

(٤) فرحات ،المصدر السابق ، ص ٢٧١.

(٥) ناجي ،د. عبد الجبار،موقف الاستشراق الامريكي من دراسة المدينة العربية الاسلامية، مجلة الاستشراق، العدد ١،(بغداد ، ١٩٨٧) ، ص ١٣٥.

(١) ناجي ،د. عبد الجبار،موقف الاستشراق الامريكي من دراسة المدينة العربية الاسلامية، المصدر السابق ،ص ١٤٥.

تحريك عملية التقدم والبناء في البلدان الاوربية وهيأت ظروف التوجه الاستعماري مثل فرنسا وبريطانيا اللتان اعتمدتا على الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الاولى ،لذا كان من الطبيعي ان تشهد السنوات التي اعقبت الحرب العالمية الاولى التصادم البريطاني الامريكي حول الثروات النفطية لمنطقة الشرق الاوسط [٢]،والذي فتح افاقا جديدة امام امريكا للتفكير الجدي في المنطقة وكيفية زيادة ثروتها من خلال احكام سيطرتها على مصادر الثروة .

ولعل من الصواب القول ان هذا التوجه نحو الشرق قد اوجد الحاجة الملحة امام الولايات المتحدة لاعادة النظر في سياستها وتطلعاتها.وبهذا المنحى تاثر مفكروها ومستشرقوها من اجل تهيئة الامكانات الكافية لفهم المنطقة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا ،ليتسنى لها الوصول الى تنفيذ مشاريعها الاقتصادية والسياسية [٣]، التي بدأتها برعاية مصالحها التجارية في الخارج وخاصة مع الدولة العثمانية .فقد سبق ان عقدت معها اتفاقية لتنفيذ مشروع مد شبكة للسكك الحديد ،واستخراج الثروات المعدنية في مناطق الاناضول الى الموصل[٤] .وقد اعتمدت في هذه الفترة سياسة جديدة عرفت (دبلوماسية الدولار) من اجل توسيع المشاريع التجارية وخاصة النفطية ،وشجع ذلك المشروع اصحاب رؤس الاموال امثال (روكفللر)صاحب شركة (استاندرد اويل نيوجرسي) كجزء من طموح الشركة الخاص بنفط الموصل [١].

والجدير بالذكر ان العامل الاهم في توسع النشاط الامريكي التجاري والسياسي وتشابكه في المنطقة هو انقلاب جمعية الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد

---

[٢] خليل ،د.مصطفى ،تطور الصراع نحو السيطرة على البترول العالمي ،(الاسكندرية ،١٩٧٤م)،ص٣٨.

[٣] Hurewitz, J.G.,Middle East Dilemmas, The Background of United states policy,(New Yourk,1953),P.165.

[٤] خليل ، د. مصطفى ، المصدر السبق ، ص ٣٢-٣٤.

[١] Collins, Concise Encyclopedia, (London, Peerage Books, 1985),P.457.؛للمزيد من المعلومات عن نشاة صناعة النفط في الولايات المتحدة في الولايات المتحدة ،وعن جون روكفلر و تاسيس ستاندرد ،وعن ستاندرد ترست كاول تكتل احتكاري في الولايات المتحدة ، يراجع خليل ، دز مصطفى ،تطور الصراع نحو السيطرة على البترول العالمي ،الكتاب الاول ، عصر سيطرة ستاندرد من نشاة صناعة البترول الامريكي حتى مطلع القرن العشرين ،(الاسكندرية بلا تاريخ) ؛ دوران ، دانيال ، الاحتكارات البترولية وسياستها ،(ترجمة وليم خوري ،بغداد) .

الثاني .اذ منحت السلطات التركية شركة (جستر)حقوق اضافية في مناطق استثمارية جديدة في حلب والاسكندرونة والموصل والسليمانية [٢] .

ومن الاسباب المركزية الاخرى في زيادة التواجد الامريكي في المنطقة سياستها المعتدلة خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها ،وعدم مشاركتها لفرنسا وبريطانيا في الانتداب لدول الشرق [٣] .

وكان من اهم النتائج السياسية المباشرة للحرب العالمية الثانية ان برزت الولايات المتحدة قوة عظمى وبدء افول نجم بريطانيا وفرنسا عالميا حيث وجدت الولايات المتحدة نفسها بديلة للنفوذ البريطاني في مناطق الشرق الاوسط ،وهنا اكتشف الامريكان النقص الشديد في الكوادر العلمية المتخصصة في تاريخ شعوب الشرق وحضاراتها وجغرافيتها وادابها واديانها ولغاتها ،مما دفعها للاستعانة ببعض المستشرقين المهاجرين الى امريكا ضمن حركة الهجرة الاوربية العامة الى تقديم المعارف العلمية لدوائرها السياسية. غير ان عدد المستشرقين الامريكان كان قليلا في البداية فضلا عن نقص تنظيمهم واتساع امريكا بالاضافة الى التوجه السياسي الجديد للولايات المتحدة بتحول اهتماماتها من التبشير والتنقيب والتجارة الى حماية مناطق الثروة في البلاد العربية وغيرها مما دفع بها للاهتمام بالواقع السياسي والديني والاقتصادي والاجتماعي للشعوب الشرقية[١].

وتعد مرحلة مابعد الحرب العالمية الثانية نقطة تحول كبرى في الجانب السياسي والاقتصادي الامريكي انعكس بشكل واضح على الاستشراق حيث اصبح الاهتمام في المواضيع الاستشراقية التقليدية اقل مما سبق تلك المرحلة ،وزيادة الاهتمام بالاستشراق الحديث .

ويظهر ذلك بوضوح في تنوع المواضيع التي تناولها المستشرقون الامريكان لتتناسب والاهداف الجديدة التي تبنتها الولايات المتحدة ،معتمدة على مراكز بحوث

---

[٢] احمد ،د. كمال مظهر ،كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى ،ط٢،(بغداد ،١٩٨٤م)،ص٧٤.

[٣] انطونيوس ،جورج ،يقضة العرب ،ترجمة علي حيدر الركابي ،(دمشق ،١٩٤٦)، ص٤٤٥.

[١] ناجي ، د.عبد الجبار ، مراحل تطور الاستشراق ، المصدر السابق ، ص ٩٢.

ذات طابع اقليمي تهتم بمتابعة الشؤون السياسية والاقتصادية لبلد من البلدان او اقليم من الاقاليم ،فاصبحت هناك مراكز بحوث الشرق الاوسط ،الشرق الادنى ،او معهد الدراسات المصرية ،او اليمنية وغيرها[٢] .

كانت من بين اهم المواضيع التي ركز عليها الاستشراق الاوروبي الحديث وفي المانيا على وجه الخصوص دراسة الفرق والمذاهب الاسلامية والاسلام المعاصر [٣].وعلى ضوء هذا التوسع في مجالات الاستشراق وندرة المتخصصين في الدراسات العربية الاسلامية فقد عرضت الولايات المتحدة على عدد من كبار المستشرقين الاوربيين للعمل في الجامعات الامريكية ،وفعلا كان لهؤلاء المستشرقين دور كبير في التوجهات الجديدة ،ومن اهم هؤلاء المستشرقون ،(هاملتون جب)و(كويتاني) و(فيليب حتي) (غوستاف فون كرونباوم) و(برنارد لويس)[١].ولم تكتف الولايات المتحدة بدعوة كبار المستشرقين الاوربيين بل اصدرت الحكومة الامريكية مرسوما بتوفير مبالغ ضخمة لدعم مراكز دراسات الشرق الاوسط في عدد من الجامعات الامريكية ،وهذا بدوره شجع الكثير من المستشرقين الاوربيين للتجنس بالجنسية الامريكية[٢] ،كما ارتبطت الدراسات العربية الاسلامية بمؤسسات تجارية كما مر ذكره ،مثل مؤسسة (روكفللر) ومؤسسة (فورد)ومؤسسة (كارينجي) والاهم ان الاستشراق السياسي ظل السمة البارزة في الاستشراق الامريكي

---

[٢] لجنة الدراسات الشرقية ،تحليل نقدي للدراسات الاسلامية في جامعات امريكا الشمالية ،(ترجمة د. مازن مطبقاني ،طرابلس، ١٩٧٥)،ص٥٠.

الشرق الاوسط مصطلح ظهر للمرة الاولى عام ١٩٠٢م حين اطلقه المؤرخ البحري الامريكي(الفرد ثايرمان)(١٨٤٠-١٩١٤م) على المنطقة الواقعة بين الهند وشيه جزيرة العرب، والخليج العربي يشكل مركز هذه المنطقة . وقد تبنت الحكومة البريطانية هذا المصطلح-حين اطلقت اسم (دائرة الشرق الاوسط) على احدى دوائر وزارة المستعمرات البريطانية التي اسنحدثت في اذار ١٩٢١ بعد اسابيع معدودة من تولي ونستن تشرشل منصب وزير المستعمرات في شباط ١٩٢١ الذي شاع استعماله فيما بعد.لازال هناك وجود تباين كبير في استعمال هذا المصطلح ودلالاته واستمرار الالتباس بالنسبة لموقعه. سعاد شير رؤوف، رسالة غير منشورة ، مصدر سابق.

[٣] عبد الملك ،انور ،الاستشراق في ازمة، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد٣٢ ،١٩٧١م ،ص٤٢.

[١] Polk, W.,R.,Sir Hamilton Gibb Between History and Orientalism, (Jmes ,1974),Vol,6, P.103.

[٢] عبد الملك، د. انور ، المصدر السابق،ص٧٦.

المعاصر ،كذلك كان ارتباطه الوثيق مع تطورات وتوجهات المصالح الامريكية في المنطقة ،واللافت للنظر ان الاستشراق الامريكي المعاصر لم يتخل عن الاستشراق التقليدي وبقيت توجهاته ثابته ولكن بما يخدم الاستشراق المعاصر [٣]،الا ان الاستشراق التقليدي الذي كان يهيمن على مجال الدراسات العربية والاسلامية قد اصبح تابعا للاستشراق المعاصر الى حد كبير ،دون ان يتخلى عن توجهاته الاساسية في تبني نفس فكرة المركزية الاوربية (Europdocenfrisme) ،والتغيير الذي حصل هو تحول المركزية من اوربا الى امريكا ،والتي تقوم فكرتها على الاعتقاد بمحورية النموذج الحضاري الامريكي وتحجيم وربما ازدراء ماسواه من نماذج سياسية وعلمية[٤].

ويتجلى ذلك في كتابات المستشرقين الامريكان امثال جيفريA,Jeffery ،كالفريCalverley،كانتول سمثC,Smith ، وبرانمانM,Bravmann،وغيرهم، وكذلك المستشرقين الاوربيين المتأمركين امثال ،زويمر في كتابه يسوع في احياء الغزالي ،وكتابات المستشرق ماكدونالد (D.B.Macdonald) وخاصة في كتابه الدين والحياة في الاسلام ،وغوستاف فون كرونباوم النمساوي الاصل في كتابه الاسلام في العصر الوسيط الذي ترجمه الاستاذ عبد العزيز توفيق تحت عنوان (حضارة الاسلام)[١].

وبالامكان التعرف على مدى تاثير الاستشراق الاوربي في الاستشراق الامريكي من خلال افكار ومفاهيم كبار المستشرقين الاوربيين والذين عملوا في امريكا او تجنسوا بالجنسية الامريكية ومن بينهم .

السير هاملتون جب :H.A.R.Gibb (١٨٩٥-١٩٧١م)

كان قرار البروفسور جب بالانتقال الى جامعة هارفارد Harvard University سنة ١٩٥٥م مرتبطا ارتباطا واضحا بتصاعد الدور الامريكي في اوربا والمنطقة العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ،ويعلل بعض المتأثرين بافكار جب ان سبب انتقاله لانه بقي في اكسفوردOxford مقيدا بالمفاهيم التقليدية للدراسات العربية

---

[٣] لجنة الدراسات الشرقية ،تحليل نقدي للدراسات الاسلامية في جامعات امريكا الشمالية ،ص٤٤.

[٤] سعيد ،ادورد ، المصدر السابق ،ص٢٩٥؛زقزوق ،محمود حمدي ،الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،(الدوحة، سلسلة كتاب الامة ،١٩٨٤)،ص٣٢.

[١] العقيقي ،المصدر السابق ،ص١٧١.

والمتمثلة بانصرافها الى الدراسات الفيلولوجية او اللاهوتية فحسب[٢] ،بينما كان يحلم جب بان تتداخل الدراسات الشرقية مع اقسام علم التاريخ والاجتماع وغيرها من العلوم [٣] .وكذلك كان سبب انتقاله الى الولايات المتحدة لاختلاف مفهوم الاستشراق فيها عنه في بريطانيا ،وخاصة صلته الوثيقة بالعلوم الاخرى كالاقتصاد والاجتماع واللاهوت والتاريخ[٤]،وللانسجام بين ماكان يراه في الاستشراق الامريكي مع ماكان يهدف اليه في توسيع الدراسات العربية الاسلامية والتي وجدها في هارفارد مايلبي طموحه .لقد اثر جب علميا على الجامعات في الولايات المتحدة عبر ما احدثه من تحويل في حقول الدراسات الاستشراقية ،حيث ابتدأ بتبديل اسم (الدراسات السامية) الى (الدراسات العربية الاسلامية)او الدراسات الشرق اوسطية [٥]،وكذلك بسبب افكاره الجديدة اقيمت مراكز جديدة للدراسات الشرق اوسطية في قسم كبير من الجامعات الامريكية على غرار النموذج الذي وضعه لمركز الدراسات الشرق اوسطية في هارفارد[١] .والذي يجب التركيز عليه هو ان نشاط جب لم ينبع من رغبته الخاصة فحسب وانما جاء بالدرجة الاساس نتيجة التوجهات السياسية والفكرية الامريكية الجديدة والتي نبعت من المتغيرات السياسية التي عصفت في العالم بعد الحرب العالمية الثانية .

وعلى ضوء التوسع الامريكي الجديد في مجال الاستشراق فقد ظهر حقل جديد هو (الدراسات الاقليمية)(Area Studies)الذي انبثق عن مرسوم (الدفاع القومي)(Act of National Deffience Education) وكان جب الشخص المناسب لهذه المهمة ،لانه يجيد اللغة العربية بالاضافة الى اطلاعاته على المنطقة العربية بسبب زياراته المتكررة للمنطقة ومعرفته الوثيقة بتاريخها [٢].وقد استطاع جب ان يوظف الجانب الاجتماعي بشكل لافت للنظر وخاصة في كتابه (تراث الاسلام في العالم

---

[٢] حوراني ،البرت ،الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة كريم عسقول ،(بيروت ،دار النهار ،١٩٦٨م)،ص٢٠٤.

[٣] م.ن.ص١٢٩-١٣٠.

[٤] Polk, W.,R. Op .Cit, P.131-132.

[٥] Makdisi, G.,Arabic and Islamic Studies in the Honour of H.A.R. Gibb(Lieden ,E.J Brill,1965),P.41.

[١] Makdisi, G.,Op.Cit,P.41.

[٢] Polk, W.,R ,Op .Cit, P.25.

الحديث)(The Heritage of Islam in the Moderm World) حيث سعى لتحليل ردود الفعل العربية والاسلامية على المؤثرات الغربية تحليلا اجتماعيا بين فيه مدى الترابط بين الحياة الادبية والاجتماعية والسياسية [٣].

وقد كان من اهم اثار جب في مفاهيم وافكار الاستشراق الامريكي بتركيزه على العامل الاقتصادي وبالتالي الطبقي في تفسيره لمسار التاريخ الاسلامي وخاصة في كتابه (دراسات في حضارة الاسلام)[٤] .

ماكدونالد دنكان بلاك: D.B.Macdonald(١٨٦٣-١٩٤٣م)

وهو مستشرق بريطاني المولد كالفني المذهب امريكي الاقامة. تعلّم في كلاسكو ثم رحل الى برلين عام ١٨٩٠م واخذ اللغات الشرقية عن (سخاو) المستشرق الالماني الشهيرالذي حقق عدة مؤلفات تراثية وله نشاطات استشراقية كثيرة ثم اكمل تعليمه في قسم اللغات السامية في (هارفارد) ١٨٩٣م ،وبعد تخرجه طاف في بلدان الشرق الادنى بين ١٩٠٧-١٩٠٨م ،ليعود الى الولايات المتحدة ثانية فعمل على تأسيس مدرسة كنيدي للبعثات سنة ١٩١١م ،كما اشرف على القسم الاسلامي سنوات طويلة [١]،واصدر(مجلة العالم الاسلامي)بمعاونة صموئيل زويمر ،واسس مجلة (ايزيس)(Isis) سنة ١٩١٣م بمعاونة (سارتونSarton,G)[٢].وكان تاثيره في الاستشراق الامريكي واضحا وخاصة في مجال التشديد على التفسيرات الاستشراقية التي تظهر الدين الاسلامي على انه هرطقة وان نبي الاسلام شخصية مهوسة بفكرة الله مدفوعة بمقاصد انانية ودنيوية فيقول ((لقد كان محمد في الواقع شاعر من صنف عربي قديم ،قليل الموهبة في النظم ومنهمك بكل جوارحه في الجانب النبوي من الشعر ،وقد اضاف اليه مزيجا من التصورات اليهودية والنصرانية))[٣].

---

[٣] Ibid, P.135.

[٤] جب ،هاملتون ،دراسات في حضارات الاسلام ،ترجمة احسان عباس ،(بيروت،١٩٧٩م)،ص٣٥-٤٥.

[١] العقيقي ،المصدر السابق ،ج٣،ص١٣٦.

[٢] م.ن.ص ١٤٧.

[٣] ماكدونلد، ،المصدر السابق ،ص٢٣.

كذلك كان له تأثير واضح في تنشيط روح التبشير في العالم العربي الاسلامي محاولا حسب اعتقاده انقاذه من التخلف والانحطاط [٤]،ويعتبر ماكدونالد من مناصري المركزية الاوربية ،لذا كان توجهه الى التبشير بشكل ترك اثرا واضحا في توجهات الاستشراق الامريكي وبشكل خاص تاثيره على رئيس المبشرين الامريكان (زويمر)، وانه يرى الفرق بين الشرق العربي الاسلامي ذي الذهنية الذرية التقاطعية غير العقلانية ،وبين الغرب المسيحي ذي التنظيم الكنسي والتوجه النسقي العقلاني [٥].

كرونباوم غوستاف فون : Grunbaum ١٩٠٩-١٩٧٢م

نمساوي الاصل وتجنس بالجنسية الالمانية،درس واكمل دراسته في جامعتي فينا وبرلين ،ثم عين استاذا مساعدا للدراسات العربية والاسلامية في جامعة نيويورك بين ١٩٣٨-١٩٤٢م،وفي جامعة شيكاغو بين ١٩٤٣-١٩٤٩م،وقد مثل جامعة شيكاغو في مؤتمر جامعة بوردو ،واستاذا لتاريخ الشرق الادنى في جامعة كاليفورنيا ١٩٥٧م ،ثم رئيسا لقسم دراسات الشرق الادنى فيها[١].

يعد كرونباوم نموذج للمستشرقين الذين يقفون في ملتقى تقاليد استشراقية كثيرة ،سواء منها الفيلولوجية او التاريخية ،واهم المجالات التي اهتم بها واعطاها الكثير من كتاباته موضوع نظرة الاسلام الى الانسان ،والثقافة المترتبة عن هذه النظرة وقد تبلور عنده هذا التوجه الالماني المصدر اثناء اقامته في امريكا استاذا جامعيا[٢].الف العديد من البحوث والكتب ،وانه عند انتقاله الى امريكا اضاف لها بحوثا ودراسات اخرى وقد اثرت تاثيرا بيّنا في الاستشراق الامريكي خاصة مقالته في انثروبالوجيا الاسلام أي البحث في نظرة الاسلام الى الانسان والثقافة المترتبة على هذه النظرة [٣]،وفي ضوء ذلك يحاول كرونباوم يبين ان الاسلام متأخر المجيء عن بقية الاديان لذا لايمكن ان يكون خيرا من السابق ،ويقول ((من الصعب اعتبار الاسلام مبدعا

---

[٤] م،ن،ص٢٣.

[٥] م.ن.ص٢٤.

[١] العقيقي ،المصدر السابق ،ص١٧٠.

[٢] حميش ،سالم ،الاستشراق في افق انسداده ،ط١ ،(الرباط ،١٩٩١م)،ص١٠٠.

[٣] العقيقي ،المصدر السابق ،ص١٧٠.

بالمعنى الذي نقوله عن اليونان والغرب))[٤]،وعلى الرغم من كونه منهجيا وذكيا غير انه تبنى نظرية ارنست رينان في التوزيع العرقي للحضارة وبذل جهدا كبيرا في ارساء تلك الافكار في الاستشراق الامريكي.والف عن المدينة والمجتمع الاسلامي والثقافي وعلاقة الاسلام بالهيلينية والتي حاول من خلالها رد كل ماجاء به الاسلام الى الاديان والثقافات السابقة ،كذلك فانه جسد المركزية الاوربية من خلال مفاضلتة بين عطائين حضاريين غير متساويين في استمرارية الابداع ،وهذه الفكرة جاءت منسجمة مع توجهات الاستشراق الامريكي الجديد الذي استند على ماسبقه من اراء تقليدية وضفها في الاستشراق المعاصر. ولا ريب فان اراءه كان لها اثرا واسعا في الكتابات الاستشراقية الامريكية اللاحقة والفرد الامريكي .[٥]

المستشرقون الذين عملوا ضمن دائرة الاستشراق الامريكي ،وتحديدا المواضيع التي تخص السيرة النبوية والحديث والقرآن هم المستشرقون الاوربيون الذين هاجروا الى امريكا . واما المستشرقون الذين درسوا على ايدي مستشرقين اوربيين او تأثروا بافكارهم فكانوا يشكلون الغالبية العظمى . وان كان اعتمادنا في تحديد المستشرقين الامريكان على كتابي (المستشرقون) للعقيقي و (موسوعة المستشرقين) لعبد الرحمن بدوي اذ ينسبون المستشرقين على اساس الاقامة لا الاصل او المنشأ، فان هؤلاء الذين قطنوا امريكا وتجنسوا بجنسيتها، يمكن عدهم امريكان. ولا شك ان الكاتبين وجدا الصدارة والتقدير لدى الكثير من الباحثين المعاصرين في موضوع الاستشراق .وعلى ضوء هذا المسح نضيف دليلا اخر يؤكد ان الاستشراق الامريكي قد اعتمد بالدرجة الاولى على الاستشراق الاوربي وخاصة المستشرقين من الجيل الاول فنراهم بدورهم يرددون افكار واراء الاوربيين حول العرب ،حياتهم ودينهم عاكسين انماطا فكرية وذوقية كانت شائعة في اوربا [١].ويمكن تسمية او حصر المستشرقين الذين كتبوا في موضوع السيرة النبوية ابتداءا وهم :

واشنجتن ارفنج :(Washington Irvig(1783-1859

---

[٤] العروي ، عبدالله ، العرب والفكر التاريخي ، (دار الحقيقة ، بيروت ، ١٩٧٦م) ، ص٩٥.

[٥] ناجي، د. عبد الجبار ،مراحل تطور الاستشراق، المصدر السابق، ص ٧٦.

[١] الدعمي ،محمد ،بواكير الوعي الامريكي ،المصدر السابق ،ص٢٤.

في كتابه (حياة محمد)وقد تبين من خلال البحث التاثير الواضح لكتابات المستشرقين الاوربيين في توجهاته وخاصة سيل ،بريدو ،اوكلي، بوكوك، وبعدهم من المعاصرين فايل ،وكارليل .

جورج بوش:(George Push)

وهو رجل دين كتب عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كتابا بعنوان (حياة محمد)(Life of Mahomet) وهو كتاب مختصر لخص ما اورده بريدو البريطاني الذي صنف كتابا بعنوان (The True Nature of Imposture Fully Display'd In The Life of Mahomet)[٢] .

جفري آرثر: . Jeffery . A

استرالي الاصل ،بريطاني الثقافة .عين استاذا في الجامعة الامريكية في القاهرة بعدها في جامعة كولومبيا [١] وكانت له اتجاهات تبشيرية واضحة في كتاباته منها (الجدل الاسلامي المسيحي) سنة ١٩٢٥م ،و(الادب المناهض للنصرانية) سنة ١٩٢٧م ،اما عن سيرة الرسول الكريم محمد (ﷺ)فكتب (تاريخ محمد) ١٩٢٦م ،و(نبي الاسلام) ١٩٣٨م ،نرى في كتابيه لم يأت بجديد خلافا لكتابات المستشرقين الاوربيين ،بل حاول تاكيد بشرية الرسالة الاسلامية ،ومدى تاثرها بالديانتين اليهودية والمسيحية [٢].ويرى المتتبع مدى تاثير كتابات المدرسة البريطانية في افكاره والمتاثرة باراء (مارجوليوث)(Margoliouth,D.S)وكتابيه (التطور المبكر للمحمدية)و(المحمدية)[٣].

كالفري ادوين : E.E.Calvrley

امريكي المولد والسكن كتب كتابا عن سيرة الرسول (ﷺ)بعنوان (محمد)(Mohamet) الصادر سنة ١٩٣٦م ،ويبدو تاثره بالمستشرقين الاوربيين واضحا من

---

[٢] P.M, Holt, The Treatment of Arab History,P.290.؛Dorothee M.Finksistein, Op,Cit,P.21.

[١] العقيقي ،المصدر السابق ،ص١٨٠.

[٢] Fuck J,Islam as an Historical problem in Europian History, (London, DSOAS,1962) P.205.

[٣] N.Daniel, Isalm and The West (Edinburgh, Edinburgh University Press, 1962),P.4.

خلال ماقدمه من طروحات واراء وافكار خاصة عند مقارنة اراءه التي ركز فيها على مصادر القرآن الكريم ،مع المستشرق الاسكتلندي (ريتشارد بيل) حيث يتبين مدى تاثره بافكاره خاصة في كتابه (اصول الاسلام في بيئة النصرانية) اذ يرجع بالكثير من الاعتقادات الدينية الاسلامية الى اصول نصرانية[٤].وكذلك لايخفى تاثير افكار (زويمر)التبشيرية في كتابات كالفري وخاصة فيما يخص الرسول (ﷺ)–حسب قوله– وهرطقته وخروجه عن المسيحية بعد ان اخذ من رجالها الكثير من المعلومات والتي وظفها في كتابه القرآن[١] .وقد عين عضوا في البعثة العربية التي نظمتها الكنيسة في امريكا فكتب عن القران والرسول صلى الله عليه وسلم وعن العبادة في الاسلام[٢].

ولفريد كانتول سميث: Smith , Wilfred Cantwell

كندي المولد ،كان قد تلقى العلم في كلية (ويست منستر في كمبردج) وكلية (القديس جون بجامعة كمبردج)سنة ١٩٤٨م[٣]،وقد تاثر كثيرا بالتفسيرات الاستشراقية البريطانية عن الرسول (ﷺ)،ويظهر ذلك جليا في كتاباته (عَظَمة محمد) و(الاحمدية)وبشكل خاص المسائل الشائعة وهو اثر اليهودية والنصرانية على القرآن ،وكذلك يمكن ان نلمس مدى تاثير المدرسة البريطانية في افكاره بما اكد على المحورية الاوربية خاصة في كتابه (الاسلام في التاريخ الحديث)[٤].

برافمان: . Bravmann M

استاذ اللغات الشرقية في الولايات المتحدة [٥] وقد افرد من بين كتاباته الاستشراقية كتابا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم (محمد)(Mahamet)سنة

---

(٤) R.Bell, The Origins of Isalm in its Christian Enivornment, (London Frank Cass and Cold, 1926),P.232.

(١) E.E,Calverley, Review of Zewemer,(Moslem World, 1952),P.65.

(٢) العقيقي ،المصدر السابق ،ص١٨٢.

(٣) م،ن،ص١٠٩.

(٤) W.C.Smith, Islam in Modern History (Princeton, Princeton University,Press ,1957),P.72.

(٥) العقيقي ،المصدر السابق ،ص١٥٤.

١٩٧٥م ،وكان ذلك تتويجا لكتاباته الكثيرة في مواضيع مختلفة عن اللغات السامية واللهجة العربية وحول الادب العربي واللهجات الحديثة في اللغة العربية ،وتجمع هذه الكتابات ارتباطه بتوجهات الاستشراق الحديث ،الا ان في كتابه (محمد) يعود الى الافكار والمفاهيم الاوربية بتاكيده على المواضيع التي طبعت الاستشراق الاوربي والمتمثلة في بشرية الرسالة الاسلامية ومدى تاثير الديانات السماوية على الديانة الاسلامية[٦] .

وبالاضافة الى هؤلاء الاعلام الذين كتبوا في السيرة النبوية ،هناك عدد من المستشرقين الامريكان الذين ذكرهم العقيقي في كتابه (المستشرقون)والذين حددهم بـ(ثلاثة وتسعون)مستشرقا ،يشكل الاوربيون منهم نسبة الثلث من المجموع الكلي ،واما الذين درسوا في الجامعات الاوربية يشكلون النصف ،والذين تتلمذوا على ايدي المستشرقين الاوربيين في امريكا يكونون الثلث ايضا ،وهذا المسح يبين ان الاستشراق الامريكي ما هو الا انعكاس للاستشراق الاوربي في المنهج والمحتوى .

---

[٦] اربري ، المستشرقون البريطانيون ، ترجمة محمد دسوقي ، (لندن ، ١٩٤٦) ، ص١٨.

الفصل الثاني
المستشرق واشنجتن ارفنج ومنهجه في الكتابة التاريخية

الفصل الثاني

المستشرق واشنجتن ارفنج ومنهجه في الكتابة التاريخية

المبحث الاول

ارفنج حياته واهتماماته:

ان دراسة أي مستشرق لا تكون شاملة وهادفة دون الرجوع الى خلفية حياته وتاريخه ورحلاته والمؤثرات الشخصية والثقافية التي تاثر بها او اثر فيها والمصادر التي اعتمدها فضلا عن سعة افقه او عدمها ،ولعل من بين اهم هذه البدايات اسرته وثقافتها واتجاهاتها الدينية و الدنيوية،وكذلك البيئة التي نشأ فيها،والاهم من هذا ثقافة عصره و المؤثرات التي حددت باكورة اعماله والمنهج البحثي الذي اعتمده كاساس لحياته في التأليف سواء منها الادبية ام الفكرية ام التأريخية.

فعلى ضوء ماسبق من افكار فان المجتمع الامريكي كان يمر في غمرة المتغيرات الفكرية والثقافية التي افرزتها مرحلة النشوء والتكوين عند ولادة المستشرق ارفنج في (٣نيسان –١٧٨٣م)في عام السلم الذي اعقب الثورة الامريكية ضد بريطانيا[١].

ويبدو ان لهذه الاحداث الخطيرة والمهمة في حياة الدولة الجديدة اثر في ان تسمى باسم بطل الساعة جورج واشنجتن[٢]. ولد ارفنج في مدينة نيويورك من ابوين كانا قد هاجرا من بريطانيا وبالتحديد من اسكتلندا ،قبل عشرين عاما من ولادته أي عام ١٧٦٣م[٣] .ومما يسترعي الملاحظة ان بريطانيا خلال الحقبة التي ولد فيها كانت تشهد اهم ثورة علمية تكنولوجية في عصر النهضة الاوربية الحديثة تلك هي الثورة الصناعية. التي حققت الكثير من المتغيرات على الصعيد الاجتماعي

---

(١) Irving in E.B,Op,Cit, V.12.P.691.

(٢) جبر ،جميل،الادب الامريكي في مختلف عصوره (دار الثقافة،بيروت،بلا ت)،ص٢٢.

(٣) Irving, Pierre.M, The life and letters of Washington Irving,(New York,1862-1864),P.14.

والاقتصادي ناهيك القول عن اثرها الفاعل في التطور الحضاري لاوربا [١] . كان ارفنج الابن الاصغر من بين احد عشر مولودا ، سبعة منهم ظلوا على قيد الحياة ،بنتان وخمسة اولاد [٢].وكان والده يرجع في عقيدته الى الكنيسة المشيخية[*] ،اما امه فكانت تنتمي الى الكنيسة[٣]الانكليكانية[**].والراجح ان هذا الاختلاف في الانتماء الكنسي للابوين قد وفر لارفنج جوا عائليا يسوده التسامح الديني والذي انعكس على رؤيته للاخر وعدم تطرفه في كتاباته . ومن الجانب الاخر فان والده كان من رواد الاسواق التجارية الاوائل في نيويورك ،بعد ان ترك العمل في مجموعة البحارة [٤]،التي امتهنها صبيا ليصبح بعد مدة قليلة مساعد ضابط في الجيش البريطاني البحري بين (بليموث ونيويورك)[٥].في بليموث التقى بـ(سارة ساندرز) (Sarah Sanders) وتعرف عليها ،وتزوجها وهو ما يزال في مقتبل عمره ومن ثم استقر في نيويورك[٦] .

---

[١] علوش ، د. سعيد ، اشكالية التيارات والتاثيرات الادبية في الوطن العربي ، (المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ، ١٩٨٦) ، ص٧-٢٢.

[٢] William, The life of washington Irving, Op,Cit,P.217.

[٣] Ibid,P.218.

[*] المشيخية(persbyterians):طائفة دينية بروتستانتية تعيش في الولايات المتحدة ، ذات نظام حكومي كنسي مسيحي يقوده (الشيوخ) الذين ينتخبون من قبل تجمع او حشد كنسي لا من قبل الاساقفة،مؤسسها جون كالفن(١٥٠٩-١٥٨٤م)،وهو لاهوتي فرنسي.ينظر collins,consise Encyclopedia,london,peerage books,1985,p.457.

[٤] Pierre, Op,Cit,P.15.

[**]الانكليكانيةAnglican :وهي احدى الفرق النصرانية ،تنحدر من الكنيسة الانكليزية ،وتشكل احد المذاهب الرئيسية الثلاث التي انفصلت عن البابوية في اصلاحات القرن السادس عشر .ينظر ، The New Encyclopaedia Britannica ,Vol.1, P.886.

[٥] Charlis,Dudley, Op.Cit.,p.53.

[٦] Pierre, Op,Cit,P.16.

وانطلاقا من هذه الخلفية فقد اتصف ارفنج بالبساطة ،فضلا عن كونه الابن المدلل الذي منح الحب الاسري وتفضيله على بقية اخوته [١]. اما طفولته فليس هناك معلومة تكشف عن انه قد اظهر أي علامة للعبقرية غير انه كان لطيفا في علاقاته مع اقرانه .في سن مبكرة اهتم بقراءة القصص والروايات الخيالية التي كانت شائعة في حقبته ،خاصة حكايات الف ليلة وليلة وروبنسون كروسو.أذ كان لذلك اثر بارز في توجهاته الاجتماعية والادبية من حبه للسفر والمجازفة واعجابه بالمسرح [٢].وقد قاده هذا الاهتمام البالانتماء للنادي الاجتماعي والثقافي في نيويورك ويعرف بـ(التسعة البارزون The Nine Worthies)[٣].اكمل دراسته عند سن السادسة عشر ،أذ كانت شهادته تؤهله لدخول الجامعة لكنه خرج عن هذا التوقع فلم يرغب بمسايرة العادات التي يؤمن بها مجتمعه،والتي تتطلب من الفرد الامريكي ان يحترف مهنة معينة حتى وان لم يكن يمارسها [٤].

وبسبب كتاباته المبكرة واسلوبه الذي يتصف بالبساطة والمباشرة والوضوح جعل الاعمال الخيالية القصيرة قالبا ادبيا واعيا ،فقد عرف في الغالب بـ (رجل الرسائل الامريكي الاول) و(عميد الادب الامريكي)و(مبتدع القصة القصيرة)[٥]. والمسألة الاهم في حياة ارفنج بالاضافة الى تمرده على عادات عصره ،مرضه المبكر اذ له اثر كبير على سير اعماله الادبية والفكرية . فكانت كتاباته ومقالاته متقطعة بسبب رحلاته المتكررة الى هدسن من اجل المعالجة الطبية [٦]، وبين عام ١٨٠٤-١٨٠٦م فقد سافر في رحلة علاجية طويلة الى اوربا، تحسنت فيها حالته الصحية بصورة ملحوظة ،فاثرت على حياته وتصرفاته ،وقد كتب الكثير من المذكرات المليئة بالمغامرات الممتعه والمثيرة والميالة الى التسلية وطيش الشباب

---

(١) Pierre, Op,Cit,P.16.

(٢) William , L.Hedges ,Op,Cit,P.14.

(٣) ويليس ،ويجر ،الادب الامريكي ،(ترجمة نظمي لوقا ،دار المعارف ،مصر ،بلا ت)،ص٧٥.

(٤) E.B,Op,Cit,P.692

(٥) Ibid,P.691.

(٦) William T.Stanley, Op,Cit,P.13.

[١].وعند عودته من الرحلة تقدم الى امتحان بمساعدة مدرسه هوفمان ،وحصل على شهادة الحقوق ليصبح محاميا في محلة (Wall Street)[٢]. لكنه سرعان ماتوقف عن ممارسة المحاماة بسبب عدم رغبته في هذه المهنة .وانه كان يبحث عن دخل يمكّنه من العيش الرغيد ،وخاصة بعد ان علق قلبه بحب ابنة استاذه التي تزوجها فيما بعد [٣].

كان شغله الشاغل خلال عامي ١٨٠٧-١٨٠٨م الاشتراك مع اخويه وليم (William) وبيتر (Petter) وصديقه جيمس كيرك بولدنغ (James k. Paulding) في تأليف سلسلة من المقالات الدورية بعنوان (الخليط) (Salmagundi) ،فكان المنحى الذي اتخذه عملهم جيدا وكانوا سعداء به [٤]. وقد تبلورت فلسفتهم في مستقبل العالم ،فكانوا يميلون الى ان ماموجود هو افضل مايمكن تحقيقه ،ويرفعون شعارهم (العالم يجب ان يكون كما ينبغي The World as it Goes)[٥]. ومع ذلك لم يتوقفوا عن مهاجمة العالم النمطي والروتيني ،ساخرين من مطامع وتطلعات المدعين السياسين والطبقات العليا في المجتمع ،مضيفين الى ذلك النقد المسرحي الساخر في دعوتهم الى الحرب ضد التخلف وانحطاط الصناعات [٦] .

ومما يجدر ذكره انه كتب كتابا خلال ممارسته الكتابة مع اخويه وصديقه بعنوان (تاريخ مدينة نيويورك History of New york) وبتوقيع شخصية مستعارة هي (ديدريش نيكر بوكر Diedrich Knicker bockers')،حيث اصبحت هذه التسمية رمزا لتلك الفئة التي تميل الى الادب الساخر [٧].

لفت هذا الكتاب انظار القراء والمهتمين الى امكانات و قدرات ارفنج الادبية وكفاءته ، الامر الذي اسبغ عليه الشهرة ليس في امريكا فحسب بل حتى في خارجها

---

(١) Helman George,W.I. Ambassador at large from New World to the old ,(new yourk,Knof,1925),p.217.

(٢) Pochman Henry,W.I.,representative selections,(New yourk,American book,1934),p.310.

(٣) Ibid,P.311.

(٤) جبر ،د.جميل ،الادب الامريكي في مختلف عصوره، (دار الثقافة ،بيروت ،بلا ت)،ص٢٢.

(٥) E.B,Op,Cit,P.692.

(٦) .William.T,Op,Cit,P.36.

(٧) جبر ،المصدر السابق ،ص٢٣.

وفي بريطانيا على وجه التحديد ،وخطاب (سكوت Scott) الكاتب البريطاني المشهور ،ماهو الا دليل على ذلك حيث كتب الى ارفنج يحييه ويعده بالفعل من الاساتذه [١].وفي غمرة هذا الفرح والنشوة التي شعر فيها الكاتب الشاب المتحرر الا انه تعرض لغصّة اثقلت كاهله واعاقته حتى عن متابعة الكتابة ،الا وهي وفاة حبيبته (ماتليدا هوفمانM,Howvman) في (نيسان ١٨٠٩) [٢]، والتي عزف عن الاقتران بسواها بقية حياته [٣]. وما كاد ارفنج ينسى ما الّم به حتى عصفت به رياح الحاجة والفاقة ،بعد افلاس عائلته في التجارة،فراح يقضي ايامه في حيرة وتامل وفي جو يغلب عليه التشاؤم ،ثم كانت ردة فعل عنيفة على قدره[٤]. ولضيق متطلبات المعيشة انتقل ارفنج عام ١٨١١م للعمل في واشنطن املا منه ان يعيد لشركة اخيه في المواد المعدنية سمعتها وسابق مجدها ولكن دون جدوى[٥] فوطد العزم على العيش من الكتابة ولها [٦]. فبدت حياته بلا هدف وخاصة بعد ان تعرض لسلسلة من المطاردات والملاحقات السياسية ،ربما بسبب افكاره التهكمية من مجتمع الطبقة الراقية [٧].

لم تكن اوضاع امريكا في خضم هذه الظروف العائلية الصعبة التي كان يواجهها افضل من حالته حيث غدت العلاقات البريطانية الامريكية تزداد سوءا ،ثم تطورت كثيرا الى ان اعلنت امريكا الحرب على بريطانيا[٨]. وخلال الحرب منح ارفنج رتبة كولونيل في الجيش لكونه حائزا على شهادة جامعية [٩].وبعد نهاية الحرب استمر مع اخيه في الشركة ،الا ان اعمالها قد تراجعت [١٠].وفي سنة ١٨١٥م اضطر للسفر قاصدا اوربا لبحث مصالح الشركة في مدينة (ليفربول) لكن

---

(١)جبر ،المصدر السابق ،ص٢٣؛ Helman , George, Op.Cit.,p.145.

(٢) Reichter Walter,W.I. and Germany,(University of Michigan ؛Ibid,p.146. Press,1957),p.65

(٣) William.H.Op,Cit,P.26.

(٤) William.H,Op.Cit ,P.27.

(٥) William.T,Op,Cit,P.37.

(٦) جبر ،المصدر السابق ،ص٢٤.

(٧) .E.B,Op,Cit,P.693.

(٨) E.B, Op, Cit, P.693.؛ينظر كولنجود ،المصدر السابق، ص ص ١٢٠-١٢٣.

(٩)E.B,Op,Cit,P.693؛ احمد امين وزكي نجيب محمود ، المصدر السابق ، ص٤٢.

(١٠) (٢) Pierre, Op,Cit,P.215؛ د. احمد محمود، فلسفة التاريخ، ص٣٨-٥٢؛See,Holt,Op.Cit.,p.300

جهوده ايضا باءت بالفشل في انقاذ شركة اخيه من الافلاس [١].ومع انه فشل في مساعيه التجارية فقد انتفع كثيرا من وجوده في لندن حيث زار السير ولتر سكوت *(Sir. Walter Scott) الذي حفزه وشجعه على اعادة جهوده ، فكانت النتيجة كتاب بعنوان (The Sketch Book) (الكتاب المختصر) بتوقيع (جيوفري كرويون) (Geoffrey Crayon)[٢] . كان كتابا ادبيا وصفيا متنوعا. حقق هذا الكتاب نجاحا كبيرا اعاد الثقة الى نفس ارفنج ، واكد له ان بمقدوره الاعتماد على قلمه في العيش بشكل مستقل عن غيره[٣].

فاستنتج ارفنج من ذلك انه بحاجة الى التحفيز والاثارة و زيادة الاطلاع .فكان اختياره للسفر والترحال لتحقيق ذلك الهدف في توسيع علاقاته واتصالاته الخارجية[٤] . فقادته هذه الفكرة الىالتجوال في اوروبا مقررا وهو يردد:(سأحاول بصورة بين فترة واخرى تغيير مكان اقامتي وساكتب عندئذ أي شيء تثيره الموضوعات امامي)[٥] (I shall occasionally shift my residence and write what ever is suggested by objects before me)

فبدا سفره بالمانيا ثم النمسا ثم فرنسا واسبانيا والجزر الانكليزية وخلال هذا التجوال عاش يصارع الحاجة والعوز اضافة الى تطلعاته الادبية والفنية التي تجيش بها نفسه التواقة الى دراسة انماط السلوك والشخصيات في مختلف البلدان الأوروبية ، لكي يكتب كتابا يبرز فيه مواهبه الادبية[٦]. فكتب العديد من الكتب والقصص محاولا ان يصنع لنفسه على اساسها اسما ادبيا ، ولكن ذلك لم يرق لاقلام النقاد ،

---

(١) Pierre, Op,Cit,P.217.

* وولتر سكوت روائي اسكتلندي واحد اساتذة المدرسة الملكية في ادنبرة. وكانت له مكانة رفيعة في نفوس طلبته.واشهر اعماله رواية (الطلسم) والتي تعد اول عمل ادبي انكليزي ينصف صلاح الدين الايوبي ويظهره ندا لخصمه الملك الانكليزي ريتشارد قلب الاسد سواء في الفروسية او في الهيبة الملكية، وكان جب يوصي طلبته بقراءتها بوصفها عملا رائعا يمكنهم من فهم الكثير عن التاريخ الاسلامي See,W.I.,prefact of sketch book,(U.S.A.,Boston,1936),p.7.

(٢) Pierre, Op,Cit,P.221.

(٣) E.B,Op,Cit,P.693.

(٤) Alfred M.Hitechcock,Life of Irving,(U.S.A.,by the Berwick and Smith co.,1928), p.6.

(٥) Ibid,P.7.

(٦) Bragdon,Henry Wilkinson,History of a free people,(The Macmillan company,1961),p.122.

الذين انتقدوا اعماله ورأوا انها مليئة بالاستعارات الادبية واعادة لصياغة الحكايات القديمة[١]. بعدها عاد الى باريس واشترك في اعمال مسرحية واخرى غنائية مع (بيغن) (Pagne) ، لكنها هي الاخرى واجهت الفشل[٢]. ومضى ارفنج بعناد في البحث عن حياة مستقرة محاولا تأكيد شخصيته والعيش باستقلالية تتناسب مع مواهبه وامكاناته التي كان يدركها ، وفي عام ١٨٢٦م استدعته السفارة الامريكية في مدريد طالبة منه ترجمة كتاب حياة كولمبس[٣].وهنا بدات المرحلة الحاسمة في حياته والتي هيأت منعطفا جديا غير من افكاره وتوجهاته ، وهذا يبدو واضحا في كتاباته الجديدة[٤].

وامتدت هذه المرحلة من سنة ١٨٢٦م حتى سنة ١٨٢٩م ،يبدو فيها ارفنج قد استعاد مكانته الادبية وتحسنت حالته المعاشية ،والاكثر من ذلك تبنيه منهجا جديدا في الكتابة حيث المشاعر الفياضة من العواطف الرومانتيكية التي اضفاها على احداث التاريخ ،وانعكس ذلك بشكل خاص على التاريخ العربي في الاندلس ،فانتج كتاب غزو غرناطة والحمراء وحياة محمد .

والراجح فان النجاح الذي حققه عند ترجمته حياة كرستوفر كولمبس و اضافته الى الترجمة كتابا مستقلا اسماه رفاق كولمبس قد كان له اثرا كبيرا في الكشف عن امكاناته الادبية و جديته في العمل اذ كانت سببا في اختياره كممثل للقنصلية الامريكية في لندن[٥]، من سنة ١٨٢٩م وحتى سنة ١٨٣٢م ،ففي هذه السنة عاد ارفنج الى نيويورك وحينها فوجيء باستقبال مهيب وشعر بان عودته لم تكن مثل بقية السفرات اذ استقبل استقبالا رسميا وشعبيا ،فبالامس كان يطارده شبح العوز والفقر ،واقلام النقاد ونجده اليوم يعود وهو في وسط حشود المستقبلين المتلهفة لرؤيته [١].

---

(١) Pierre, Op,Cit,P.217.

(٢) E.A, Op,Cit,P.313; Carter Harold Dean,W.I. Sunside(New yourk ,Knof,1957),p.132.

(٣) Breach Leonard,W.I.,The Artist in a changing ؛.New.E.B,Op,Cit,P.906. world,(University of kansas,1948),p.78.

(٤) Alfred M.Hitchcock, Op.Cit.p.8.؛Ibid,P.908.

(٥) E.B,Op,Cit,P.693.

(١) Pierre, Op,Cit,P.220.

حاملا اوراقه التي اودع فيها كتابات ضخمة جعلته فيما بعد يكون من الرواد الاوائل لمدرسة الاستشراق الامريكي [٢]. وهناك في نيويورك اختار لنفسه مكانا ينعزل به عن صخب المجتمع واطلق عليه (الجانب المشمس)(Sunny side) محاطا بوقار واحترام الاصدقاء والاقارب ،مكرسا حياته للبحوث الادبية [٣].

وفي سنة ١٨٤٢م وحتى ١٨٤٦م انتدب مرة ثانية في السلك الدبلوماسي الى اسبانيا ايضا ولكن هذه المرة كانت المهمة التي اوكلت اليه سياسية بحته ،حيث اصبح السفير الامريكي في اسبانيا ،ومن اهم ممارساته السياسية في هذا المنصب ،اجراء مفاوضات مع الحكومة الاسبانية اسفرت عن تحديد وضع جزيرة كوبا ،وتسوية النزاع الذي قام بين البلدين بشأن حدود ولاية (اوريجون)[٤] .

كذلك قام ارفنج بدور اساسي في تسوية حرب المكسيك ،وقد اشبع انخراطه في السلك الدبلوماسي نهمه المزدوج الى السفر والكتابة ،اذ يسر له الوقت وتنوع المناخات الفكرية والطبيعية ،فحبب الى الكثيرين من بعده من الادباء والمثقفين الامريكان هذه المهنة مثل (كوبر ،هوثرون ،لويل ،هويلز) وغيرهم [٥]. وظلت اهتماماته التاريخية التي بدات سنة ١٨٢٧م تاخذ منحى متميز اذ استحوذت على اكثر اوقات فراغه واوقات بحثه الجانب الاكبر طيلة مدة سفارته في اسبانيا ،وحاول جاهدا ان لا يترك صغيرة و لا كبيرة تهم الحقبة العربية الاسلامية الا اقتنصها و سجلها لكي يضيفها الى مؤلفاته التي ما انفك يجد فيها المتعة الادبية والفنية [٦].وقضى تلك المدة بين المكتبات والمؤلفات جامعامادة كبيرة عن التاريخ العربي و تعداه الى حياة الرسول (ﷺ) ، فعاد الى نيويورك عام ١٨٤٦م ليبدأ

---

(٢) Brooks Van Wyck,The World of W.I.,(New yourk ؛.E.B,Op,Cit,P.692. ,Doubleday,1944),p.46.

(٣) ويتني ،فرنسيس ،المصدر السابق ،ص٩.

(٤) ويليس ويجر،المصدر السابق،ص٧٩؛ Bowers cloud,The Spanish Adventures of W.I.,(Boston,H.Mifflin,1940) ,p.33.

(٥) العربي ،اسماعيل ،مقدمة كتاب قصر الحمراء لارفنج ،ص٢١؛ ينظر ، تفصيلات العلاقات الامريكية الاسبانية الفصل الثاني من كتاب Morison,Samuel Eliot and Commager,Henry Steele,The Growrh of the American Republic,(4th Ed.,Oxford University,Press,1950).

(٦) Bowers cloud Op.Cit p.42.؛E.B,Op,Cit,P.693

مرحلة جديدة في تنقيح ماكتبه في اسبانيا محاولا الاطلاع على المؤلفات التي تهم حياة الرسول (ﷺ) وخلفائه حتى يتسنى له نشر كتابه حياة محمد عام ١٨٥٠ م[١]،وكذلك اهتم في المدة نفسها التي كتب عن حياة الرسول (ﷺ) بسيرة (غولد سميث)(Oliver Gold Smith) وسيرة جورج واشنجتن [٢]. وقد وافاه الاجل في ٢٨ تشرين الثاني ١٨٥٩م [٣].

اثر رحلات ارفنج الى أوربا على توجهه البحثي:

تقدم القول ان من بين ميول ارفنج التمتع بملذات الحياة والمتع المسرحية والادبية ،وعدم الالتزام بالاعراف الاجتماعية .وقد جلبت له هذه المواقف العداء من اهل القانون.وقادته هذه الافكارالى كتابة سلسلة من المقالات الساخرة الغريبة .

واشتراكه مع مجموعة من الكتاب حيث شكلوا فريقا من النقاد الشباب الهواة والواعين ،وقد استمر في عملهم يوجهون المبتدئين ويعيدون صياغة القديم [٤]. وينتقدون النمطية والروتين ساخرين من طموحات السياسيين والطبقات العليا في المجتمع،وداعين الى الحرب ضد التخلف الثقافي والاجتماعي ،وغالبا ماكانوا يكيلون الهجاء الى (جيفرسون)(Jefforson)[*] والحزب الجمهوري .وبالمقابل كانوا يناصرون الاتحاديين ويدعمون افكارهم [٥].

ومع هذا لم يكن ارفنج متميزا من بين اقرانه في بداية حياته الادبية بل كان أقل مستوى ثقافيا منهم.

كما انه لم يكن محافظا في عقيدته او بالاحرى لم يكن متدينا ،فضلا عن قلة فطنته وبراعته [١]. ومهما يكن فان ارفنج قد انشغل في مطلع حياته بشيئين مهمين

---

(١) Carter harlod Dean, Op.Cit.p.135؛William.T,Op,Cit,P.53.

(٢) See,W.I.,life of George Washington,(New ؛ Pierre, Op,Cit,P.314.
yourk,G.Putnam,1855),p.133.

(٣) Pierre, Op,Cit,P.314.

(٤) E.B,Op,Cit, Vol ,12,P.692

(*) توماس جيفرسون ،١٧٤٣-١٨٢٦،الرئيس الامريكي الثالث ١٨٠١-١٨٠٩،وهو من الحزب الجمهوري .

(٥) E.B,Op,CitP.692.

(١) Ibid,693.

ظلا ملازمين له طيلة حياته ،الاول :حبه للسفر والترحال ،والثاني:ولعه في الكتابة وقراءة الكتب وخاصة الادبية والتاريخية [٢]. فقد يجد المتتبع لرحلتيه الى اوربا التي سبق ذكرها الكيفية التي تحولت من خلالها حياة ارفنج ،حيث اثرت هذه الرحلتين عليه تاثيرا معنويا وماديا،اذ تبدلت احواله من شخصية مجهولة الى شخصية تتمتع بالمجد والشهرة [٣].

كان الدافع وراء الرحلة الاولى دافعا صحيا ،فقد كان عليلا كما مر ذكره الامر الذي دفع باخيه الاكبر على ان يبعثه الى اوربا للاستشفاء ،فمكث هناك سنتين (١٨٠٤-١٨٠٦م) وحقا تحسنت خلال هذه المدة صحته وانتعشت حياته وتغير تصرفه وسلوكه نحوالاحسن [٤]. وقد كتب الكثير من المذكرات الطافحة بالمغامرات عن هذه الرحلة التي اكسبته فرصة ثمينة في التعرف على اصدقاء جدد ،وقد ساعد هذا على توسيع دائرة معارفه الاجتماعية وزودته برصيد من المعلومات الادبية والتاريخية [٥].

كان ارفنج دؤوبا على تدوين الملاحظات خلال هذه الرحلة للاحداث التي لفتت نظره لكل طريف وغريب. كما كان يهتم بتدوين كل عمل قام به او حركة اتى بها [٦]. المهم انه تعلم الالمانية والفرنسية والايطالية والاسبانية خلال هاتين السنتين [٧]،وهذا مايدعم سعة اطلاعه وتطور امكاناته وقابلياته .

اجتمع ارفنج اثناء وجوده في روما بالكاتبة الفرنسية الشهيرة (مدام دي ستايل) وقد تعلم منها الشيء الكثير ،وكان معجبا بكتاباتها ،اذ قال مرة عنها وهو مندهش ((سيدة تتكلم كثيرا ولكنه كلاما جيدا))[٨].

وفي باريس تعرف ارفنج على الوسط الفني من الرسامين والممثلين ،مما زاده معرفة واطلاعا بالمسرح والمسرحيات والكتّاب والنقاد [١].وخلال مكوثه في لندن كان

---

[٢] William, O.P.Cit, P.13.

[٣] جبر ،د.جميل، المصدر السابق،ص٢٤؛Reichter Walter, Op.Cit.p.35.

[٤] Pierre, Op.Cit, P.236.

[٥] Poshman Henry, Op.Cit.p.48.

[٦] Pierre, Op.Cit, P.237.

[٧] Williams T.,Op.Cit.p.33.؛E.B, Op.Cit, P.693.

[٨] العربي، اسماعيل ،المصدر السابق ،ص١٦.

[١] E.A, Op.Cit, P. 234

يتردد كثيرا على مسرح (كوفنت جاردن) حيث شاهد كل ماامكنه مشاهدته من المسرحيات التي عرضت على خشبة هذا المسرح [٢]. وما ان انقضت تلك السنين حتى بدى له انه كان امام الكثير من الافكار والطموحات والاحلام التي ظلت صورتها البهيجة في ذاكرته ،ثم ان هذه الرحلة قد زادت في حبه لمتابعة السفر والعلاقات والاتصالات الخارجية ،اضافة الى تعرفه على الحكايات والقصص الشعبية ،وعلى عدد من الابطال الذين ادوا ادوارا مهمة في التاريخ ،وصاغ بعد ذلك تلك القصص باسلوبه الخاص [٣].

وكانت رحلته الثانية الى اوربا في عام ١٨١٥م ،حيث خرجت امريكا من الحرب ضد بريطانيامحققةانتصارا كان بمثابة دعامة قوية في اسس الوحدة القومية ومظهرا من مظاهر العزة الوطنية ورفعت منزلة الامريكيين في اعين البريطانيين واذكت في الامة روح الوعي القومي. وحصر الاهتمام في شؤون بلادهم وترقية حياتها القومية والاقتصادية ، لان الحرب والحصار والمقاطعة التجارية كانت قد شلت الحركة الاقتصادية في البلاد [٤]. وكانت هذه الاجواء ذات اثر سلبي على ارفنج وربما كانت دافعا له للسفر الى اوروبا مرة ثانية[٥].بالاضافة الى العامل النفسي الذي كان يعاني منه وحالة السأم والضجر ادت به الى تغيير نمطية حياته وما يؤكد ذلك قوله ((سئمت من كل شيء ،حتى انني سئمت من نفسي ايضا)) وقال ((لكي احطم العادات المستحكمة وحياة اللهو والبذخ مع رفقاء الخمول))[٦].

وقد حدد لنفسه هدفا وراء هذه الرحلة ،الا وهو دراسة انماط من السلوك والتصرف لشخصيات من مختلف البلدان الاوربية ،وذلك لكي يكتب كما ذكر ((كتابا يبَّرز مواهبي الادبية بصورة اوضح مما ابرزها أي كتاب وضعته حتى الان))[١] .

---

[٢] William , Op.Cit.,P.33.

[٣] E.A, Op.Cit ,P

[٤] وتني ، فرنسيس ،المصدر السابق ، ص ٥٤.

[٥] ماكس، ليرنرا، الفكر والحياة في الولايات المتحدة، ترجمة راشد الراوي،(القاهرة، ١٩٦٦) ، ص٥٢.

[٦] العربي ،اسماعيل، المصدر السابق ،ص١٧؛ Clary, Op,Cit,P.159.

[١] العربي، اسماعيل ،المصدر السابق ،ص١٧.

والمهم ان ارفنج خلال هذه المدة اصبح شابا مكتملا وبلغ منتصف العقد الثالث من عمره .وانه لاول مرّة واجه تحديا في ضرورة ايجاد عمل لضمان معيشته بنفسه[٢]،بسبب تبدد ثروة الاسرة ،وان العمل الادبي الذي انجزه لم يكن مربحا ولم يوفر له دخلا منتظما ،فضلا عن الازمة التي واجهت عمله في شركة اخيه (بيتر) كل هذه العوامل النفسية والاقتصادية جعلته يشعر باليأس وانقطاع سبل العيش ،فلم يبق امامه الا ان يفتش في دفاتره العتيقة عسى ان يجد فيها عونا له في محنته يساعده على العيش ،ودون تاخير حضر الى ذاكرته كتابه السابق (تاريخ نيويورك) الذي كان اكثر اعماله نجاحا في امريكا ،فاتجه الى اعداد طبعة ثانية ،وبعد نشره للكتاب حصل على نجاح وبشكل لم يكن يحلم به حيث كان له مواساة من ضنك العيش [٣]. الا ان ذلك لم يكن الا ومضة في ليل طويل ،ومن حسن الطالع فانه تعرف خلال تلك الفترة على الاديب الانكليزي (سكوت) (Walter Scott) كما مر ذكره الذي وصل آنذاك الى قمة شهرته ،وقد دعاه الى بيته واستقب بحفاوة [٤].وكان لهذا الاهتمام الشيء الكبير في نفس ارفنج وخاصة اذا عرفنا ان الادباء الانكليز كانوا يسخرون في هذه الفترة من الكتاب الامريكيين ويعتقدون ((ان الارض الامريكية قد تنتج كل زرع الا العبقرية))[٥].

كما ان ارفنج اهدى الى سكوت نسخة من كتابه (تاريخ نيويورك) واظهر سكوت اعجابه بقابليات ارفنج الادبية ،وكان لتلك العلاقة الطيبة اثر كبير على ارفنج حيث حفزته وشجعته على اعادة بناء جهوده في الكتابة ،فكانت النتيجة تاليفه لكتاب (The Sketch Book) ،ويتضمن ثلاثين قطعة ادبية وبضمنها ثلاث قصص جديدة ،وقد ضمنها الحكمة والعقلانية ،وبكلمات مباشرة وصريحة ،ناقش فيها الجدل غير العقلاني حول سوء التفاهم بين الانكليز والامريكان [١].

---

[٢] Stanley .T.William, Op.Cit.,P.

[٣] E.B., Op.Cit.,P.693.

[٤] Reichter Walter, Op,Cit,P.203.

[٥] العربي ،اسماعيل ،المصدر السابق ،ص١٧.

[١] William, Op.Cit.,P.73.

على الرغم مما حققه هذا الكتاب من نجاح،الا ان عددا من الكتاب قد وجهوا اليه انتقادات تتعلق بالاسلوب [٢]،لكن ذلك لم يثن عزمه بل اصبح الشغل الشاغل لارفنج البحث عن المادة الادبية في التراث الاوربي وخصوصا القصص والاساطير القديمة التي كان يهدف من وراءها الى اعادة صياغتها في قوالب ادبية جديدة [٣].

كان الامر الذي اثار اهتمام ارفنج وهو في لندن ان يجدّ في تعلم اللغة الالمانية التي كان يهدف وراءها الانتقال الى المانيا ذات التراث الشعبي الضخم ،ولذلك وتحقيقا لهذا الطموح فانه قضى في المانيا وبالذات في مدينة (درسدن)(Dresden) شتاء سنة (١٨٢٢-١٨٢٣م) ،استطاع ان يجمع المواضيع لكتابه المعنون (German Sketch Book) ،والذي يحكي حكايات مسافر ،وكان في الواقع كان خليطا من ذكريات السفر والاساطير [٤]. لكن النتيجة كانت على خلاف ماتوقعه ارفنج من اقلام النقاد ،الذين انبروا بمهاجمة الكتاب بجلافة ،مما اضطره للانتقال الى باريس [٥].كان يتطلع وهو في باريس للعثور على عمل يسد رمقه ،فاتجه الى المسرح عسى ان يكون فيه مايغنيه عن الكتابة ،فاشترك في اعمال مسرحية كما مر ذكره. الا انها هي الاخرى باءت بالفشل مما زاد في غصته ليعود الى حمل عصا الترحال متوجها الى ايطاليا ،ليطلع على تراثها وما يحويه من قصص وحكايات ،وان كان التراث الايطالي اقل شأنا من التراث الالماني الذي توقع انه سيكون له كنزا يتربع على قمته ويحقق مايصبو اليه. ولكن اقلام النقاد تابعته مرة اخرى في كل مكان وافشلت جهوده المضنية التي حاول من خلالها ابراز مواهبه [١]. وعلى اثر مواجهته الفشل في توفير دخل منتظم برغم جولاته في معظم كبريات المدن الاوربية ،وما قام به من عمل ادبي من اعادة صياغة القصص التراثية في تلك البلدان لم يثنه ذلك عن الذهاب الى فرنسا ليتعاون مع (جون هاورد باينز) الذي يعتبر من

---

(٢) E.B.Op.Cit, P.695.

(٣) William, Op.Cit.,P.75

(٤) E.B.Op. Cit.,P.692.

(٥). Clary, Op,Cit,P.172.

(١). Clary,OP.Cit,P.177

مشاهير المسرح الفرنسي ،لانتاج بعض المسرحيات ،ولكنها هي الاخرى لم تكن اوفر حظا من كتاباته ،كل هذا جعل سماء ارفنج تكفهر بغيوم الفشل الادبي والفني والعملي ،مما زاد البلة في طين افلاسه .

وفي تلك الظروف الصعبة قدم اليه (ايفريت)[*] عرضا للعمل في سفارة الولايات المتحدة في مدريد سنة ١٨٢٦م [٢]، رحب ارفنج بالفكرة واعتبرها العصا السحرية التي ستنتشله من صحراء الضياء ومستنقع المجهول .

ولقد ظهر عامل مهم وحيوي غيّر من مخطط ارفنج الفكري الا وهو العمل الدبلوماسي. انه ليس عملا ادبيا او يتصل بمواهبه القصصية انما كان عملا سياسيا بعيدا عن ثقافته الاصلية. فقد كلفته السفارة الامريكية في اسبانيا بترجمة مجموعة من الوثائق التي كتبها (مارتن دو نافاريت)(M.F.de Navarrete)[٣] .التي نشرت منذ وقت قريب ،وتتعلق بـ(كرستوفر كولمبس) مكتشف القارة الجديدة وهي وثائق ذات قيمه غير قليلة عن تأريخ الولايات المتحدة حديثة الاستقلال. وقد وقع الاختيار على ارفنج لاتمام هذه المهمه لما أشتهر عنه في كتابته عن التراث والقصص الشعبي وعن الشخصيات التاريخيه ،بالاضافة الى ان اخيه (وليم) كان قد أنتخبه عضوا في الكونكرس الامريكي،وما عرف عن حب(ايفاريت) للادب والادباء ومعرفته الخاصه عن أمكانيات ارفنج الادبيه [٤]

وجد ارفنج في هذه الدعوة مايلبي رغبته في اتجاهين ، العيش الرغيد ، وأشباع رغبته في حبه للتراث واهتماماته بسير الاشخاص لاسيما الابطال منهم والشخصيات ، والتي كانت السبب في حماسه لهذه الدعوه وكذالك لنجاحه فيها. لذالك راح يعمل بحماس وجديه وبدون كلل او ملل لمدة ثلاث سنوات متتاليه [١]و في الوقت نفسه كان يتردد على المكتبات لجمع مواد اضافية عن كولمبس . و لم يكتف بترجمة

---

[*] من كبار موظفي القنصلية الامريكية في اسبانيا ،وكان له اهتمامات ادبية وثقافية ..E. A, Op.Cit, P.134

[٢] E. A, Op.Cit, P. 234.

[٣] ويجر ، المصدر السابق، ص٧٨.

[٤] العربي ،اسماعيل، المصدر السابق ،ص١٨.

[١] Pierre,OP.Cit. P.67ز

الكتاب ،انما الحق عملا اخر الى ترجمته للوثائق وسمى تلك الاضافة بـ(رفاق كولمبس)(Company of Colompes)[٢]. وبعد ان اكمل عمله في سنة ١٨٢٨ وجد في المكتبات الاسبانية ما يوافق هواه ،وماكان يطمح اليه وطالما يراوده في احلامه الادبية الا وهو التاريخ العربي الاسلامي ،فلما علم ان المؤرخ البوستني الشاب (وليم هلكنج بريسكوت)كان يعمل في نفس المجال ، حول اليه تكملة العمل بكل سخاء((الجزء الخاص بالعالم الجديد)) المشروع الذي كان قد اعتزمه في الاصل [٣]. ونجده ينتقل مباشرة الى عمل جديد قد استهواه بعد ان اطلع على اسبانيا وما فيها من اثار ومخلفات تراثيه عظيمه ، فكان باكورة اعماله كتابه (الحمراء) جمع في اسلوبه بين التأريخ والرواية [٤].

ويعد هذا الصنف من الكتابة نقطة تحول لدى ارفنج بعد ان اطلع على الاثار العربيه الاسلاميه التي خلبت ناظريه وارهفت شعوره وملأت كيانه وحركت قلمه، ودفعته للترحال عبر الاوديه والسهول المترامية والجبال الجرداء الاندلسيه في اتجاه غرناطه، ونزل قصر الحمراء الذي قضى فيه شهور الربيع وجزء من فصل الصيف لسنة ١٨٢٨م، حيث سخر جميع مواهبه ونشاطه الذهني لوضع كتاب جديد اسمه (قصر الحمراء)[٥].

اصبح ارفنج في توجهاته الجديدة عنوانا استحق التقدير والاعجاب سواء كان ذلك في الوسط الامريكي ام بين المفكرين البريطانيين، فقد أحتفلت الصحافة في كلا البلدين بارفنج بوصفه ناقل الثقافه من العالم القديم الى العالم الجديد [٦]. ولم تكن شهرته في المجال الادبي والفني فحسب ، بل اصبح من رجال السياسه والتأريخ الذي يشار اليه بالبنان [١].وقد الف بعد كتابه غزو غرناطة كتابا اخر اطلق عليه اسم الحمراء لينهي اعماله سنة ١٨٢٩م منتقلا الى لندن ، وهو محمل بأوراق يحلم

---

[٢] Bowers Cloud ,The Spanish adventures of Washington Irving,Op.Cit ,P.42.

[٣] Ibid,P.46.

[٤] جبر ،د.جميل ،المصدر السابق ،ص٢٤.

[٥] العربي ،اسماعيل ،المصدر السابق، ص٢١.

[٦] Pierre,OP.Cit,P.95.

[١] جبر،د.جميل،المصدر السابق، ص٢٤.

بنشرها، تهم حياة الرسول (ﷺ) ، وكان انتقاله اللندن بأعتبار جديد ، حيث عين سكرتيرا للمفوضيه الامريكيه في لندن[٢]. وهناك منح الميدالية الملكية للاداب وفي السنة التالية منحته جامعة اكسفورد الدكتوراه الفخريه [٣]. وفي سنة ١٨٣٢م وعند عودته الى موطنه الولايات المتحدة ، نُظم له استقبالا يليق بالابطال ، حيث كانت قاعة الاستقبال تدوي بالتصفيق والهتافات ، ومناديل السيدات تلوح بأتجاهه من كل جانب وقد شربت الانخاب في صحته ثلاث مرات [٤].وبالاضافة الى كل هذا فقد عرض عليه منصب وزير البحرية ، وكذلك عرض عليه التعيين في مجلس الشيوخ ، ورفض كل ذلك حتى الترشيح لمنصب رئيس بلدية نيويورك [٥].

ويظهر لنا أن هذا التحول الجذري في حياة ارفنج بأنتقاله من حالة اليأس والفاقه وعدم الاستقرار، ومطاردة النقاد لجميع اعماله اين ما حل وارتحل ، الى هذه العظمه والتبجيل والاحترام ، وعلى جميع المستويات الادبيه والسياسيه، انها انتقالة يجب أن يقف عندها الباحث بالتحليل والاستنتاج عن العوامل التي ادت الى هذا التغير والتطور في المواقف .

ولعل ذلك يرجع الى أن ماانتجه فيها سواء على المستوى السياسي أو الادبي والتأريخي من ترجمته لحياة كرستوفر كولمبس الى كتاباته عن غرناطه والحمراء و غزو اسبانيا واخيرا حياة محمد(ﷺ) لابد انها التي وفرت له تلك المكانة المرموقة. وعندما نتثبت من كل نقطة على حدة نجد ان ترجمته للوثائق الى الانكليزية وما اضاف اليها في كتاباته عن رفاق كولمبس لم تكن ذات اهمية حتى عند ارفنج نفسه

---

(٢) William,OP.Cit,P.116.

(٣) E.B.Op.Cit.,P.693.

(٤) Pierre,OP.Cit,P.120.

(٥) Helman , George , W.I Ambassador , at large from new world to the old ,(New York ,knof, 1925),P.240.

،ولو كانت كذلك لما استغنى عنها بسهولة كما مر ذكره ، فالذي امده بالشهرة والفخر والكبرياء لايمكن لعاقل ان يتنازل عنه. اذا لم يبق امامنا سوى ماكتبه عن العرب المسلمين وهذا مايؤكده الاستاذ (لويس ليري) استاذ الادب الانكليزي في جامعة كولومبيا بالولايات المتحدة حيث قال ((لقد غرق ارفنج عقب ظهور كتابه قصر الحمراء في فيض من الشهرة والمجد))[١]. وقال عنه ((ان كتاب قصر الحمراء هو الذي بعث صيت ارفنج بوصفه اكبر كاتب للنثر في عصره))[٢]. ولكن هذا يثير تساؤلا مهما الا وهو لماذا اختار كتاب الحمراء على وجه التحديد؟ لاسيما وانه كتاب قد كتب بالاسلوب الادبي نفسه،وكتب عن شخصيات اوربية لها مكانة كبيرة في نفوس الاوربين انفسهم ،لكن لم يجن من اقلام النقاد الا التهجم والسخرية مما كان السبب في فشله بالكثير مما قدمه . فلم يبق الا مؤلفاته الاسبانية التي كانت تنبع من التوافق الصادق بين اعجاب ارفنج العميق بذلك التراث العظيم وبين براعته الادبية لذا اكد ابداعه في جميع ماكتبه عنها ،هذا من جهة ومن جهة ثانية انه كتب وهو يتمتع بموقع سياسي ودبلوماسي يعطي لكتاباته طابعا جديدا ،والاهم من ذلك ان المواضيع التي طرقها ارفنج عن العرب والمسلمين كانت لها صدى كبير على المستوى الشعبي والرسمي [٣].

فضلا عن شهرة ارفنج على المستوى الادبي فقد كان له بالمقابل مكانة دبلوماسية متكافئة مع تلك الشهرة ،حيث يُنقل للعمل في السلك الدبلوماسي في بريطانيا ،وبعد عودته سنة ١٨٣٢م الى نيويورك ،ولم يلبث كثيرا حتى عين مرة اخرى سفيرا للولايات المتحدة في البلاط الملكي الاسباني عام ١٨٤٢م [٤]. خلال المدة الاخيرة في اسبانيا والتي دامت اربع سنوات يعيد ارفنج الى ذاكرته تلك الايام التي مابرحت تداعب احلامه والتي وصفها بانها احلى ايام حياته ،اذ يقول ((وقد كان كل يوم يمر تبدو لي فيه اكثر متعة وجمالا وعظمة في نظري –يقصد الحمراء

---

[١] العربي ،اسماعيل ،المصدر السابق ،ص٢٠.

[٢] م.ن.

[٣] Helman , George, Op.Cit, P.248.

[٤] ويجر ،المصدر السابق ،ص٧٩.

))[1]. ويقول ((كيف استطيع مواجهة عناء هذا العالم وشغبه بعد هذه الحياة – يقصد بها ايام نزوله قصر الحمراء – التي كانت اشبه شيء بحلم كله بهجة وجمال ومتعة روحية ؟ كيف استطيع احتمال الاشياء العاديه والوضعية بعد سفر قصر الحمراء؟))[2]. ولم يكتف بتلك الاقوال حيث ذكر : ((يجب ان اسرع قبل ان تغيب الشمس ويسدل الليل ستائره على هذه المناظر حتى تبقى في ذاكرتي ملفوفة في هذه الغلالة الرائعة ماحييت))[3].

هكذا يعود ارفنج الى حلمه الجديد في اسبانيا ولكنه جاء اليوم سياسيا ولم يأت اديبا ولا كاتبا للقصة والاساطير الخيالية .و مع ذلك لم تمنعه واجباته السياسية عن ممارسة هوايته الادبية والتاريخية.

وتنتهي سفارة ارفنج في اسبانيا ليعود الى الولايات المتحدة عام ١٨٤٦م. وحينما وصل الى موطنه شرع في اعادة النظر بمؤلفاته التاريخية وبالاخص كتابه سيرة الرسول (ﷺ) الذي كتب مسودتها وظل يلازمه القلق بشأنها مدة ربع قرن لعدم تمكنه من نشرها ، فظهرت اخيرا في سنة ١٨٤٩ [4]،ليطمئن على اعماله مسجلا في ذلك ريادته للاستشراق الامريكي .

لا شك ان تلك الرحلات كان لها اثر واضح في توجهات ارفنج ومنهجه واسلوبه.ومن ابرز تلك الاثار توسع افقه الفكري من خلال اطلاعه على تراث الامم التي زارها بالاضافة الى تعرفه على الكثير من الشخصيات الادبية والمثقفين امثال الروائي الاسكتلندي المشهور ولتر سكوت[5] و مدام دوستايل في فرنسا ومجموعة الاثاريين في المانيا[1] وغيرهم من الشخصيات التي تماثله في الاهتمامات والتوجهات الادبية والتاريخية.فان كان سكوت قد شد عزيمته للاستمرار بالكتابة و النشر كما هو

---

(١)ارفنج ،واشنجتن ،قصر الحمراء ،ترجمة اسماعيل العربي ،ط١ ،الرائد العربي ،(بيروت ،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)،ص٤٢٤.

(٢) م.ن.ص ٢٢٤.

(٣) م.ن.ص ٢٢٧.

(٤) William, Op.Cit. P.117

(٥) Helman, Op.Cit.p.219.

(١) Reichter, Op.Cit.p.215.

واضح في الاعجاب الذي ابداه ارفنج له[٢]،حتى كان سببا في اقباله على تعلم الالمانية والاستمرار في الكتابة .وكذلك توجهه نحو دراسة الشرق على اثر وجوده في اسبانيا بعد اطلاعه على اثار الحضارة العربية الاسلامية والمؤلفات والكتب المنتشرة في مكتباتها[٣].ان هذا التوجه قد غير في اسلوبه الادبي نحو الاسلوب التاريخي اذ ان ارفنج لاول مرة يخرج عن طبيعة اسلوبه الروائي القصصي .وقد قللت تلك الرحلات حتى من اسلوبه الساخر والمتشكك اذ انه تاثر بمفكرين وفلاسفة وعلماء ومستشرقين كان قد تعرف عليهم من خلال جولاته في الدول الاوروبية كانت لهم نزعاتهم واهتماماتهم وتوجهاتهم المتباينة[٤]. ان قراءاته ومطالعاته لكتب ومؤلفات واصدارات جديدة لم تتوفر له في امريكا كان لها الاثر الكبير في بلورةافكاره ومفاهيمه وتطلعاته. ويمكن القول ان توجهاته السياسية هي من اثار تلك الرحلات التي عرّفته على المهتمين بالسياسة والدبلوماسية مما ادى الى اختياره سفيرا لبلاده في لندن ومدريد[٥].

المبحث الثاني

مؤلفات ارفنج ومنهجه :

---

[٢] العربي ،اسماعيل ، المصدر السابق ، ص١٧.

[٣] Bowers Cloud, Op.Cit.p.36.

[٤] Elsiel,W.I.As Biographer,(Columbia University,1965),p.154.

[٥] Helman,Op.Cit.p.219.

كان ارفنج منذ نعومة اظفاره مهتما بقراءات ادبية ، مما جعل اسلوبه ونمط كتاباته الاولى تتاثر بهذه المطالعات والتوجهات. يضاف الى هذا ما اطلع عليه من مجاميع ادبية وتاريخية. فهذه العوامل فضلا عن عوامل اخرى لها علاقة بمؤثرات عائلية فان اسلوبه في الاعم الاغلب كان اسلوبا ادبيا قصصيا. وظل هذا الاسلوب مؤثرا عليه حتى في كتاباته التاريخية. وقد اضاف اليها حبه للسفر والاختلاط بالمثقفين الشيء الكثير من الاطلاع والمعرفة .

فما ان بلغ سن العاشرة من عمره الا وهو يكتب المسرحيات الساخرة،ونشرها في المتحف الاسبوعي [*] (Weekly Museum) وله ولع بالمسرح والقراءة القصصية ،وخاصة منها الخيالية مثل قصص الحجاج ،وروبنسون كروسو ،والليالي العربية [١]. وقد اشتملت مؤلفاته على تسعة عشرة عملا تتوزع بين معالجة الاوضاع الاجتماعية والسياسية والقومية التي تمر بها امته الحديثة النشأة والتكوين. وفي عمر الشباب نشر في صحيفة كان يحررها اخوه الاكبر (بيتر) سلسلة من المقالات بعنوان (احداث الصباح)(Morning Chronicle) تحت اسم (جونثان اولد ستايل) (Jonathan Oldstyle) ،التي طبعها عام ١٨٠٢[٢].

واهم مايميز تلك المقالات اسلوبها الناقد الممزوج بالهجاء الهزلي الذي ينم عن روح تحررية لاتؤمن بالنمطية والروتين [٣]. حتى اصبح ذلك تقليدا في الصحف والمجلات الصادرة في القرن التاسع عشر[٤]. وما ان عاد من رحلته الاولى سنة ١٨٠٦م التي قضاها في اوربا حتى شرع بكتابة سلسلة جديدة من المقالات بالاشتراك مع اخيه (وليم) (William) وصديقه (جيمس بولدنك) (James Kirk Paulding) بعنوان (سلمى جوندي)(Slama gundi)[١].

---

[*] متحف، يقام في مدرسته الابتدائية يهتم بنشاطات الطلبه الادبية .

[١] William, Op,Cit.P.12

[٢] E.B.V.12,P.692.

[٣] William, Op,Cit.P.15.

[٤] E.A.V.15,P.470.

[١] E.A.V.15,P.470.

ويظهر فيها قدرته النقدية الساخرة وجنوحه عن الجمهوريين الى الاحرار،حيث كان الجمهوريون لايحبذون القصص والمسرحيات ،لانهم لايجدون فيها كبير فائدة ،فهذا (جفرسون)[*] كان يعد القصة عقبة كبرى في طريق التعلم.أما (مدسون)[**] كان يشعر بان الشعر والتظرف والروايات الخيالية والمسرحيات لا تستحق من وقت المرء إلا جانبا ضئيلا [٢]. ولكن البراعة الفائقة في المقال السياسي كانت موضع تقدير واسع المدى لدى مدسون. وقد شكل ارفنج مع براون وكوبر المجموعة التي تتصل اشد اتصالا بالخيال الادبي [٣].

استمر ارفنج في تبنيه لهذا المنهج الادبي الذي الفّ به كتابا جديدا لم يمنحه الشهرة فحسب ،بل در عليه ربحا ماليا كبيرا ذلك هو كتاب (تاريخ نيويورك)(History Of New York) باسم مستعار لمواطن امريكي يدعى (ديدريش نيكربوكر)(Diedrich Knicker Bocker) ونشره سنة ١٨٠٩ م [٤]. اظهر ارفنج براعته الخيالية وقدراته الفنية في هذا الكتاب بعد تصوره لشخص نام وهو يحمل معاناة عصره ،فيصحو من نومه فاذا قد تبدل من حوله كل شيء ،وبهذا الخيال حاول ارفنج انتقاد التخلف والطبقية والتدهورالصناعي [٥]. وكان ذلك واضحا في جميع كتاباته سواء منها ما كتبه في الولايات المتحدة او التي كتبها في اوروبا ، فكتاب (تاريخ نيويورك) الذي كتبه عام ١٨٠٩م والذي يزعم فيه ان الذي كتبه مؤرخ هولندي مغرور اسمه (ديدريش نيكربوكر) وفي ابوابه الاخيرة يثير الضحك من الشخصيات الحديثة ، والاحداث الجارية في التاريخ الامريكي جاعلا من (ووترفان تويلر) كاريكاتورا

---

[*] جفرسون،توماس(١٧٤٣-١٨٢٦م)،الرئيس الامريكي الثالث (١٨٠١-١٨٠٩م)، ،ينظر،بيترشام ،قصة رؤساء الولايات المتحدة ،ترجمة علي عبد الرحيم،(المكتبة العمومية في دمشق،سوريا،١٩٥٣م)،ص ٢٢.

[*] جيمس مادسون ،(١٧٥١-١٨٣٦) ،الرئيس الامريكي الرابع (١٨٠٩-١٨١٧) .

[٢] العربي ،اسماعبل ،المصدر السابق ، ص٢٤.

[٣] Willis ,Wager, American Literature, New York,University, P.53.

[٤] Form Introduction Of Life Of Mahomet, ,W.Irving, New York, 1944, P.15.

[٥] William, Op,Cit,p.2.

لـ(ادمز)[*] ومن (ولهلموس كيفت) كاريكاتورا ل(جيفرسون) ومن (بيتر ستويفسنت) كاريكاتورا ل(ميدسون). وكان اسلوبه ، الاسلوب المفضل لدى جيل الثوار[١] .

وفي كتابه (The sketch book) الذي ضمنه قصة (Rip van winkle) رواها باسلوب رومانتيكي ملون ومؤثر لحكاية شخص نائم ثم استيقظ فوجد امة جديدة فياضة بالحيوية فخورة بنظمها السياسية التقدمية تحل محل المدنية التقليدية المتطرفة ، ولم يكن هذا النائم الا ارفنج نفسه ، وشانه في هذه الكتابة كما هو شانه في معظم كتاباته التي استوحاها من اختيارات حياته الكثيرة[٢] . وكذلك في كتابه (حكاية مسافر) الذي هو خيالي برمته[٣] .

وقد تعمق منهج ارفنج وازداد قوة بعد سفرته الثانية الى اوربا سنة ١٨١٥م التي كان يامل ان يجد فيها مادة ادبية يستوحيها من التراث فيصيغها بما يفيض عليه خياله الوقاد ليخرجها مبرقعة بخياله الرومانسي .

وحقا فقد اتجه الى المانيا ذات الثراء الذاتي الواسع وكتب كتابا اسماه (مختصرعن المانيا)(German Sketch Book) الذي كان يحكي حكايات مسافر [٤].

ومن خلال كتاباته الادبية والفنية والاسطورية والقصصية عده النقاد عميد الادب الامريكي وكذلك اعتبروه رجل الرسائل الامريكي الاول [٥].وعلى اثر اهتمامات ارفنج الادبية وكتاباته الخيالية والاسطورية ومقدرته العالية في قراءة الاحداث فقد استدعي للعمل في القنصلية الامريكية في اسبانيا سنة ١٨٢٦م بدعوة من قبل (الكسندر ايفريت)(Alexander .H.Everett)[٦] .

وهناك بدأ ارفنج يغير في منهجه الادبي والخيالي الى منهج يمكن ان نعده خليط من الخيال والواقعية التاريخية وخاصة بعد ان بدأ بترجمة كتاب (حياة كرستوفر

(*)جون ادمز، الرئيس الامريكي السادس (١٨٢٥-١٨٢٩م) ،وهو ابن جون ادمز الرئيس الثاني للولايات المتحدة ،ينظر،بيترشام ،قصة رؤساء الولايات المتحدة ،ترجمة علي عبد الرحيم،(المكتبة العمومية في دمشق،سوريا،١٩٥٣م)،ص ٢٢.

(١) William, Op,Cit,p.2.

(٢) د.جبر ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٣) ويجر، المصدر السابق ،ص٧٨ .

(٤) Irving ,The Sketch Book , Boston, USA.1894,P.21

(٥) E.B.Op.Cit,P.671.

(٦) From introduction of life of Mahomet.New york,1904 P.xv. , William T

كولمبس)الذي استدعي من اجله ،لما لكولمبس من اثر عميق في تاريخ الولايات المتحدة ذات التاريخ الحديث .

وفي سنة ١٨٢٦م بدا ارفنج تسجيل اول توجهاته التاريخية ،حيث ذكرت دائرة المعلومات الامريكية ان ارفنج بدأ في الكتابة التاريخية عن سِيَر وحياة قادة التاريخ في هذه الفترة [١](Irving began writing history and biography in 1826)

ولم يتخل تماما عن اسلوبه الخيالي الا انه بقي يدافع عنه حيث يقول ((يمكنني ان اضع عطائي بالوان مشوبة بالخيال لكن اعطيها مناخا عاطفيا دون ان ادمر اساسها التاريخي[٢]))((I could lay my hands on colored and tinted by the air,with out destroying the historical imagination so as to have a romantic basis)

فكان ارفنج قبل مجيئه الى اسبانيا يتبنى المنهج الخيالي في جميع كتاباته الادبية ، و عُدّ من الكتاب الاوائل الذين يمثلون هذا الاتجاه ، ويصطف معه (براون) و(كوبر) ، اللذان عملا مع ارفنج على جعل الاعمال الخيالية القصيرة قالبا ادبيا واعيا ،الا انه في اسبانيا نحى منحى جديدا في الكتابة التاريخية حتى اصبح صاحب طريقة مميزة في منهجه والتي يعد من روادها[٣]. ومن اهم مميزات اسلوبه انه كان عزوفا عن ان يسيء الى مشاعر احد[٤] .

وقد استفاد من وجوده في اسبانيا الشيء الكثير والذي يضاهي ما استفاده من جولته في انحاء اوروبا. فتحول الى منهج الكتابة التاريخية المصطبغة بالخيال بالاضافة الى بحثه عن الشخصيات التي كان لها اثر فعال في التاريخ الانساني.وكانت بداية تلك المنهجية الجديدة في كتاباته عن(غزو غرناطة) و(فتح الاندلس) ومن ثم في (قصر الحمراء)،وكانت هذه الكتابات مدخلا للكتابة عن حياة الرسول (ﷺ) ، ثم كتب عن حياة (اوليفر غولد سمث)(Oliver Gold Smith)واختتمها بالكتابة عن حياة جورج واشنجتن [١]. وكذلك توجه لمعالجة

---

(١) E.A.V.15,P.480.

(٢) Pochman Henry A, Historical note ,(Madison, London, 1970), P.535.

(٣) ويجر ، المصدر السابق ، ص٧٦ .

(٤) م،ن.

(١) william ,Op,cit,p.13

مواضيع من صميم الواقع باسلوب تجسدت فيه الحساسية الرومانتيكية الحارة في الوصف كما في التأمل[٢].

يتضح من مؤلفات ارفنج التي تجاوزت التسعة عشر مؤلفا انها تشكل التطور النوعي لاتجاهاته الفكرية والتي طرق فيها مختلف المواضيع فمنها الساخرة ومنها الوصفية لرحلاته وسفراته ومنها التاريخية واخرى اهتمت بسير الرجال. وان كان جميعها يصب في اتجاه واحد ، هو الاهتمام باصلاح المجتمع الجديد والاعتزاز بقوميته الفتية واعلاء شانها. ان كتاباته الاصلاحية والتربوية التي بدات بها اهتماماته وباسلوب ساخر ومقالات قصصية والتي تجسدت في (Slamagundi)[٣].

وعند سفره الى اوروبا قد هيأت له جولاته في كبريات المدن الاوروبية الاطلاع على ثقافات وافكار وفلسفات جديدة غيرت في كتاباته حيث بدا ذلك في كتابه (The sketch book)[٤] واضعا امام قرّاءه الامريكان حقائق في اوروبا يجب ان يؤخذ بها وكذلك عرض ما في المجتمع الاوروبي من انحرافات ينبغي ان لا يقعوا فيها. اما مؤلفاته في اسبانيا قد تجاوزت تلك المرحلتين واخذت منحى عالميا حاول من خلالها الخروج بالتوجهات الامريكية خارج اوروبا حيث الشرق الذي كتب الاوروبين في جميع مجالاته الرومانسية والتاريخية والدينية واللغوية. فراى ارفنج يجب ان لا تبقى المكتبة الامريكية خالية من تلك المواضيع التي هي حكرا على المستشرقين الاوروبين. فكتب فتح غرناطة وفتح الاندلس واتبعها بقصر الحمراء الذي نال الشهرة بسببه وقد وصفه(لويس ليري) استاذ الادب الانكليزي في جامعة كولومبيا ((ان كتاب قصر الحمراء هو الذي بعث صيت ارفنج بوصفه اكبر كاتب للنثر في عصره ، وانه فنان ذو عين دقيقة حادة لاكتشاف الالوان والظلال ، مع شعور يتسم بالمقدرة على التاثير))[٥] ومن ثم انتهى بكتابته عن التاريخ العربي الاسلامي الى كتابه (حياة محمد).

---

[٢] جبر،د.جميل،المصدر السابق ،ص٢٤ .

[٣] See ,W.I, Slamajundi, (New Yourk, 1894)

[٤] See,W.I. The sketch book,(U.S.A.,1894).

[٥] العربي ،اسماعيل ، المصدر السابق. ص٢٤.

المبحث الثالث

كتاب حياة محمد موارده ومنهجه:

كانت اهتمامات ارفنج في التاريخ وسَيَر الرجال موازنة باهتماماته الادبية والنقدية متاخرة نسبيا ،اذ لم يكن هناك كما يبدو من دراسة حياته المبكرة أي مؤشر يدعم انه كان منشغلا بتاريخ امريكا او تاريخ اوربا او تاريخ الشرق ،الا انه منذ ان جرد قلمه ككاتب قصصي وناقد للاوضاع الاجتماعية المتخلفة بدأ حبه وولعه للبعيد والقديم وكذلك بدأ اهتماماته بالكتابة عن سَيَر الرجال والابطال التي ادت ادوارا في التاريخ ،اذ يقول :((اتوق للتجوال فوق مشاهد الانجازات الشهيره لاتعقبها بتاني مع خطوات اقدام الاثار عند القلعة المخربة ،ولاتامل وانا على قمة فنار قد سقط ...عندي رغبة جامحة لأرى عظماء رجال الارض))[١].

دون ادنى شك فان انقلابا جذريا في فلسفة ارفنج نحو التاريخ قد تحقق بتاثير رحلاته المتكررة الى اوربا ،التي زادت من وضوح الصورة امامه والتي بلورة رؤيته الممتدة الى جذور الاشياء حتى جعلت اعماله الادبية والفنية تنحصر في مجال التاريخ وشخصياته ،ويجدر ذكره ان ارفنج قد سعى الى اشباع رغبته لافي متابعة تاريخ امريكا فحسب انما بالتاريخ عموما حيث يقول : ((كان بلدي مليء بالفتوة الواعدة ،بينما اوربا غنية بكنوز متراكمة من العمر او الوقت المخزونة،تحكي تاريخ الزمان الذاهب ،وكل حجر متهافت هو سجل))[٢].

ومع هذا فان تاريخ اوربا ومعرفة ابطالها ورجالاتها بدأ يذوي عند ارفنج حينما اطلع على التاريخ والفن المعماري العربي الاسلامي ،فقد دفعه ذلك الى ان يتخلى عن نشاطاته الاولية التي وصل او اعتلى بسببها الى كرسي القنصلية الامريكية في اسبانيا .

لقد جذبه سحر غرناطة والحمراء وادى به الى العزوف عن كولمبس ورجالات اوربا وامريكا ،فسرعان ماتحولت اهتماماته الى تاريخ الفتح العربي ثم الى قصر

---

(١) Irving, the Sketch-book, Op.Cit,P.9.

(٢) Ibid, P.10.

الحمراء في الاندلس ،اذ صور هذا الانطباع العاطفي في رسالته الى الانسة (بوليفيه (Bolviller) بقوله ((It is impossible to travel about Andalusia and not imbibe a kind of feeling those moors .They deserved this beautiful country.They won it bravely,they enjoyed it generously and kindly. No lover ever delighted more to cherish a mistrss…than moors to embellish, enrish, elevate, and defend their beloved Spain)).[1]

وبعد ان كتب عن العمران الحضاري الذي رافق الفتوحات الإسلامية مقدما للقاريء حقيقة بان الجيوش التي عبرت البحر الشامي(الابيض المتوسط) واضنى سواعدها السيف والدرع فأنها لم تجف أقدامها إلا قد أرست هذا البناء الشامخ ، ولم يتوقف ارفنج عند حد العمران ، بل واصل البحث عن الدوافع التي دفعت تلك الجموع من شبه الجزيرة العربية الى شبه جزيرة ايبريا ، ليطفئ خمسة وعشرين خريفا من عمره مكملا بها كتابه (حياة محمد) ، فقوله ((علّي ان اقدم لهذه الكتابات نبذة عن حياة مؤسس عقيدة الاسلام والمحرك الاول للفتح الاسلامي))[٢]. بالاضافة الى هذا السبب هناك جملة عوامل ساعدت في اثارة هذا الاهتمام لدى ارفنج ، منها اطلاعه على الكتب المترجمة المتوفرة في المكتبات الاسبانية ، التي ما انفك يتعهدها بالزيارات بحثا عما يرشده عن معلومات عن كولومبس[٣] .وفي اثناء ذلك تمكن من الاطلاع على معلومات واسعة عن التاريخ العربي في الاندلس وكذلك عن الرسول (ﷺ) مما اثار فيه الرغبة للكتابة عن هذه الشخصية. وحقا في ١٦ تشرين الثاني ١٨٢٧م شرع ارفنج بالكتابة عن شخصية الرسول (ﷺ) على صيغة افتتاحية لصحيفة تصدر في مدريد (Madred Journal) تحت عنوان (حياة محمد الاسطورية)(The Legendary Life of Mahomet)[٤]. وظل متابعا لهذا الموضوع وسبر غور هذه الشخصية العظيمة معتمدا على قراءاته المستمرة وبحثه المتواصل عن المصادر ، بهدف ان يولي كتابه العناية المعرفية الكافية وصولا الى الواقعية

---

(١) Irving, L.M,Op.cit,P.

(٢) Irving,Alhambra,Op,Cit ,P,1.

(٣) . Pochman Henry A , Op,Cit, P.537

(٤) Ibid,P.531.

والامانة[٥].وايضا كما ذكر ارفنج ان خلو المكتبة الامريكية من كتابات تهتم بسيرة الرسول (ﷺ) مكتوبة باقلام امريكية ليملأ فراغا في المكتبة العائلية[١]. وكذلك حبه للابطال والبطولة التي كانت احد اهم توجهاته الاولية والتي قادته الى جولاته في اوربا.لذا وجد في شخصية الرسول (ﷺ) ما يلبي هذه الرغبة .ولاشك ان الدافع القومي كان من الاسباب التي دفعت ارفنج ليثبت ان لامريكا اطلاعا على الشرق كما هو لاوربا وخاصة في المواضيع التي تهتم بالعقيدة الاسلامية والرسول (ﷺ). فهناك عدة مصادر ومراجع قد اطلع عليها وتأثر بها فمنها المتطرف ومنا المعتدل والقديم والمعاصر ،بالاضافة الى اختلاف انتماءات مؤلفيها. مما وفر له ذلك التنوع سعة الاطلاع والقدرة على المقارنة والاستنتاج .ويبدو ان وجوده في اسبانيا في المدة (١٨٢٦-١٨٢٩م) قد هيء له الاطلاع على محتويات العديد من المكتبات العامة والخاصة والتي خص منها مكتبة احد اصدقائه الامريكان في اسبانيا ويدعى(Obadiahrich) وقد حل ارفنج ضيفا عليه لفترة من الزمن وكان من المحبين لجمع الكتب وخاصة التاريخية والدينية منها[٢]،.واشتملت مكتبته على وثائق ومستندات مهمة عن التاريخ الاسباني[٣].ومكتبة المؤرخ الاسباني (Fray Antonio Agapida) الذي كتب عن تاريخ العرب[٤].ومن بين اهم تلك المكتبات التي انتفع منها هي مكتبة الجزويت(Jesuet) التابعة الى رجل الدين ايزدرو (Isedro) وكانت زاخرة بالكتب النفيسة والثمينة[٥].واستطاع ارفنج ان يتعهدها بالزيارات حيثما سنحت له الفرصة حتى كادت تكون يومية[٦].واول المصادر التي كان لها دور كبير في توجهاته الجديدة نحو سيرة الرسول (ﷺ) والتاريخ العربي الاسلامي هو كتاب (المختصر في اخبار البشر)لابي الفداء[٧].وكان قد حققه وترجمه الى اللاتينية

---

(٥) Ibid,P.540.

(١) Irving , life of mahomet , Op.Cit,P.2.

(٢) Pierre,Op.cit,P.221.

(٣) Bowers Cloud, Op,Cit,P.72.

(٤) . Stanley T.Williams,Op.cit,P.217.

(٥) Pierre,Op.cit,P.219.

(٦) Ibid,P.85

(٧) Bowers Cloud, Op,Cit,P.86.

المستشرق (جان جانيه)(J.Gagnier) المطبوع في اكسفود سنة ١٧٢٣م[١].والمعروف ان كتاب ابي الفداء ان هو الا مسح تاريخي عام للاحداث التي مر بها التاريخ العربي منذ مراحله الاولى حتى حقبته[٢].وقد اتخذه ارفنج حجر الزاوية لمعلوماته ،واشار الى ذلك في مقدمة كتابه حياة محمد((يتوجب علي ان اعترف بنقطة جديرة بالاعتبار او بروعة حسن الحظ باكتشاف والانتفاع من كتاب احد اهم الباحثين والمؤرخين المسلمين))[٣].وقد اجتمع لارفنج في هذا الكتاب حسب ماذكر (باير) (Pierr) المؤلف و المتتبع لحياة ارفنج، جانبان مهمان هما ثقة المؤلف ونزاهة المترجم وموضوعيته واعتدال ارائه [٤]. وعلى الرغم من اهمية هذا الكتاب وما يستحقه من التقدير العلمي الا انه مصدر عام لايقدم تفصيلات لاسيما بالنسبة الى ارفنج كباحث جديد في التاريخ واحداثه .وقد استفاد ارفنج من كتب (جان جانيه) (J. Gagnier) الاخرى خاصة كتابه (De Vita Et Mohamed)(حياة محمد) واعتمد جانيه في تصنيف كتابه على القرآن الكريم ومصادر السنة النبوية المطهرة وكبار المؤلفين العرب في جزئين .ودحظ به افتراءات المتعصبين على الرسول (ﷺ)[٥].والراجح ان ارفنج قد تأثر بشكل كبير في قراءاته الاولية لهذا الكتاب ووجد فيه مايتلاءم وافكاره المتحررة والرافضة للاراء التي لاتستند على دليل عقلي ولايحركها سوى الحقد والكراهية [٦].لذا دفعه شغفه بكتابات جانيه بمتابعة قراءاته عن الرسول (ﷺ) ومن ثم الكتابة عنه والتي ابتدءها كما ذكرنا سابقا بمقالاته الصحفية في مدريد .ومن اجل ان تكتمل الصورة امامه عن العرب وبلادهم اهتم بما كتبه الرحالة الذين زاروا الشرق امثال (بوركهارت) (١٧٨٤-١٨١٧م) الذي يعتقد انه اعتنق الاسلام في سنة ١٨٠٩م وادى مناسك الحج[٧] وقضى حياته سائحا بين

---

[١] هولت، ب.م ،من رواد الدراسات العربية في انكلترا (ترجمة ،د. يؤيل يوسف عزيز ،مجلت الاستشراق، العدد٢ ،١٩٨٧م)،ص٢٦.

[٢] ينظر: ابو الفداء ،عماد الدين اسماعيل ، المختصر في اخبار البشر ،(مط الحسينية المصرية،القاهرة، بلا ت).

[٣] Pierre,Op.cit,P.197.

[٤] Ibid,P.185

[٥] Holt P.300.

[٦] Pochman Henry A, Historical note ,(Madison, London, 1970),P.537.

[٧] هولت، ب.م ، المصدر السابق، ص٢٦.

سورية ولبنان وفلسطين وكتب عن رحلاته واسفاره الى الشرق الادنى وعرب شمال السودان والنوبة [١].وكانت اكثر معلومات ارفنج عن الجزيرة العربية من خلال كتابي بوركهارت (الرحلات الى بلاد الشام) و(رحلة الى الجزيرة العربية) (Travelsin Arabia) التي اضافت الى ارفنج فيما يخص الجزيرة العربية بمسالكها وطرقها التجارية و قبائلها وعاداتهم واديانهم، الدقة والوضوح وسعة الافق[٢].وتوسع ارفنج بمعلوماته عن جغرافية الشرق باخذه من الرحالة (نيور)(Nieuhr) وخاصة كتابه (رحلات في الجزيرة العربية)(Travels in Arabia) ترجمه الى الانكليزية (هيرون)(Heron)[٣].وكذلك اخذ ارفنج عن (ديربيلوت)(D'Herbelot) في كتابه (Bibliotheque Oriental)(فهرست الشرق)[٤].

اما مصادره فيما يخص السيرة فقد كان للمستشرقين الانكليز الحظ الاوفر منها ،بالاضافة الى كتب جانيه والمختصر لابي الفداء هناك مستشرقون قدامى ومعاصرون قد اعتمد مؤلفاتهم ومن بينهم (ادورد بكوك)(Edward Bocok)(١٦٠٤-١٦٩١م) وكتابه (المختار من تاريخ العرب)(Specimen Historiae Arabum) وهو مجتزأ من تاريخ (المختصر في الدول) لابي الفرج ابن العبري، وذيله بسلسلة من الدراسات العربية المستفيضة في التاريخ والعلوم والادب والدين حتى تجاوزت الثلثمائة صفحة [٥].ولا شك ان رحلات بوكوك الى الشرق كان لها اثر كبير في حسن اتقانه للعربية واطلاعه على المصادر العربية فكانت رحلته الاولى بوصفه كاهنا ارسلته شركة ليفانت التجارية الى حلب وقضى فيها خمس سنوات والاخرى الى استنبول [٦] .وكان لكتابات (همفري بريدو)(Prideaux ,H.)(١٦٤٨-١٧٢٤م)اهمية خاصة في توجهات ارفنج السلبية والايجابية ،من خلال كتاب بريدو الشهير (The true nature of imposture fully displayd in the life of Mahomet)وقد

---

[١] هولت، ب.م ، المصدر السابق،ص٢٧.

[٢] Pierre,Op.cit,P.302.

[٣] Pochman Henry A, Op,Cit,P.532.

[٤] Stanley T.Williams,Op.cit,P.215.

[٥] هولت، ب.م ،المصدر السابق ،ص٢٦.

[٦] قاشا ،سهيل ،المصدر السابق ،ص١٨.

نشر سنة ١٦٦٧م وحقق هذا الكتاب النجاح الفوري[١].مما يدلل على الاتجاه السائد في تلك الفترة عن الرسول (ﷺ) وعن الدين الاسلامي وخاصة النصف الثاني من القرن السابع عشر حيث طغت روح التبشير والمجادلات الدينية على الدراسات الاستشراقية الاكاديمية[٢]. اما مؤلف بريدو الاخر (The History of The Eastern Church) (تاريخ الكنيسة الشرقية) الذي حاول فيه ان يتمم عمله الاول ليبين مدى المخاطر التي تنتجها الصراعات الدينية. وقد رأى بريدو في هذا تحذيرا خطيرا للمجتمع النصراني وخاصة بعد ثورة ١٦٨٨م في انكلترا ،منبها ان استمرار الانشقاقات والجدل في داخل الكنيسة سوف يرفع الرب الاعداء مرة ثانية كما رفع العرب ودمروا الامارات الشرقية في الامبروطورية الرومانية[٣].والمهم في ذلك ان مؤلفات بريدو قد ابدى لها ارفنج اهتماما خاصا، ولعل السبب في ذلك يعود الى ان تلك الكتابات تؤشر تقدما محددا عند مقارنتها بالمفاهيم المتداولة في الفترة التي سبقتها لاتتجاوز الاساطير التي حاول بريدو ان يضعها في اطار تاريخي حتى وان كانت مبطنة بمادة اسطورية ومشوهة بالانحياز الجدلي[٤]. بالاضافة الى سعة مصادره العربية التي تجاوزت الستة وثلاثون مؤلفا حاول جادا ان يقدم عملا موثقا[٥].

واعتمد ارفنج على كتاب (سيمون اوكلي)(Ockeley ,S.)(١٦٧٨-١٧٢٠م)(The History of Sarasens)(تاريخ –العرب–السراسين) في مجلدين اشتملا على تاريخ المسلمين الثقافي والسياسي[٦]. اهتم الجزء الاول بفتح سورية وبلاد فارس ومصر من قبل العرب المسلمين ،والجزء الثاني يشتمل على الفترة من خلافة سيدنا علي (رضي الله عنه) الى خلافة عبد الملك بن مروان (٣٥ – ٨٦هـ)[٧].ويعتقد انه لم يستعرض حياة

---

(١) Holt,Op.Cit,p. 291

(٢) Ibid

(٣) Arberry, Oriental Essays(London, Allen and Un win, 1960),P.30.

(٤) Holt, Op.Cit,p. 294

(٥) Arberry, Op,Cit,P.532.

(٦) العقيقي، المصدر السابق ،ج١،ص٤٦.

(٧) Holt, Op.Cit,p. 295

الرسول (ﷺ) في كتابه للشهرة الشعبية الواسعة التي حضي بها كتاب بريدو سابق الذكر [١].

وكان من اهم مصادر اوكلي كتاب ابي الفداء (المختصر في اخبار البشر) وكتاب (الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والسلاطين) لابن دقماق ،وابن الاثير والطبري ،وقد اختلف عن بوكوك بتفضيله للمصادر الاولية على المصادر المتاخرة وللكتاب المسلمين على الكتاب النصارى[٢].والمؤاخذ على اوكلي انه انحرف مع التيار العام السائد في عصره حيث وصف الرسول (ﷺ) بالمحتال العظيم ووصف الفتوحات العربية بالكارثة المحزنة ،وقد تحدث عن الرغبة في معرفة تاريخ العرب ليس لانهم كانوا رجالا عظماء وحققوا اعمالا خالدة ولكن مايتعلق بنا كنصارى لانهم كانوا الخراب الاول للكنيسة الشرقية[٣].وفي هذه الفكرة يبرز التباين بين اوكلي وارفنج حيث يرى الاخير ان التاريخ العربي قدم للعالم ابطالا في القيادة وفي الحضارة وكان ذلك من اهم الحوافز التي دفعته للكتابة عن حياة الرسول (ﷺ) .وهذا لايعني ان صدى كتابات اوكلي لم تجد مجالا في افكار ارفنج فهناك تطابق واضح بين الاثنين فيما يخص تأثر العقيدة الاسلامية بالنصرانية واليهودية وما جاء في القرآن الكريم ماهو الا اقتباسات محرفة عن الديانتين[٤].

وقد اخذ ارفنج من كتاب المستشرق (جورج سيل)(George Sale) (١٦٩٧-١٧٣٦م) وكان اثره اوضح من غيره في افكار وتوجهات ارفنج التاريخية والدينية[٥].اذ اعتمد ترجمة سيل للقرآن الكريم التي تعد اول ترجمة كاملة وبلغة اوربية واحسن مايمكن الحصول عليه .وبنيت الترجمة الفرنسية والالمانية والبولندية على تلك الترجمة [٦]. وقد ذيلها بشروحات وتفاسير وحواشي سهلت على قرّاء الانكليزية فهم الكثير من الايات القرآنية الكريمة .واعتمد في شروحاته على تفسير البيضاوي

---

[١] Holt, Op.Cit,p. 295

[٢] سهيل قاشا ،المصدر السابق ، ص١٩.

[٣] Holt, Op.Cit,p. 298

[٤] Ibid,P.300.

[٥] Pochman Henry A, Op,Cit,P.552.

[٦] سهيل قاشا،المصدر السابق، ص١٩.

والسيوطي[١]، ووضع لها خطاب تمهيدي واسعا شكل خلاصة للمعلومات المتوفرة في زمانه عن اصول ومباديء الدين الاسلامي والمذاهب الاسلامية [٢].وقد خصص الفصلين الاولين من تمهيده لحياة الجاهلية في جزيرة العرب والفصل الثاني في تفصيل سيرة الرسول (ﷺ)[٣].والجدير ذكره ان تمهيد سيل اشتمل على خمسة موضوعات رئيسية وهي جغرافية الجزيرة العربية،القبائل العربية ،تاريخ الجاهلية ،الديانات ما قبل الاسلام في الجزيرة وثقافة العرب[٤].وكان اعتماده الاساسي على كتاب جان جانيه (حياة محمد) وترجمة جانيه لكتاب ابي الفداء .وكذلك المختصر لبوكوك واخذ من اوكلي حالة النصرانية واليهودية وكذلك الزرادشتية عشية الفتوحات الاسلامية،وهذا يعني انه لم يستخدم المصادر العربية الا انه يذكر في هوامشه اضافة الى تلك المصادر بعض المؤلفات البيزنطية و بعض المراجع الحديثة فقد اشار الى بريدو واوكلي وبوليان فيير[٥] ويعد كتاب ابي الفداء المصدر الرئيسي لـ (سيل) عن سيرة الرسول(ﷺ).وكان تمهيد (سيل) مكملا لكتاب اوكلي ووجد تقديرا خاصا لدى المتعلمين الانكليز[٦]. والراجح ان ارفنج قد استفاد من سيل في ذكره لانواع العبادات في الجزيرة العربية قبيل ظهور الدعوة الاسلامية وكذلك مباديء الدين الاسلامي وحتى تقسيمه للفصول واستلال فكرة التوافق بين الظروف الزمانية والمكانية للجزيرة العربية وامكانيات الرسول(ﷺ) الشخصية ،بالاضافة الى اوضاع الدولتين الفارسية والبيزنطية ليصل الى تلك النتائج الكبيرة في توحيد العرب واسقاط

---

(١) Lewis .B,British, Conributions to Arabic Studies , (London, British Council , 1943), P.14.

(٢) هولت، ب.م ،المصدر السابق ،ص٢٦؛حوراني، البرت، الفكر العربي في عصر النهضة،ترجمة كريم عسقول،(بيروت،دار النهار،١٩٦٨)،ص١٢٨.

(٣) Holt,Op,Cit,p. 300.

(٤) هولت، ب.م ،المصدر السابق ،ص٢٦.

(٥) Holt, Op.Cit,p. 302.

(٦) Ibid.

الامبراطـوريتين الفارسـية والبيزنطيـة[١].وكـذلك اطلـع ارفـنج علـى كتـب المستشـرق الاسباني بليدا (Bleda) وهي (History De Mahoma) (تاريخ محمد) و(Coronica De Los Moros De Espane) (غزو العرب لاسبانيا)[٢]. ان هذه المصادر السابقة الذكر كما يبدو القاعدة الاساسية التي بنى ارفنج عليها افكاره ومنهجه في كتابه (حياة محمد). وقد استفاد ارفنج من مصادر اخرى عديدة ،منها كتاب جيبون (Gibbon) (Decline and Fall of The Romen Empire)(انحلال الامبراطورية الرومانيـة وسـقوطها) وكتـاب مـارجيني (Marigny)(The History of The Arabians)(تاريخ العرب)وكذلك مختارات من ترجمة القرآن الكريم لـ(لان)(Lane, Ed.W.) و(تاريخ المحمديين) (An History of Muhammedamsm) لـجارلس ميلز (Charles Mills)و تذييل بون (Bohn)لكتاب اوكلي،و(تاريخ محمد) (History De Mahoma)لبليدا (Bleda) كتاب (كونده)Conde , J.A) (تاريخ السيادة على اسبانيا) [٣] ، ومؤلف صموئيل كرين (Samuel Green) (The life of Mahomet) (حياة محمد) وترجمـة مـاثيو (A.M.Matthew) لـ(مشـكاة المصـابيح)، وغيرهـا مـن المصـادر الاخرى[٤]. ولابد من الاشارة الى ان المصادر التي اعتمد عليها ارفنج قد استفاد من اختلاف مراحلها الزمنية لانها تشير الى وجهات نظر متباينة تجاه الرسول (ﷺ) وسيرته فاصـدارات بدايـة القـرن السـابع عشـر غلبـت عليهـا صـفة الموضـوعية والاكاديميـة ، فكـان جهـد المستشـرقين الـرواد الاهتمـام بضـبط ترجمـة الانجيـل الـى العربية لذلك نمت التوجهات اللغوية[١]. وقد تم انجاز ترجمات بمختلف اللغات سنة

---

[١] حوراني، البرت، المصدر السابق،ص١٣٢.

[٢] Pochman Henry A, Op,Cit,P.552.

[٣] نشر كونده جزءا من نزهة المشتاق للادريسي سنة ١٧٧٩ وصنف كتابا في النقود العربية سنة ١٨١٧م .وله كتاب السيادة العربية وقد اضهر دوزي استخفافه بهذا الكتاب . ينظر ،دوزي ، Histore des Muslmans d'espagne 1861 .

[٤] Pochman Henry A, Op,Cit,P.552.

[١] Arberry Oriental,Op.Cit.,p.12-13.

١٦٥٧م حتى وصلت الى تسعة لغات[٢]. الا ان النصف الثاني من القرن السابع عشر قد شهد اضمحلال الدراسات الشرقية الاكاديمية وطغت على الدراسات العربية الاسلامية روح التبشير والمجادلات الدينية[٣]. فظهرت في تلك الفترة كتابات بريدو و اوكلي و سيل [٤]، اما في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر فقد تغير المناخ الثقافي في اوروبا الغربية فانتج موقفا جديدا تجاه الاسلام ونبيه والتي جعلت نهج بريدو وغيره نشازا[٥]. وفعلا قد انعكس ذلك على منهجية ارفنج وغيره امثال (كارليل)(١٧٩٥-١٨٨١م) في كتابه (الابطال) و (هنري دي بوليان فيير) (Henry De Boulain Villiers) (١٦٥٨-١٧٢٢م) (Vie De Mahomet) (حياة محمد) وغيرهم[٦]. ان هذا التنوع في المصادر كان له اثار سلبية واخرى ايجابية. حيث ان تلك المصادر لا تختلف في بشرية الرسالة الاسلامية الا انها تفترق في نظرتها الى شخصية الرسول (ﷺ) كانسان ، فمثلا كتابات بريدو وسيل واوكلي تعد الرسول (ﷺ) فضا وبربريا ومحتالا وانه لا يستطيع احدا ان يفهم خدعه وفساده[٧]. بينما يخالفهم جانيه وجيبون ومارجيني في هذه النظرة بل وحتى ينتقدون التعلق بالبديهيات التقليدية للجدل النصراني مع المسلمين[٨].

ومن خلال مؤلفاتهم التي اعتمدوا فيها على مصادر عربية واسلامية اضافة الى مؤلفين ومؤرخين اوروبيين اطلع ارفنج على اراء مختلفة ووجهات نظر متباينة عن الشرق والشرقيين كل حسب ثقافته وانتمائه وتوجهاته ، فمنهم المعتدلين ومنهم المتطرفين . واعتمد بشكل كبير على (جورج سيل،١٦٩٧م-١٧٣٦م) الذي ترجم

---

[٢] عزيز ، يوئيل يوسف ، اللغات الشرقية وادابها في القرن السابع عشر في انكلترا (مجلة الجامعة ، السنة السادسة، عدد١، ١٩٧٥م)،ص٤٦.

[٣] هولت، ب.م ،المصدر السابق ،ص٣٠.

[٤] Holt, Op.Cit,p. 302.

[٥] Holt,OP,Cit,p.298.

[٦] Ibid.

[٧] هولت، ب.م ،المصدر السابق ،ص٢٦.

[٨] Holt, Op,Cit,p.298.

القرآن الكريم ترجمة جيدة والذي ذيلها بشروح وحواشي لبعض التفاسير ومقدمة مسهبة عن الدين الإسلامي وثقافة العرب وتاريخهم [١] ووصف بودلي هذه النسخة بانها ترجمة طيبة وتعليق متجرد عن الفكر المنهجي والاسلوب الموضوعي[٢].ورغم اهتمام ارفنج بهذا الكتاب الا انه لم يعتمد بل استل منه استشهادات لـ(بليدا)(Bleda) وبشكل مباشر [٣] .

والشيء اللافت للنظر ان ارفنج اقتبس من المصادر والمراجع التي اشار اليها في هوامشه ، وبشكل مباشر كما ذكرنا عن (بليدا)وكذلك من هوامش (اوكلي) و(سيل) استشهد بالواقدي والغزالي [٤] .

وعلى الارجح بانه اشار الى تلك المراجع على سبيل الاستشهاد وليس الاقتباس او السطو. كذلك فان امكانات ارفنج العلمية في تعلم اللغات قد فسح له اوسع الابواب للاطلاع على الكتب المكتوبة باللاتينية او الفرنسية او الالمانية او الاسبانية ،مما زاد في ثراء معلوماته في موضوع بحثه [٥].

الا ان ذلك لم يغنه عن اللغة العربية فهي العقبة التي وقفت امامه في استقصاء الحقائق من مصادرها الاصلية بدلا من اعتماد الكتب المترجمة ،رغم انه قد جهد في عدم تضييع الفرص للوصول الى الحقائق ،واتبع طرق شتى للوصول الى مبتغاه، فهو لم يجار الاتجاه السائد في ثقافة عصره، وان كان قد سبقه الى ذلك العديد من المؤرخين والباحثين امثال رايسكة وجورج ياكوب وبورجشتال وغيرهم ،ولكن ذلك سجل له بشكل خاص لانه رائد الاستشراق الامريكي وسفير العالم الجديد الى العالم القديم.اذ انه اعتمد منهجا استند على الاستدلال والاستنتاج والتوجه الرومانتيكي فأجتمعت له النزعتان العقلية والجمالية [١].فركز على التمييز بين

---

(١) Holt, Op,Cit,p.298

(٢) العقيقي ، المصدر السابق، ج٢،ص٤٧.

(٣) William, Op.Cit,P.246.

(٤) Ibid,P.340.

(٥) Henry A.Pochman ,Op,Cit,P.531.

(١) Pierre,Op.cit,P.302.

المقاطع التي تظهر القيمة التاريخية للاحداث عن سواها من التي تعبر عن الحقد الشخصي [٢].

يكمن العامل الاساسي في توسيع دائرة ثقافته ووعيه المعرفي وخاصة في الدراسات الشرقية وفي مقارنة الاديان خلال المدة الطويلة التي قضاها في جمع مادة كتابه (محمد) فقد امضى في جمع مادته العلمية وتنقيحها وتبويبها الى مايقرب خمس وعشرين سنة .وكذلك مر بمراحل زمنية عبر رحلات مختلفة بدأ من اسبانيا ١٨٢٦ –١٨٢٩م،والتي استطاع ان يجمع ثلثي مادته [٣].وثم الى بريطانيا ١٨٢٩–١٨٣٢م وهو يحمل مسودات ماكتبه آملا ان يجد ضالته من المصادر التي تعينه على اكمال حلمه بمساعدة أصدقاءه القدامى امثال (جيفري كرايون)[٤] (Geoffery Crayon) . و بعد سنتين أي في سنة ١٨٣١م عرض مسودته الى (موري)(Murray) لطبعها ،الا ان الاخير لم يقتنع بها واكد ان فصولها مشوشة وغير متناسقة [٥]. لذلك لم تحصل الموافقة على الطبع وكان في ذلك فائدة كبيرة لارفنج وللمخطوطة [٦]. فنشط ارفنج الى ان يعيد النظر في مسودة الكتاب وسعى سعيا حثيثا الى توسيع مداركه ومعلوماته والى الاطلاع على مصادر اخرى[٧] .وبعد انتهاء مهمته الدبلوماسية في بريطانيا عاد الى موطنه سنة ١٨٣٢م وحتى سنة ١٨٤٢م حيث انتدب سفيرالامريكا في مدريد [٨] .

اضاف ارفنج اثناء هذه السنوات العشر الكثير من المعلومات التاريخية فضلا عن انه راجع عددا كثير من المصادر الاجنبية كما انه انتفع من وجوده في اسبانيا

---

[٢] جبر ،د.جميل ،المصدر السابق ،ص٢٤.

[٣] Williams,T.Op.cit,P.217.

[٤] Ibid,P.18.

[٥] Ibid.

[٦] A.E,Op.Cit,P.523.

[٧] Ibid.

[٨] Ibid.

التي امضى ميها اربع سنوات ١٨٤٢- ١٨٤٦م التي كانت بمثابة اعادة لمعلوماته الاولية[١] .

واخيرا استقر في موطنه ليوظف كل طاقاته وعلاقاته ومصادره من اجل انجاز مهمته التي طالما ظل يحلم باتمامها .وهنا في السني سايد استطاع ان يضيف افكاراً جوهرية الى بحثه وخاصة بعد قراءته المتأنية والمتمسكة بالحكمة والعقلانية والصبر وحصوله على الراحة والاستقرار النفسي ،بالاضافة الى المكتبة الشرقية واقتنائه لمؤلفات جان جانيه وخاصة جزئي (حياة محمد)(Lavie De Mahommet واربعة اجزاء من كتاب مارجيني (Marigny)(The History of the Arabians) وجزئين من ترجمة جورج سيل (George Sale) للقرآن الكريم ومختارات (Lane) من ترجمة القرآن الكريم ،وتذييل (بون)(Bohn) على كتاب (Ockley) وكتاب جارلس ميلز(Charles Mills)تاريخ المحمديين(An History of Muhammedasim)[٢] ومن خلال قراءاته المتأنية ، والاستدلالات والمقارنات بدت وجهات نظر ارفنج تتضح بشكل تتكامل فيها خصوصياته وبصماته [٣] ،فقد تميز عن غيره من المستشرقين الاوربيين المعاصرين في الاتفاق والاختلاف ،فأن كان قد اتفق مع (توماس كارليل)(١٧٩٥-١٨٨١م) في تعظيم البطولة وخاصة لشخص الرسول (ﷺ) ،ولكن هذا لايمكن جعله نقطة للاستدلال منه انه قد قلده او انطبع بطابعه،لان ارفنج قد سبق كارليل بتلك الفكرة ، لان كتاباته عن الرسول (ﷺ) كانت سابقة لكتابات كارليل عن الابطال ،ففي نهاية ١٨٢٧م كتب ارفنج عن الرسول (ﷺ) ووصفه بقوله : ((واخيرا وصل الوقت الذي اتحدت القبائل العربية المتفرقة رمزا ومثالا واحدا،وانتعشت بمبدأ مشترك واحد ،عندما نهض عبقري عظيم ،الذي استحضر هذه الاطراف المبعثرة ،واحياهم بحماسته وروحه الجسورة وقادهم عملاق الصحرا ليهز بهم الارض ويقلب امبوراطوريات العالم))[١] واما مؤلف كارليل فكان في سنة ١٨٤٠م[٢].

---

(١) Williams,T.Op.cit,P.217.

(٢) Pierre,Op.cit,P.302.

(٣) Ibid.

(١) Irving, L.M,Op.Cit,P13.

ولم يكن ارفنج سباقا في ذلك فحسب بل هو ايضا سباقا في منهجيته المعتدلة والبعيدة عن الضغينة والاحقاد والقدح والتعريض والالفاض النابية في جميع كتاباته نسبة الى غيره من المستشرقين ،الا ان كارليل كان متأخرا نسبيا عن ارفنج في كتاباته عن الرسول صلى الله عليه وسلم [٣] .ومع هذا فقد امتدح ارفنج ما قام به كارليل من عمل عظيم في كتابه (The Heros and Herowor ship) [٤].

ومن المصادر المعاصرة كتاب (فايل)(Weil)(١٨٠٨م-١٨٨٩م)(النبي محمد في حياته ودينه)(Mohammed der prophet sein leben and seine lehre)،الذي استعان مؤلفه في كتابته بسيرة ابن هشام ،السيرة الحلبية ،وسيرة البكري ،وكذلك ترجم سيرة ابن هشام والحقها بهوامش وتعليقات وشروح كتابه المذكور [٥] ،ويعد كتاب فايل من المصادر التي امتدحها ارفنج في مقدمته واعترف له بما اسداه له من جميل ، يبدو ان مناقشات ارفنج المّوسعة فيما وضع من تناقضات بين الاسلام والنصرانية جاءت من مقارنة فايل بين الانجيل والقرآن والتلمود [٦]،على الرغم من ذلك الاعجاب والاعتزاز الذي ابداه ارفنج لمؤلفات فايل فهو لم يندفع الى الاخذ منه الا مايؤيد به توجهاته في الملاحق التي كان يبغي منها ارفنج تاكيد اراءه [٧].

والشيء المهم ان المصادرالتي افاد منها ارفنج اذ انها عديدة و متنوعة في زمانها واتجاهاتها ،فمنها القديم ومنها المعاصر ومنها المنصف والمعتدل ومايقابلها المتطرف والمدفوع بدوافع مختلفة معادية للاسلام والعرب ،ومع كل هذا فانه خرج منها بحصيلة وسطية تخدم منهجيته الرامية لتنقية الحقائق من رواسب الخرافة التي استطاع ان يصل اليها من خلال تحليلاته واستنتاجاته [١] .والامر الاخر الذي اعتقد

---

[٢] العقيقي ،المصدر السابق ،ج٤،ص٥٣.

(٣)حمدان ،نذير ،الرسول في كتابات المستشرقين ،دار المنار ،(بيروت ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ،ص١٧٤.

[٤] Williams, Op,Cit.P.552.

[٥] العقيقي ،المصدر السابق ،ج٣،ص٥٤٣.

[٦] Williams,Op,Cit.P.562.

[٧] Ibid.,P.531.

[١] Pierre, Op,Cit.P.38.

بـه ارفنج هو ان معتقدات الكنيسـة التـي تؤكد ان الرسـول (ﷺ) ومذهبـه مـاهي الا عقوبـات الهيـة ،فـان ذلـك هـراء وخرافـة بعيـدة كـل البعـد عـن المـنهج الموضـوعي [٢].فمنهجيته الاستدلالية يبدو انها اوصلته الى مبتغاه في هذا الجانب بعد استقصاء الحقائق والمقارنة والمفاضلة على ضوء ماجمعه من مادة ،وخاصة عند مقارنته بين الاديان التي كانت موجودة عند ظهور الاسلام ،فنجده يتوصل الى حتمية انتصار الاسلام وتفوقه بما يمتلك من عوامل قوة الاتحاد بين الرسول (ﷺ) واتباعه ،وعدالة مبادئه ،وما يقابلها من اقوام وصفها بانها ذات عقلية بيزنطية عقيمة لـ (هيركليوسيين)،وزرادشتية الفرس المتفسخة لـ(الخسرويين) [٣] . واكد ارفنج ان استمرار بحثه ومقارناته لاتزيده الا اصرارا بصحة فكرته التي ابتدأها بمسوداته التي حاول نشرها في بريطانيا سنة ١٨٣٢م وبين اكماله للكتاب سنة ١٨٤٩م [٤].

ويبدو لـي ان منهجـه الاستدلالي بقـي ملازمـا لـه طيلـة مدة كتابتـه لكتابـه (حياة محمد)،الا انها لم تسعفه في اصابة كبد الحقيقة ،وربما بسبب ماذكرناه سابقا وهو عدم تعلمه للعربية التي تمنحه اطلاعا افضل على المصادر الاصلية ،لانه على ضوء قراءتها المباشرة ستكون حتما لـه افكارا واستنتاجات خالية من تاثير مااطلع عليه من خلال الكتب المترجمة للكُتاب الاوربيين الذين اثروا بـه بآراءهم التقليدية وحجبوا عنه تكوين رأي مستقل ،خاصة في جانبي النبوة والوحي .ولم يقتصر الامر على الاقتباس فقط بل ظهر ان تلك الجوانب لم يعدها من المسائل المهمة في كتاباته و لم يستقص فيها الراي،بل ركن الى افكار جاهزة ربما تقلل من جهوده المظنية لسنين طوال . ومن المحتمل ان ارفنج قد ترك بعض المسائل على علاتها ولم يناقشها ، لانها برايه غير ذات اهمية لانه كان يكتب لمن يدين بالنصرانية ،وهو حريص كل الحرص على ان يكتب بما يضمن قبول كتاباته من قرّاءه في الولايات المتحدة كما كان يامل(ان يحقق طموحه الادبي وذلك بمجاراته الخطوط

---

[٢] See,Gabrieli, F. Muhammed and the couquests of ; Williams,Op,Cit.P.531
Islam)london , 1968), P.12. وقد ترجم د . عبد الجبار ناجي الكتاب وقدمه الى الطبع .

[٣] See,Gabrieli, F.,Op.Cit,p542.

[٤] Williams, Op.Cit,P.544.

العامة للنجاح والخيال الشعبي)[1](To Fellow The Lines Of Popularsuccess… and Imagination).

وهذا لايعني انه قد تخلى عن اسلوبه الموضوعي وسار في ركب سيل وبريدو وفيل ،بل حاول جاهدا بعد قراءته للمصادر المتباينة النتائج بصدد الرسول والعقيدة الاسلامية ان يحدد وجهة نظر جديدة له بعيدة عن العقلية اللاهوتية والتطرف في الاحكام واعتماد الاستدلال العقلي . [2]و محاولة جادة لريادة الاستشراق الامريكي بعيدا عن افكار القرون الوسطى ولم ينخرط في صفوف الجهود الفكرية المتاثرة بما يسمى بـ(الجغرافية المقدسة)،كما وانه لا يلتقي مع التوجهات للاستشراق الاوربي الكولونيالي الاستعماري.فمساهمة ارفنج لاتقل قيمة عن مساهمات (يوليان فيلييز Boulain Villiers) ام (كارليل) ام (مونتكمري واط) .و يمكن ان نضعه في مقدمتهم لكونه مؤسسا لتيار فكري استشراقي جديد في امريكا الا انه رغم هذا بقي تحت تاثير مصادره وافكار عصره .

ان اختيار ارفنج لامهات المصادر الاوربية في مرحلته والفترة الزمنية التي قضاها باحثا ومستقصيا ومتابعا لتلك المصادر يجد فيها المتتبع انها دليل على حرصه الشديد للوصول الى حقائق واهداف تتناسب وذلك الجهد، الا ان اشارته في مقدمة كتابه (حياة محمد) تثير الاستغراب و التسائل حيث قال : (On which the authore Such is the origin of the work now given to the public lays no claim to novelty of fact,nor profundity of research.It still bear the type of a worke intended for a family library,in constructing which the whole aim of the writer has been to digest into and easy perspicuous,and flowing narrative the admitted facts concerning mohomet.)

((ان هذا العمل المقدم لايضع المؤلف أمام المطالبة بالابتكار في الحقيقة ولا عمق البحث.انه مازال يحمل نموذجا من التاليف يفيد المكتبة العائلية . فان هدف الكاتب تلخيص الحقائق المقبولة ويتابع ما يتعلق بمحمد(ﷺ) بسهولة ووضوح .بجانب بعض الاساطير والتقاليد المعمول بها في جميع مناهج الادب الشرقي وشرح العقيدة

---

[1] ويجر ،ويلس ،المصدر السابق ،ص٥٨.

[2] م.ن.ص٧٨.

الاسلامية بالقدر الذي يهم القارى العادي))[1].من المحتمل ان غايته الاساسية من البحث لم تكن هي التي اعلنها في مقدمته الا انه ايقن متاخرا ان مصادره لاتمكنه من الوصول الى الحقيقة الكاملة والتي عبّر عنها بتساؤلات وعلامات استفهام كبيرة في الفصل الاخير من كتابه كقوله :(هل ان محمدا كان قد جسد شخصية المحتال والمجرد من المبادىء الخلقية ؟) (هل كل وحيه ورؤاه التي رويت اكاذيب ؟)(هل كل منهجه نسيج من الخداع ؟)[2]. ويبدو ان تركه لهذه الاسئلة دون اجابات مباشرة كان يقصد التشكيك باراء المعتقدين بذلك والرد عليهم. كما اكد ذلك في موضع اخر من كتابه بقوله ((ان قائدا من هذا النمط لا يمكن ان يكون رجلا بدون مبادئ كما صور لنا)).

ان كتاب ارفنج الموسوم (حياة محمد) والمؤلف من تسعة وثلاثين فصلا وخاتمة ضمنها دراسة للعقيدة الاسلامية، حيث قام بتغطية شاملة لسيرة الرسول(ﷺ) رسولا وانسانا ،وكذلك مسح حالة الرقي والتطور للدعوة الاسلامية خلال وجود الرسول(ﷺ) نفسه ،كما اعطى وصفا تفسيريا لشخصية الرسول(ﷺ) وعقيدته فكانت تساؤلاته السابقة الذكر محور دراسته وبحثه .وافرد الفصل الاول لاعطاء صورة عامة عن الجزيرة العربية وسكانها واصولهم ودياناتهم .وركز في فصوله الخمسة الاولى على العوامل الزمانية والمكانية والاجتماعية التي صاغت حسب اعتقاده شخصية الرسول (ﷺ) واوصلته لقناعة كافية بان الوقت قد حان لقيام حركة اصلاحية مرة اخرى لان العالم انحدر الى الوثنية العمياء .وتعالج الفصول من السادس وحتى الفصل الثالث عشر الكيفية التي اوصلت الرسول(ﷺ) روحيا الى تاسيس العقيدة الاسلامية واعلانه لنفسه حسبما يقول رسولا من الله تعالى ،حتى اصبح له اتباع تحملوا معه الكثير من العذاب والآلام من ابناء جلدته مما اضطرهم الى الهجرة . خصص الفصل الثامن منها لشرح اسس العقيدة الاسلامية. اما الفصول من الرابع عشر حتى الفصل الاخير فهي المرحلة المكية التي يرى ارفنج

---

[1] Irving,L.M.Op.Cit,P.1.

[2] Ibid, P.232.

انها اختلفت عن سابقتها وان الرسول(ﷺ) قد اصبح له نظرة جديدة في التعامل مع المعادين لـه ولدعوتـه ،واصـبح السـيف بـديلا عـن الحجـة والاقنـاع .وافـرد الفصـل السادس عشر بتوضيح تلك الفكرة حيث يقول ((He now arrived at a point where he completely diverged from the celestial spirit of the christian doctrines and stamped his rehgion with the alloy of fallible mortality)) ((وصل الان الى نقطة حساسة اذ انحرف تماما عن الروح السماوية للمذهب المسيحي وطبع دينه بمختلف الاخطـاء القاتلـة)).ولا بـد مـن الاشـارة الـى ان الاسـتاذ الخربـوطلي لـم يتـرجم هـذه الفقرة[1].علـى الـرغم مـن ان ارفنج اشـار فـي الفصـل الرابـع عشـر وتوسـع فـي شـرح المباديء الانسانية والتربوية التي اشاعها الرسول (ﷺ) فـي المدينـة ،وذكـر الكثيـر مـن الاحاديـث التـي تؤيـد ذلـك، ويعلـل سـبب اعتنـاق النصـارى فـي المدينـة للـدين الاسلامي لانهم وجدوا تشابها بين التعاليم الانسانية في كل من الاسلام والنصرانية ولـم يلمسـوا أي تعـارض بينهمـا وخاصـة ان الاسـلام يضـع المسـيح عليـه الصـلاة والسـلام فـي مقدمـة الانبياء،امـا بـاقي النصـارى وان لـم يـدخلوا الاسـلام فلـم يبـدو أي عداء للاسلام .وفي الفصلين الثالث والثلاثين والرابع والثلاثين يبين انه على الرغم من تلك الانتصارات التي حازها محمد حيث امتدت الدولة الاسلامية على جميع الجزيرة العربية بقيت تصرفاته تنم عن البساطة والتواضع التي اتصفت بها جميع تصـرفاته حتـى وفاتـه (ﷺ) . امـل الفصـل الاخيـر الـذي خصـه بعنـوان : (محمـد الانسان والرسول) كان بمثابة خلاصة لافكاره ومفاهيمه ووجهات نظره تجاه الرسول (ﷺ).

وفي ضوء ما سبق فان ارفنج لم يكتب الا للفرد العادي في امريكا بهدف تعريفه بشخصية لها دور كبير في التاريخ ،خاصة وان بلدهم يمر بمرحلة التكوين ككيان لـه مميزاته الثقافية والادبية والفنية المستقلة عن الغير ،فهو يسعى من خلال كتابه الى ملء الفراغ في المكتبه الامريكية عن طريق الكتّاب الامريكان عوضا عن الكتب الاوربية ،وليسجل بين مواطنيه الرقم الاول في ميدان الاستشراق كما سجله في مجال

---

[1] يراجع، ترجمة الخربوطلي لكتاب ارفنج (حياة محمد) (دار المعارف ، مصر) ،ص ١٣٦و يقابلها في النسخةالانكليزية (Life Of Mohamet),P.103 (London, 1911)

الادب .ان اعتراف ارفنج بان كتابه لايعتمد البحث العميق ،ما هو الا دليلا على صراحته واعتماده على الاسلوب القصصي ،الا ان تخليه عن الحداثة والعمق قد اظهر السطحية والتقليد على افكاره واراءه بشكل واضح وملموس ، يضاف الى ذلك اعتماده على روايات منتحلة اوضعيفة،يرافقها نعته للكتاب والمؤرخين المسلمين بالخرافة والخيالات الغير منطقية والبعيدة عن العقل[1] ،فعندما يثار الغبار امام الروايات ويقدح في منهجية المؤرخ لم يبق سوى التحليل والاستنتاج العقلي والافتراضات من اجل الوصول الى الحقيقة ،وهذا ماكان يبغيه ارفنج ويتضح ذلك جليا في الكثير من المسائل الجوهرية التي وقف عندها . ومن اهمها اراءه في شخصية الرسول (ﷺ) التي برّزت جانبين متناقضين ،فنجده يعتمد الاراء والافكار المتطرفة فيما يخص الجانب الروحي في شخصية الرسول (ﷺ) ،الا انه يكون اكثر اعتدالا وميالا الى الحقيقة عندما يناقش الرسول (ﷺ) كانسان .

عنصران اساسيان في موقف ارفنج:

يتضح من تقسيم ارفنج لفصول كتابه والجوانب التي شدد عليها من وقائع السيرة النبوية، انه يتطلع لتأكيد فكرتين اساسيتين قد استنتجهما من مصادره المتنوعة وهما:-

الفكرة الاولى :هي حرصه على التمييز بين محمد(ﷺ) الانسان الذي توفرت فيه جميع الصفات التي تدعو للتقدير والاعجاب ،سواء في النتائج التي حققها(ﷺ) من خلال تفجير طاقات عرب الجزيرة العربية وقيادته بحكمة لتأسيس اعظم امبراطورية. ام بسلوكه كقائد تعجز البشرية ان تظهر مثيلا له[1].

الفكرة الثانية: محمد النبي(ﷺ) .الذي تدرج في افكاره الروحية منذ فترة مبكرة من حياته والتي استمر يتفاعل معها حتى قاده ذلك التحمس الروحي الى العزلة صياما وصلاة وتأملا ،انتهت بتخيلات استقباله الوحي من السماء .وقد صدق بايمان راسخ هذه التخيلات واملاها على اتباعه.

---

[1] الدعمي ،محمد ،المصدر السابق ،ص٨٢.

[1] Irving, Op,Cit.P.235.

هاتان الفكرتان وان لم يكن ارفنج قد انفرد بهما من بين معاصريه فهناك فيير ،كارليل ،رايسكه وغيرهم من الذين اعجبوا بشخصيته(ﷺ) .هذا التوجه في نظرة قسم من المستشرقين لايمكن ان نعده تقليدا بعضهم للبعض الاخر، غير انهم تجردوا بعض الشيء ونظروا بعين الموضوعية لجوانب محددة تؤشر رفض الكتابات اللاهوتية .فلو قارنا (توماس كارليل)(Thomas Carlyle)(١٧٩٥-١٨٨١م) ووجهة نظر ارفنج في كتابه نجد ان هناك الكثير من المفاهيم والافكار التي يلتقون عندها في الوقت نفسه نرى الاختلاف والتباين في اراء اخرى.فنظرية البطل التي اشتهر بها كارليل ماهي الا ردة فعل عن الطروحات المعادية للغير دون الاستناد على ادلة مقنعة .لذا نجد ارفنج يصرح بقوله ((ان قائدا من هذا النوع لايمكن ان يكون بلا مباديء كما صور لنا))[٢]. كما ويذكر كارليل ((آن لنا ان نحارب ما يشاع من مثل هذه الاقوال السخيفة والمخجلة عن محمد))[٣]. وقد كانت القاعدة التي اسسا عليها بنائهما الاستشراقي مشتركة في الكثير من الجوانب ،وفي مقدمتها انهما ابناء جيل واحد حيث كان من اهم مميزات عصرهم (القرن التاسع عشر) هو اتساع الاهتمام الرومانسي في الشرق .وهذا النوع من الاستشراق الادبي الذي يتبنياه يتميز بعدم الاهتمام بالعلم والمعرفة الدقيقة والموضوعية ،أي كونه مفعما بالتلذذية والنزوع العجائبي ،الا ان اثره كان قويا في صنع صورة خصوصية عن الشرق واشاعتها بين جمهور عريق من القراء والمتعلمين[١] .كذلك وحدة مصادرهما كان له دور في طبع الشخصيتين بصبغة واحدة للنظر الى ان الرسول (ﷺ) قد تأثر بافكار العقيدة النصرانية. ويركزون على بحيرى الراهب واثر اللقاء به على توجهات الرسول(ﷺ) الفكرية . ويقول كارليل : ((اذ وجد الفتى نفسه هناك في عالم جديد ازاء مسألة اجنبية عظيمة الاهمية في نظره ،اعني الديانة المسيحية ...لكن الغلام له عينان ثاقبتان ،ولابد ان يكون انطبع في لوح فؤاده امور وشؤون ...فلعل هذه الرحلة الشامية

---

[٢] Ibid,P.32.

[٣] كارليل،توماس، المصدر السابق، ص٥٨

[١] اربري،المستشرقون البريطانيون ، (ترجمة محمد الدسوقي،لندن،١٩٤٦) ص١٥-٢٠.

كانت لمحمد اوائل خير كثير وفوائد جمة))[٢].ويجتمعان في فكرة واحدة تجاه الانحرافات الكبيرة في ديانات عصر الرسول (ﷺ) سواء النصرانية او اليهودية وغيرهما .وان التعاليم الاسلامية قد فاقتها في التأثير الروحي وشد الجماعة الاسلامية الى فكرة الله تعالى المطلقة[٣]. والنقطة الاهم التي نستفادها من توجهاتهما نحو البطولة هي وجهة نظر غيرالمسلمين الى السيرة النبوية التي تكمن في افتراق رؤيتهم للاسلام بوصفه تاريخ او رؤيتهم باعتباره دينا.[٤] فنجد كارليل قد كرس فصلا في كتابه الابطال لتوضيح نظريته (البطل النبي) دون الاسهاب في جميع جوانب الاحداث التاريخية للسيرة النبوية .اما ارفنج فكان استعراضه لفكرته في بطولة الرسول (ﷺ) موزعة بين ثنايا فصوله التسع والثلاثين ،وهذا لايعني انهما تخليا في نظريتهما عن الجانب الديني كمحرك اساسي في البطولة كما في فكرة (كايتاني L.Caetani)و(هيوبرت كريمر H.Kreamer) وغيرهما بل صورا الدعوة الاسلامية على انها ثورة اجتماعية[٥].يتضح من رأييهما في سيرة الرسول(ﷺ) انها قامت على ايمان محمد(ﷺ) العميق بانه مرسل من الله تعالى[٦]. لكن هذا الايمان لايدفعهما للاعتقاد بان الدين الاسلامي موحى من الله سبحانه وتعالى ، ومنهم ارفنج الذي لم يجد سبيلا لحل هذ الاشكال، لذا نجده يقول ان محمدا لغزاً محيراً [١]. وكذلك كارليل اعتبر الرسول (ﷺ) لغز[٢]. وعلى الرغم من اقترابهما في الكثير من الامور التي تخص سيرة الرسول (ﷺ) الا انهما يفترقان في جوانب اخرى ،حيث يبقى كارليل رافضا للكثير من الثوابت في الذهنية الاوربية عن الرسول (ﷺ) وخاصة تهمة الشهوانية فيقول ((وقد قيل وكتب كثيرا في جنسية الدين الاسلامي

---

[٢] كارليل ،المصدر السابق ،ص٦٦.

[٣] م،ن ،ص٧٨ .

[٤] الدوري ،عبد العزيز ،نقلا عن رسالة ناصر ملة جاسم ،ص١٦٣.

[٥] Tor Audrae, Mohammed: the man and his faith, (London ,Gearge Allen and Unwin, 1956),P.74.

[٦] Irving, Op,Cit.P.234. ؛كارليل ،المصدر السابق،ص٥٨.

[١] Irving,L.Of ,M Op,Cit, P.232.

[٢] كارليل ،المصدر السابق ،ص٧٩.

،وارى كل ما قيل وكتب جورا وظلما ...وما كان محمد اخا شهواته برغم ما اتهم به ظلما وعدوانا...لقد كان زاهدا متقشفا في مسكنه وماكله ومشربه وملبسه وسائر اموره واحواله))[٣].اما ارفنج فلم يستطع التخلص من تلك الاراء البعيدة عن المنطق فوقع في الكثير من التناقض، و يبدوذلك واضحا في ثنايا كتابه الذي مر ذكره .

ويمكن ان نشخص مسألة اخرى قد شغلت مؤلفات المستشرقين بتوجيه تهمة القسوة والسيف الى الدين الاسلامي فيرى كارليل خلافاً لما رأى ارفنج في هذه النقطة فيقول ((ولقد قيل كثيرا في شأن نشر محمد دينه بالسيف،فاذا جعل الناس ذلك دليلا ،فشدما اخطأوا وجاروا))[٤]. يتبين من ان ارفنج وكارليل في اتفاقهما واختلافهما يمثلان الصورة الكاملة لمحاولة جادة ورافضة لتلك الاراء والمفاهيم والفلسفات التي تركت في الذهن الاوربي والامريكي رواسب من الصعب ازالتها حتى لدى المتنورين والمثقفين [٥].

يبدو لنا ان ارفنج لم يشذ عن غيره من المستشرقين بالادلاء بدلوه بمسألة النبوة وان كان قد اختلف مع الكثير منهم باسلوبه البعيد عن البذاءة والفحش وكذلك بمنهجه الذي يعتمد التحليل والاستنتاج دون الاخذ من المصادر العربية الاسلامية الاولية ،والتي يبدأ كتابه بامر قد سلم به مسبقا بوصفه للرسول (ﷺ) مؤسسا للعقيدة الاسلامية [١] ،وان كان قد اتفق مع غيره في ذلك لكنه خالفهم في العوامل الدافعة لها ،حيث اعتبروها هرطقة وانحراف عن النصرانية الحقة ،وان الاسلام ماهو الا عقوبة للنصارى بعد انحرافهم عن ديانتهم [٢]،واعتبر ارفنج ذلك خرافة وتحجر وجمود في فكر الكنيسة والرهبان [٣] .

---

[٣] م،ن،ص٨٣.

[٤] م،ن ،ص٧٦.

[٥] علي ،د.جواد ،،المصدر السابق ، ج١ ،ص٨-١١.

[١] علي ،د.جواد ،،المصدر السابق ، ص١٠.

[٢] Prideaux H.,Life of mahomet,(London,1723)P. 121.

[٣] Irving,L.M, Op,Cit.P.232.

ومع ذلك فقد استنتج بان هناك عوامل خارجية وقدرات شخصية كانت كفيلة بتهيئة الاجواء لنشأة قيادة جديدة في عمق الصحراء .ووصف عرب الجزيرة بالقوة والنشاط ويمتازون بتحمل التعب والمشقات والصبر والشجاعة ،والاكتفاء بالطعام القليل ،و بسرعة البديهية ،والفطنة والذكاء والدهاء والخيال المتوقد والكبرياء وعزة النفس ،وان العربي خطيب بالفطرة ويجاري الالفاظ ثم يميل الى الحكمة والامثال ،وان العربي مقاتل شجاع وكريم ومضياف [٤].

لم يذكر ارفنج المصدر الذي اعتمده في هذا الوصف الدقيق ،فضلا عن عدم اظهاره أي موقف معارضا لذلك خدمة لغرضه الذي يوصله الى ان احد اهم عناصر القوة في جزيرة العرب التي سيعتمدها الرسول (ﷺ) قد توفرت بوجود عنصر حربي من الطراز الاول ،ويبرر وجود ذلك ،لان العرب بحاجة دوما الى الدفاع عن قطعانهم ومواشيهم ،لذا فهم يجيدون استعمال السلاح حتى اصبح لايبزهم احد في استعمال القوس والحربة وغيرهما من السلاح وحتى في ركوب الخيل [٥].

ويبدو ان تتبع ارفنج لحياة الرسول (ﷺ) منذ الوهلة الاولى لولادته والظروف التي احاطت به وكيف اثرت في اعداده وتهيئته كانت مبررا قويا لان يكون قائدا لاؤلئك المقاتلين .فيذكر ارفنج ان ولادته (ﷺ) كانت في بيت سدنة الكعبة ، فانطبعت في ذهنه صور لشعائر ومناسك الحج منذ طفولته ،ولهذا وقع كبير في نفس ذلك الطفل القوي الملاحظة والناضج التفكيرالذي يتامل في كل مايراه بخيال خصب وسعة افق [١].

من الواضح ان تتبع ارفنج لحياة الرسول (ﷺ) وظروف الجزيرة العربية كان يبغي ارفنج من ورائها الوصول الى حقيقة قد سلم بها مسبقا وهي عدم التسليم بصدق نبوة الرسول (ﷺ) ،فيؤكد على ان مجيء الحجاج لزيارة الكعبة وبشكل منتظم بمواسمه المحددة قد زاد من معلومات الرسول ومعارفه ،فيذكر (كان يقبل على

---

(٤) Ibid,P.9.

(٥) Ibid,P.6.

(١) Irving,L.M, Op,Cit.P.6.

استقبال الحجاج ويتعلم منهم كل شيء بشغف ويحفظها في ذاكرته ،وبمرور السنين تفتحت آفاق المعرفة امامه [٢]،ويؤكد ارفنج انه بالاضافة الى ذلك فان اجواء مكة التجارية ومجيء القوافل وازدحام شوارع مكة واصوات قرع الطبول التي تصاحب القوافل كل هذا كان له اثر كبير في نفس صبي مثل محمد حيث يثير فيه حب الاستطلاع لمعرفة احوال البلاد الاجنبية [٣].

ويرى ارفنج ان ماذكره عن اخلاق الرسول (ﷺ) وشخصيته يكفي لاعطاء فكرة متكاملة عن ان الظروف خلقت شخصية بوسعها قيادة ثورة لقلب جميع الحقائق التي امتدت الاف السنين والتي تجذرت في كل مفصل من مفاصل الحياة،وان كان الذي ذكره ارفنج قد اخذ من المصادر العربية ،الا انه لايمكن ان نعتبره المقدمة الحقيقية لنبوة الرسول (ﷺ) ،كما اراد ارفنج ان يعتبرها فترة تخطيطية مدروسة ومبرمجة لاعمال النبوة القادمة ،لان النبوة والوحي لم تكن اختيارية بل هي اصطفاء الهي كما قال تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [٤] وان كان ارفنج قد اعتمد اراء بريدو وسيل واوكلي في محاولتهم لاضفاء الصبغة البشرية على نبوة الرسول (ﷺ) [٥]،لذلك نجده اعتمد استنتاجات غريبة لا تستند على واقع تاريخي وبشكل خاص رحلة الرسول (ﷺ) الى الشام والتي يعدها ارفنج من اهم المحطات التي صاغت افكار الرسول بالاتجاه الروحي والعقائدي ،ويؤكد انما حدث اثناء مسير القافلة وهي في طريقها الى الشام والكيفية التي كان يقضي بها اهل القافلة اوقات فراغهم بقص القصص والروايات التي يحلو لهم الاستماع اليها في ليالي السفر [١].لقد اكد ارفنج ان هناك روايتين كان لهما دور كبير في تعزيز افكار الرسول (ﷺ) باتجاه الاصلاح الاجتماعي عن طريق النبوة التي لم تفارقه احلامها في جميع اوقاته ،ويرى ان الروايتين اللتين لاشك ان محمدا قد سمع بهم (Which he must have heard at

---

[٢] Ibid.

[٣] Ibid.

[٤] سورة الانعام،من الاية ١٢٤.

[٥] Holt,Op.Cit, P.299.

[١] Irving,Op,Cit.P.24.

this time) وهي التي قد حددت حجر الزاوية للعقيدة الاسلامية ،ويذكر (في تلك الوقفات الليلية للقافلة فان العقل الناضج لمحمد بلا شك قد وعى العديد من تلك الخرافات والتي استقرت فيما بعد في ذهنه وكان لها تاثير نافذ و كبير في خياله)[٢].

ولم يحاول ارفنج ذكر المصادر التي روت تلك الروايتين وكذلك لم اجد في المصادر العربية والاسلامية اثرا لتلك الاحاديث التي اكدها ارفنج .

تدور احداث القصة الاولى كما ذكر ارفنج حول ثمود قوم صالح حيث ذكرها كما وردت في الايات القرانية الكريمة من سورة الاعراف كما في قوله تعالى ﴿والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تأكل في ارض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب اليم ﴾ وقوله تعالى ﴿فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾[٣]. ويكمل ارفنج روايته (لم يسمح لرجال القافلة التجمع جوارها (آثار ثمود)،بل استعجلهم للابتعاد عن هذه المنطقة الملعونة [٤].

يتضح ان ارفنج قد ابدى رأيا يفهم منه القول بأن الرسول كان قد سمع تلك الرواية في رحلته الى الشام افتراضا ،وامر القوم وهو ابن الثانية عشرة من عمره ان يغادروا هذه المنطقة وكانهم لم يمروا بها سابقا ،رغم ان ذلك طريقهم المعتاد في رحلاتهم الى الشام [١].اما الرواية الثانية التي ورد ذكرها في الرحلة نفسها والتي تدور حوادثها في مدينة (ايلة)ويذكر ارفنج ان شغل اهلها الصيد ،فيقوم المسنون بصيد الخنازير ،في حين يقوم الشباب بصيد القرود [٢].

ويبدو ان ارفنج لم يهتم بالتحقق من صحة مااخذه من كتاب سيل (حياة محمد)،فابقاه على علاته والذي يريد ارفنج الوصول اليه حسب قوله (اشرنا سابقا الى هاتين الروايتين بشكل خاص لان كليهما قد استشهد بهما محمد كحكم الهي على

---

[٢] Ibid,.P24-25.

[٣] سورة الاعراف ، الاية ٧٨،٧٣.

[٤] Irving,L.M,Op.Cit,P26.

[١] الطبري ،المصدر السابق ،ج٢،ص١١٢.

[٢] Irving,L.M,Op.Cit,P26.

جريمة الوثنية والكفر)[٣] ،فهنا يتهيء لارفينج ان هاتين الروايتين قد اوصلته الى حقيقة لايمكن الاستغناء عنها بما تؤكده من دلالة على ان ماورد في القرآن من آيات ماهي الا اثار تلك الرحلة التي امضاها مع ابناء قومه نحو الشام ، وعند تتبع هذه الروايتين من خلال المصادر الاسلامية نجد انها منتحلة ولا تقف امام النقاش والجدل ،حيث ان الكثير من المؤرخين شككوا في رحلة الرسول (ﷺ) الى الشام واظهروا الادلة القاطعة بعدم وجود تلك الرحلة اصلا ،وان سلمنا بان الرسول (ﷺ) قد رافق تلك الرحلة الا ان هذه الروايات ليس لها وجود في أي مصدر من المصادر الاسلامية ،هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان امر الرسول (ﷺ) كان في بعض الروايات تسع سنوات وفي روايات اخرى اثنا عشر سنة وهذا يقف امام صدق ادعاء ارفنج بان الرسول (ﷺ) قد منع القوم من الوقوف في ذلك المكان بعد سماعه لقصص السمر الليلية ،فكيف يكون ذلك وفي القافلة من كبار قريش واشياخها ،كذلك كيف يجهلون طريقهم الذي اعتادوا ان يسلكوه في كل رحلة الى الشام .

حاول ارفنج توظيف احاديث الرسول (ﷺ) للغرض الذي يروم الوصول الى تحقيقه حيث قال (ﷺ) ((طوبى للشام ان ملائكة الرحمن لباسطة اجنحتها عليه))[٤].

كان ارفنج بارعا في ان لايضيع الفرص في توكيد ما كان يتصوره ويتخيله عن الرسول (ﷺ) وشخصيته وانه لم يتمكن من بناء الدولة الاسلامية ولانشر العقيدة الا بما كان تاثر بها اثناء سفراته الى بلاد الشام .ومع هذا فانه يكرر القول بان نجاح الدعوة الاسلامية يرجع اساسا الى ماكان يمتلكه من مواهب وقدرات شخصية يضاف اليها ما املته الظروف الخارجية التي اعانته على ذلك ،حيث يرى ارفنج ان الاسواق في مكة وما كان يرافقها من المناظرات الشعرية ورواية القصص الشعبية بالاضافة الى قيام المبشرون بالتبشير بالاديان المختلفة له الاثر الكبير في تاسيس العقيدة الاسلامية (ان محمد استطاع من خلال ذلك تفهم المذاهب الدينية المختلفة التي

---

[٣] Ibid,P.26

[٤] ابن حبان،محمد بن حبان بن احمد،صحيح ابن حبان ،تحقيق شعيب الارنؤط ،ط٢،(بيروت، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م)،ص ١٢٣.

كانت منتشرة في الجزيرة .ومن المصادر الشفوية جمع تدريجيا الكثير من المعلومات المختلفة من الملل والمذاهب التي عارضها فيما بعد)[1].

ان الشبهة التي تثار حول التعاليم الاسلامية بأن مصادرها الديانة اليهودية والنصرانية لما جاء في القرآن الكريم عن هذه الديانات ،فان من الجدير بالذكر ان مصادر تلك الرسالات السماوية واحد وهو الوحي الالهي ،وان هناك وحدة في هدف تلك الرسالات وهو ارشاد البشرية الى طريق الحق ،وقد اوضح القرآن الكريم هذه الحقيقة ﴿قل ماكنت بدعا من الرسل وما ادري مايفعل بي ولا بكم ان اتبع الا مايوحى الي وما انا الا نذير مبين ﴾[2]،ان التشابه في بعض الامور الدينية بين الاديان السماوية الثلاث ناتج عن وحدة المصدر ،ومن المتعذر ان يكون نبي الاسلام قد اقتبس تعاليمه من الانجيل وقد اعترف بعض المستشرقين بذلك ،فقد قال مونتجمري واط (...ان من المستبعد ان يكون محمد قد قرأ الكتب الدينية اليهودية او النصرانية ...ومن الارجح انه لم يقرا أي كتاب اخر)[3]،وقد شاركه (ج.س.هجسين)نفس الرأي بقوله (ان قاعدة نبوة محمد من ناحية مبدئية هي نفس تجربة واعمال انبياء بني اسرائيل ،لكنه لم يعرف شيئاً عنهم بشكل مباشر ،ومن الواضح ان تجربته كانت خاصة)[1].ويقول توماس كارليل (لااعرف ماذا اقول بشأن سيرجيوس او بحيرى مهما كان اللفظ الذي قيل انه تحادث مع ابي طالب ،او كم من الممكن ان يكون أي راهب قد علم صبيا في مثل تلك السن ،لكنني اعرف ان حديث الراهب النسطوري مبالغا فيه بشكل كبير ،فقد كان عمر محمد (تسع سنوات الى اثنتي عشرة سنة على اكثر تقدير) ولم يعرف لغة غير لغته ،وكان معظم مافي الشام غريبا وغير مفهوم بالنسبة له)[2].

---

[1] irving,Op,Cit,P.30

[2] سورة الاحقاف ،اية ٩.

[3] واط، مونتجمري ، المصدر السابق ،ص٣٩.

[1] رودنسون، مكسيم ،الصورة الغربية والدراسات الغربية الاسلامية، بحث في تراث الاسلام (تحقيق د. شاكر مصطفى ، الكويت، ١٩٧٨)،ص ٨٥.

[2] كارليل ،المصدر السابق ، ص ٨٢.

وان كان ارفنج قد عول على ذلك اللقاء فعليه ان ياخذ به من كل جوانبه ولا يعتمد ما استطاع الراهب ان يملي على الرسول (ﷺ) من تعليمات دينية ،بل من الاجدر ان يكون موقفه تجاه الاسلام مختلفا تماما وذلك لان الراهب قد بشر بان هذا الصبي هو الرسول المرتقب الذي ذكره العهدان القديم والحديث .وقد اعطى ارفنج موضوع التجارة وممارسة الرسول (ﷺ) لها وسفراته قدرا كبيرا من الاهمية فهو يعتقد بان لهذه المرحلة التاسيسية اهمية كبيرة في صياغة وتطوير الملامح الشخصية والنفسية للرسول ،حتى يرى في زواجه من خديجة بابا واسعا يفضي به الى السبب الذي منح محمدا الثراء والاستقرار حيث وفر له من الوقت الذي امضاه في التامل والبحث الديني الذي كان مغرما به منذ حداثته [٣].

وليس هذا فحسب بل من خلال خديجة اذ توثقت صلته باحد اقربائها الذي كان له اكبر الاثر في افكار محمد الدينية ،ذلك هو (ورقة ابن نوفل) ابن عم خديجة،ويؤكد ارفنج بان لورقة الفضل في ترجمة بعض اجزاء الكتب السماوية الى اللغة العربية ويذكر (From Him Mahomet is supposed to have derived much of his information respecting those writings ,and many of the traditions of the Mishnu and the Tlamud,on which he draws so copiously in his koran) يفترض ان محمدا تعلم منه الكثير من المعلومات المختلفة ومراعاة تلك الكتابات ،وعدد من تقاليد مشنو والتلمود التي استخلصها بشكل كبير في قرآنه)[١] ،وبعد هذه السلسلة من الافتراضات يصل ارفنج الى الحقيقة التي سلم بها قبل البدأ بكتابته لكتابه حيث ذكر (انه ظهر لمحمد ان الوقت للاصلاح قد حان مرة اخرى ،وان العالم انحدر مرة اخرى الى الوثنية العمياء ،واحتاج لظهور نبي آخر)[٢]. يخلص ارفنج الى ان هذه الافكار قادته الى ان يتخذ قرار العزلة والابتعاد عنه يخلو بنفسه في جبل حراء ،وكان لايشغله الا موضوع واحد وهو الروح ،فقلة اطلاع ارفنج كانت تقوده الى هذه

---

[٣] Irving,L.M. Op.Cit,P.34.

[١] Irving,L.M. Op.Cit,P.34.

[٢] Ibid,P.35.

الافتراضات والاستنتاجات التي كثيرا من الاحيان يظهر عدم قناعته بها لقوله (يذكر بعض اعداء محمد) وهذا يؤيد تشتت افكاره تجاه شخص الرسول (ﷺ).

الفصل الثالث
آراء ارفنج وتفسيراته لعناصر اساسية في السيرة النبوية الشريفة

الفصل الثالث

آراء ارفنج وتفسيراته لعناصر اساسية في السيرة النبوية الشريفة

المبحث الاول

ارفنج والنبوة والوحي:

لقد افرد ارفنج لموضوع النبوة والوحي فصلا كاملا بالاضافة الى اشارات وتعليقات كثيرة في فصول اخرى من كتابه (حياة محمد)(Life of Mahomet)[*] كان الهدف من وراء ذلك بناء رأي وتحليل يؤكد من خلاله ان النبوة والوحي ماهي الا قمة تطور الفكر الديني للرسول (ﷺ) .ولم تكن تلك المرحلة على ما يعتقده الا نتاج لعنصرين اساسيين ،الاول ما يمتلكه الرسول من مواهب وقدرات شخصية يضاف اليها معطيات ظروف الجزيرة العربية ،وخاصة قدسية مكة المكرمة لدى العرب ومكانتها التجارية والدينية .ويشدد على تاثير الديانتين النصرانية واليهودية في افكار الرسول (ﷺ) ،عن طريق اللقاءات مع بحيرى الراهب ،وما قدمه ورقة ابن نوفل من معلومات ،اضافة الى المبشرين الذين يتوافدون الى مكة المكرمة في موسم الحج.[1] وحسب اعتقاده ان هذه ادت بالنتيجة الى خلق شعور لدى الرسول (ﷺ) بضرورة القيام بحركة اصلاحية ،لذا بدا الرسول على مايعتقده ارفنج منشغلا

---

[*] ان استخدام هذا التعبير لاسم الرسول(صلى الله عليه وسلم)بصيغة (Mahomet) لم تات اعتباطا بل انه يحمل معنى يوافق الخط الذي سار عليه الكتاب اللاهوتيين وكذلك تعبير (Mahound, Mamutius , Maomatto , Mahound) وتعني في اللغة اللاتينية ،اله الظلام او الشيطان .ويعد دانكونا D'Anconeمن اوائل المنادين بهذه الاراء المتطرفة المعادية في كتابته القديمة باللغةالايطالية الموسومة (La Leggenda di Maomatto im occidenta)(اسطورة محمد في الشرق) ،وتركزت في كتابات جيوبرت Guibert و هيلدبرت Hildebert وهما من رجال الدين في القرن الحادي عشر، وظهرت هذه التعبيرات في كتابات بطرس الناسك في القرن الثاني عشر للميلاد.؛ينظر ناجي ،تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي ،الموسوعة الصغيرة، (بغداد،١٩٨١م)ص ٧٨.

[1] Irving, L.M,Op,Cit,P.P5-10.

بموضوع واحد الا وهو: الروح، وقاده ذلك التفكير الى الخلوة والانقطاع عن العالم ومن ثم الى احلام اليقظة .

تعد مواضيع الوحي والقرآن الكريم ونبوة محمد (ﷺ) من المواضيع الاساسية والحيوية في تاريخ العقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامي ،فهي الاسس المتينة التي ترتبط بالايمان والمباديء الروحانية ،وهي من الطرف الاخر قد وجهت اقلام المستشرقين المعادين للاسلام منهم والمؤيدين على حد سواء للاهتمام بالعقيدة الاسلامية والتاريخ الاسلامي[١] .

فالعمل على التشكيك والتساؤل السفسطي عن هذه العناصر العقيدية الاساسية هو دون شك عمل هادف نحو الطعن بالاسلام ومبادئه واسسه[٢] .ولذلك صارت هذه العناصر الثلاثة الاساسية وامور اخرى في الاسلام اساسا قويا لدفع المستشرقين على دراستها والكتابة عنها واعطاء التفسيرات المتحزبة ،ونشر المطاعن والتشكيك ،واتباع مناهج بحث متعصبة تفتقر الى الامانة في البحث والتدقيق في المعلومات واعتماد المصادر العربية الاسلامية دون الاكتفاء بمصادر غير اساسية ،واصطياد الشاذ من الروايات[٣] .

كل ذلك بدأ مع اول توجه للمستشرقين وهم يبحثون عن القرآن الكريم والحديث الشريف .وقد ساد هذا المنهج غير المنصف جميع كتابات ودراسات العصر الكنسي والعصور الاوربية المظلمة معتمدين في مواقفهم وتفسيراتهم على القصص والاساطير دون المصادر الاصلية عن الاسلام ،فجاءت كتاباتهم مملوءة بالاحقاد والكره والضغينة ومفتقرة للمادة التاريخية النافعة[٤].

ولكي نصل الى الحقيقة في ضوء اسس البحث التاريخي التي تبدأ بالمادة الاولية وتنتهي بالمقارنة والموازنة والتحليل والتركيب معتمدين الموضوعية قبل ان نصدر

---

(١) ناجي ،د. عبد الجبار ،الاستشراق والسيرة النبوية ،مجلة دراسات اسلامية ،العدد١ ،(بغداد، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

(٢) ينظر ،خليل ،د.عماد ،المستشرقون والسيرة النبوية ،مجلة ،مناهج المستشرقين ،مج ١ ،(بغداد ،٢٠٠٠م)،ص١١٣-٢٠١.

(٣) ناجي ،د. عبد الجبار ،الموسوعة الصغيرة ،المصدر السابق ،ص٨٦.

(٤) م.ن.ص ٨٢-٨٥؛ علي ، د.جواد ، تاريخ العرب في الاسلام ،(بيروت ، ١٩٨٤م) ، ص ١٠-١٢.

حكما مسبقا يتجاوز كل الاسقاطات التي من شأنها عرقلة الفهم .يتوجب ان نحدد النقاط الاساسية التي شدد عليها ارفنج في بناء رؤيته للنبوة والوحي .

اولا: اثر الديانة النصرانية في الفكر الديني للرسول (ﷺ).

ثانيا:اعتبار الوحي نتيجة تراكمية من التفكيربالروح والاحلام والغيب .

لاشك ان السيرة النبوية وبالاخص النبوة والوحي ليس بمقدورنا ان نعدها جزءا من الوقائع التاريخية المادية المنسلخة عن الغيب .ونتعامل معها كما لو كانت حقلا ماديا للتجارب والاستنتاجات واثبات القدرة على الجدل ،لان الدين والغيب والروح عصب السيرة وسداها ولحمتها[١].لذا سوف نقف عند منهجية ارفنج في معالجته لهذا الموضوع ومدى دقة النتائج التي توصل اليها .

ان تسليم ارفنج بتصوراته المسبقة عن العقيدة الاسلامية بوصفه للرسول (ﷺ) مؤسسا للعقيدة الاسلامية[٢] قد حددت منهجيته في التعامل مع وقائع السيرة النبوية، واظهرت لديه آراء تقليدية بعيدة عن الموضوعية وتميزت بالافتراض والشك والتناقض في الكثير من المواقف .ونشير هنا الى نظريته التي اكد فيها ان فكر الرسول (ﷺ) قد اعتمد وبشكل اساسي على ثلاثة مؤثرات ونحاول من خلالها التعرف على الاخطاء والثغرات المنهجية التي وقع فيها[٣] .

اتخذ ارفنج من لقاء الرسول (ﷺ) في رحلته الاولى الى الشام بالراهب بحيرى نقطة الانطلاق الى موضوع النبوة .واعطى ارفنج هذا اللقاء اهمية خاصة حيث عده النواة الاولى لفكر الرسول التوحيدي ،حيث ذكر: ((تأكد محمد من خلال ذلك اللقاء ان الله هو الواحد الاحد))[٤] ((Taking With Him Primitive Worship of the One true God)) .ان هذا التحليل لارصيد له من الواقع التاريخي لذا حاول ارفنج التشكيك في المصادر العربية ،وترجيح آراء المصادر الاوربية بقوله: ((يزعم الكتاب المسلمون

---

[١] خليل ،د. عماد الدين ،المصدر السابق،ص١١٦.

[٢] Irving, L.M,Op,Cit,P1.

[٣] ينظر،علي ، د. جواد ، تاريخ العرب في الاسلام ، المصدر السابق ، ص ٩.

[٤] Irving, L.M,Op,Cit.,P.28.

– Moslem Writers Pretend–ان اهتمام الراهب بهذا الشاب الغريب انه لاحظ بين كتفيه خاتم النبوة ،ولذا طلب من عمه ان يحافظ على ابن اخيه عند عودته الى مكة المكرمة حتى لايقع في ايدي اليهود ويروا خاتم النبوة فيوقعون به الاذى))[١].وعند ذكره للمصادر الاوربية يقول: ((ينسب الكثير – Many Have ascribed that knowledge–ان معلومات محمد عن الدين المسيحي الى محادثاته مع ذلك الراهب ،وقد لعبت هذه المعلومات دورا كبيرا في حياة محمد فيما بعد))[٢].

ويبدو ان ارفنج التفت الى ان هذا اللقاء القصير فوجد انه لايتناسب والمعلومات التي افاد منها الرسول (ﷺ) وما جاء في القران الكريم ،لذا افترض ارفنج ان تكون هناك لقاءات اخرى حصلت بين الرسول والراهب بقوله: ((من المحتمل قد عزز محمد لقاءاته من خلال زيارات اخرى كان يأتي بها الى سوريا))[٣].لايقف ارفنج عند شكه بالمصادر العربية وافتراضاته بل وضع تحليلا مخالفا للوقائع ليقرر وجهة نظره فذكر ((يبدو ان الراهب الحريص على التبشير بدينه قد توسم الخير في هذا الشاب الذكي ،ابن اخ سادن الكعبة، ورأى انه خير من يحمل بذور المسيحية الى مكة ومن الطبيعي ان يحرص هذا الراهب على ان يمنع ذلك الشاب ،الذي قد ينجح في تحويله الى المسيحية من اعتناق اليهودية))[٤].

على الرغم من ان هذه الحادثة قد وردت في المصادر الاولية العربية الا انها لاتثبت امام النقد العلمي[٥]،ومع هذا حاول ارفنج ان يحملها اكثر من مدلولاتها ويقدمها كدليل على انها المصدر الرئيسي لتعاليم الدين الاسلامي .وقدم لها المقدمات ليزيد من قوتها ومصداقيتها ويزيل نقاط الضعف من ثاثير الرواية حتى ولو تناقض مع بعض اراءه .فلما كان عمر الرسول (ﷺ) في تلك الرحلة تسع سنوات

---

(١) Irving, L.M,Op,Cit, P.27.

(٢) Ibid .

(٣) Ibid.

(٤) Ibid.

(٥) ينظر،د.محسن محمد حسين و د. عبد الرحمن حسين العزاوي ، منهج البحث التاريخي ،(بغداد ، ١٩٩٢) ، ص ١٩٦-١٩٨.

في بعض الروايات و اثنتا عشرة في روايات اخرى[١].لم يجد في الروايتين من المؤهلات العمرية لتقبل معلومات كبيرة وواسعة من هذا النوع فقال: ((اصبح محمد الان في الثانية عشرة من عمره ولكنه كان على جانب كبير من الذكاء بالنسبة لعمره))[٢] واضاف: ((كان طفلا ناضج التفكير قوي الملاحظة يتامل ويفكر في كل ما يراه وله خيال خصب ،جسور ،واسع الافق، وقد تفتحت افاق المعرفة لديه))[٣].

نجد فيما سبق ان ارفنج ينتقي ما يخدم رايه في جانب ويرفضه او يشكك فيه في جانب اخر وهذا واضحا في موقفه من المؤرخين المسلمين الذين شكك في وصفهم للرسول (ﷺ) بقوله: ((يجد المؤرخون المسلمون سرورا في ذكر ما كان لمحمد في طفولته من معجزات وايات رغم ان معلوماته هي المعلومات العادية التي لدى اطفال العرب الاخرين ،فقد كان لايعرف القراءة والكتابة))[٤].هذان النصان التي ذكرناها وهناك المزيد منها تبين منهجية ارفنج التي شكل الشك والافتراض والتحليل وتحميل الرواية اكثر من حجمها يعود بالنتيجة الى سبب واحد هو تسليمه ابتداءا باراء مصادره التي اعتمدها ، وحاول ان لايضيع أي فرصة لاثبات تلك الاراء حتى ولو كانت بعيدة عن المضوعية والمنهج العلمي.وفي ضؤ ذلك لابد من الوقوف عند بعض نقاط هذه الرواية من المصادر العربية ونقارنها مع تحليلات ارفنج .

ذكرت رواية ابن هشام ان ابا طالب خرج في ركب تاجرا الى الشام فلما تهيء للرحيل واجمع المسير صبّ به رسول الله (ﷺ) ،فرقّ له وقال : والله لاخرجن به معي ...فلما نزل الركب بصرى ...وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له ،وكان

---

[١] ينظر،الطبري،محمد بن جرير ، تاريخ الطبري ، تحقيق محمد حميد الله ، (دار الفكر،بيروت،١٤٠٥هـ) ،ص١١٢؛ السهيلي ،عبد الرحمن بن عبدالله ،الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ،تحقيق مجدي منصور الشورى ،(بيروت،١٤١٨هـ-١٩٩٧م)،ج،ص.

ص ١٩٢.

[٢] Irving,L M,Op,Cit,P.24.

[٣] Ibid,P.23.

[٤] Ibid.

اليه علم اهل النصرانية ...وكانوا كثيرا مايمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم ...فلما نزلوا قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا،وذلك فيما يزعمون عن شيء رءاه وهو في صومعته ...ثم ارسل اليهم فقال:اني صنعت لكم طعاما يامعشر قريش فانا احب ان تحضروا كلكم، صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم ...واجتمعوا اليه . وتخلف رسول الله (ﷺ) لحداثة سنه في رحال القوم تحت الشجرة ،فلما نظر بحيرى في القوم لم ير احدا لديه الصفة التي يعرفها عنده، فقال :يامعشر قريش لايتخلفن احد منكم ...قالوا يابحيرى ما تخلف عنك احد ينبغي له ان ياتيك الاغلام ،وهو احدث القوم سنا، فقال:ادعه فليحضر هذا الطعام معكم ...فلما رأه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى اجزاء في جسده ...قال بحيرى: ياغلام اسألك بحق اللات والعزى الا مااخبرتني عما اسألك عليه...قال رسول الله (ﷺ) :لاتسالني باللات والعزى فاوالله ماابغضت شيأ قط بغضهما ...ثم نظر بحيرى الى ظهر النبي فرأى خاتم النبوة بين كتفيه...قال بحيرى: لابي طالب ارجع بابن اخيك الى بلدك واحذر عليه اليهود فاوالله لان رأوه وعرفوا منه ماعرفت ليضنّه شرا ،فأنه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم ... [1] .

نفهم من الرواية ان غرضها الاساس هو: ان الله سبحانه وتعالى قد اصطفى الرسول (ﷺ) من بين خلقه وكانت فيه من الصفات التي تدلل على ذلك لايعرفها الا من له علم بالاديان الاولى .

ان الرسول (ﷺ) كان في سن صغير لايشارك رجال القبيلة في شيء حتى الوليمة لم يحضرها لصغر سنه .

كان اليهود لايؤمن غدرهم وخشي الراهب منهم على هذا الشاب فحذر ابو طالب من ذلك .

ان الرسول (ﷺ) منذ صغره كان موحدا ولايؤمن بما يؤمن به قومه .

---

[1] ابن هشام ،عبد الملك بن هشام ،السيرة النبوية،تحقيق ، طه عبد الرؤوف سعد ،(دار الجيل،بيروت،١٤١١) ج٢ ، ص٧٣ ؛ ابن سعد ، محمد بن سعد بن منبع ، الطبقات، ج١،تحقيق ، زياد محمد منصور ،(مكتبة العلوم ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨)، ص ص١٩٣-١٩٤.

ان مدة اللقاء قصيرة جدا لاتتجاوز مدة الغداء ولا تسمح باخذ تلك المعلومات التي افترضها المستشرقون .

ان اهل الكتاب كان لهم علم بان نبيا سيظهر بين العرب في تلك الحقبة الزمنية .

هذا ما حملته هذه الرواية ،الا ان ارفنج كان له نظرا مختلفا في مدلولات ومعاني ماحدث في هذا اللقاء من اجل ان يتوافق مع ماسلم به مسبقا، لذا كانت اقواله تؤكد ان الرسول اخذ التوحيد وعرف انه لااله الا الله وحده لاشريك له من هذا اللقاء، والا كان على دين قومه قبل ذلك .

ان المعلومات التي وردت في القرآن الكريم عن الرسالات الاخرى هي ذكريات ذلك اللقاء الذي قال عنه ارفنج: ((تحدث بحيرى مع محمد في عدة مواضع بقية راسبة في ذهنه))[١].خشي الراهب من اعتناق هذا الشاب لليهودية ،لذلك حرص على ذلك الشاب الذكي الذي توسم فيه الخير ان يجعله مبشرا بالديانة المسيحية في بلاد العرب .ويستدل ارفنج على عمق ذلك التاثير الذي انعكس على حب محمد لبلاد الشام بعد ذلك اللقاء بذكره ((بدأ محمد ينظر الى بلاد الشام نظرة احترام وتقدير بعد ذلك اللقاء))[٢].

كان ارفنج صادقا في روايته عن حب الرسول (ﷺ) لبلاد الشام ولكن لايمت لهذا السبب بصلة ،الا انه حاول اقتناص كل مايؤيد رأيه[٣] .واما النقطة التي اخذها ارفنج تأييدا لرأيه في مدى تأثير الديانة النصرانية على العقيدة الاسلامية هي تعلم الرسول (ﷺ) من ورقة بن نوفل .فيرى ارفنج ان زواج الرسول (ﷺ) من خديجة رضي الله عنها قد ترك اثره الواضح على مسار الفكر الديني لدى الرسول في اتجاهين فقال: ((ولاشك ان ثراء زوجته وفر له من الوقت الذي امضاه في التأمل والبحث الديني الذي كان مغرما به منذ حداثته ...وادى الى توثيق صلاته باحد اقربائها الذي له اكبر الاثر في افكار محمد الدينية))[١] حاول ارفنج ان يصيغ

---

(١) Irving, L.M,Op,Cit,P.24.

(٢) Ibid,P.25.

(٣) Obaidat , Marwan ,OP,Cit,p.45.

(١) Obaidat , Marwan ,OP,Cit,p.24.

الوقائع التاريخية باسلوبه القصصي والخيالي واعطاها بعدا اخرلايتناسب مع حقيقة الحدث نفسه ولم يذكر ماهو ذلك الاثر الكبير .وماهي المعلومات التي قدمها ورقة للرسول (ﷺ) لذا اكد على صفات ورقة بن نوفل وقدراته العلمية ليبين ان هذه الامكانات لابد وان تركت اثرا في فكر الرسول (ﷺ) فيقول ارفنج: ((كان رجلا ذا افق واسع ،وكان في الاصل يهوديا ثم اعتنق المسيحية ،وكان يجيد علم الفلك والتنجيم .ويرجع له الفضل في ترجمة بعض اجزاء الكتب السماوية الى اللغة العربية ،ولاشك ان محمدا قد اطلع عليها واستفاد مما جاء فيها))[٢].

ان الاستنتاج الذي توصل اليه ارفنج ليس اكثر من قصة خيالية وصفية بعيدة عن الموضوعية وعن الحقائق العلمية وتوظيفه للحوادث التاريخية بطريقة الافتراض والابتعاد عن المصادر الاصيلة، اذ اخرجتها عن مسارها الحقيقي.فلو كان الرسول (ﷺ) قد تعلم من ورقة لكان على ارفنج او غيره من المستشرقين توضيح ذلك ليكون دليلا يعطي لارائهم المنطقية وقوة الحجة والبرهان .هذا بالاضافة الى ان المصادر العربية الاولية سواء ابن اسحاق ام ابن هشام ام ابن سعد ام كتب الصحاح ذكروا مالايتصل بالتعلم او أي شيء قد اخذه الرسول (ﷺ) من ورقة غير وقائع اول نزول الوحي على الرسول (ﷺ) [٣] وهذا لايقصده ارفنج لان ذلك حدثٌ متأخرٌ ،بينما كلامه عن تطور الفكر الديني للرسول (ﷺ) قبل النبوة والوحي .ولم يتوقف ارفنج عند هذا الحد بل رأى ان تلك المعلومات التي لم يطلع عليها هو نفسه ولم يعرف ماهي تلك العلوم التي اخذها الرسول عن ورقة الا انه لابد ان يجد ما يدعم رأيه فيقول ((رسبت هذه المعلومات في ذاكرة محمد ،وادت به الى الابتعاد عن الوثنية المنتشرة حينئذ في بلاد العرب))[١].والمصادر العربية، وقد اشار القرآن الكريم الى تهمة المشركين للرسول (ﷺ) بانه كان يتعلم من بعض الاشخاص الموجودين

---

(٢) Ibid.

(٣) ينظر ،ابن اسحاق ،المصدر السابق ،ج٢، ص ١٠٢، ؛ ابن هشام ،المصدر السابق ،ج٢، ص ٧٣ ؛ ابن سعد ،المصدر السابق، ج١ ، ص ١٩٥.

(١) Irving, L.M,Op,Cit,P.35.

في مكة حيث جاء فيه ﴿لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي فصيح ﴾ [٢]. وذكر المفسرون ان لهذه الاية عدة اسماء حتى وصلت الى سبعة اشخاص دون الاشارة الى ورقة من هذا نستنتج ان ارفنج اخذ كل مايمكن ان يدعم رأيه دون الالتفات الى مصادر الحدث نفسه [٣].

اما المصدر الثالث الذي عزز افكار الرسول (ﷺ) الدينية حسب مااعتقده ارفنج ان الرسول كان في بداية حياته يرتاد بعض الاسواق التي تعقد في الجزيرة العربية وتقوم فيها المناظرات بين القبائل حول القاء الشعر وفي هذه الاسواق كما ذكر: ((يقوم المبشرون بالتبشير بالاديان المختلفة ،ولاشك ان محمدا قد استفاد فيما بعد من اقول المبشرين))[٤].يتضح ان ارفنج اعتمد على الظن والافتراض والتحليل في سرد اراءه التي حكم بها مسبقا ،فحاول أخذ الوقائع التاريخية ونسج منها خيالا يتلائم والاستنتاجات التي يبغي الوصول اليها .

ان مصادر التاثير التي تشبث بها ارفنج قد كان للمصدرين الاولين منها ذكر في الروايات العربية وان كانت لاتقترب مع ماراد ارفنج ان يعززه بتفسيرات وافتراضات من اجل ان يقربها الى غرضه . لاشك ان المصادر العربية ذكرت اسواق مكة المكرمة واسهبت في ذكر مايدور فيها الا انها لم تتطرق الى ان الرسول(ﷺ) كان يلتقي بالمبشرين او حتى الحديث عنهم[١].

غير قوله ان الرسول(ﷺ)استفاد من افكار واقوال المبشرين الذين يتوافدون على اسواق الجزيرة العربية فلم يكن لها اصلا في المصادر العربية لذا فانها تقلل من اهمية ارائه وتعكس مدى تاثير المصادر الاجنبية عليه ذات الاتجاه الواحد ،كذلك ادت قلة اطلاعه على المصادر العربية الاولية الى التناقض مع افكاره لقوله: ((عند

---

[٢] سورة،النحل ،من الآية ، ١٠٣.

[٣] ينظر ،تفسير ابن كثير،المصدر السابق ،ج٢،ص٥٨٧؛ القرطبي ،المصدر السابق،ج٢ ،ص ٤٧٦ ؛تفسير جامع البيان في تاويل القران،المصدر السابق ،ج٧ ، ص ٣٠٥.

[٤] Irving, L.M,Op,Cit,P.29-30.

[١] ينظر ،الفاكهي ،محمد بن اسحق ،اخبار مكة،ط٢، تحقيق ،د.عبدالملك عبدالوهاب ، (دار خضر ، بيروت ، ١٤١٤) ، ص٢٦٧.

قدوم محمد الى المدينة،اعتنق بعض الاهالي من المسيحيين الاسلام بصدق ،ومن المحتمل انهم كانوا من الطائفة التي تؤمن بالطبيعة البشرية للمسيح))[٢].فلو كان الاسلام متبعا لخطى النصرانية وان دعاتها يجوبون اسواق الجزيرة لحصل العكس مما افترضه ارفنج، فكيف يؤمنون بالشريعة الاسلامية وهم على علم ودراية بان الرسول (ﷺ) قد اخذ من النصرانية واليهودية ليؤسس عقيدة جديدة تختلف عن العبادة التي هم عليها .

الوحي:

لقد قدم ارفنج عرضا متسلسلا لسيرة الرسول (ﷺ) فوقف عند النقاط التي وقف عليها غيره من المستشرقين وخصص لموضوع ا لوحي دراسة بيّن من خلالها ان الوحي نتيجة تراكمية من التفكير والروح والاحلام والانشغال الصادق لضرورة اصلاح المجتمع من الانحرافات التي عمت جميع مفاصل الحياة وخاصة الروحية منها[٣] ،حتى دفعت بالرسول(ﷺ) للانقطاع عن الناس في غار حراء وقاده ذلك التعمق في الافكار الروحية و الغيبية الى احلام اليقظة[٤] .وان كان هذا الراي فيه شيىء من التطور بالنظرة الى الرسول(ﷺ) وسيرته والانتقال من المنهجية العدائية والالفاظ البذيئة الى التقييم العقلاني والمنصف قياسا بما سبقه من اراء ومفاهيم .فمن الواضح ان ايرفنج كان دائما يحاول التحرر من عوامل ضاغطة من الناحية الزمنية والمكانية والمذهبية والنفسية ، لكنه لم يحقق نجاحا في عرض مشروع دراسته عن السيرة النبوية ،وهذا ليس من المؤاخذات قدر انها تبين محاولة جريئة على رفضه ان يكون ذو فكر متقولب بافكارعصره ،وكذلك تؤكد اقدامه وتحريه التحرر من مسلمات العصور الوسطى بنسبة فاق فيها معاصريه ومن مستشرقين اعتمد على كتاباتهم عن السيرة النبوية.

---

(٢) Irving, L.M,Op,Cit,P.98.

(٣) Ibid, P.92.

(٤) Irving, L.M,Op,Cit,P.92.

ان ارفنج حاول ان ياخذ موضوع السيرة وسطا بين العلمانيين الماديين الذين لم يؤمنوا بالغيب ،وبين الكنسيين الذين لايؤمنون بصدق الرسالة التي اعقبت اليهودية والنصرانية ،او مايحمله الطرفين من ضغينة .

فنراه يقول ((ان قائدا من هذا النمط لايمكن ان يكون رجلا بدون مباديء كما صور لنا))[١]. وعلى الرغم من هذا التوجه المنصف عند النظر الى الرسول انسانا الا انه لايستمر معه في تفسيره للجوانب الغيبية وخاصة الوحي .

وهوفي هذا الفصل اكد ان الصورة المشوهة عن الرسول (ﷺ) سواء كانت برؤية العلماني المادي او اللاهوتي الكنسي ماهي الا محاولة لتجريد الرسول (ﷺ) من المباديء الانسانية السامية بلا وجهة حق. ويذكر ((كان الرسول في كل تصرفاته ناكرا ذاته ،رحيما ،بعيدا عن التفكير في الثراء او المصالح المادية ،فقد ضحى بالماديات في سبيل الروحانيات))[٢] .

في هذا النص يبدو ارفنج بعيدا عن النظرة المادية و يؤكد ان سيرة الرسول (ﷺ) قد بنيت على اسس روحية متينة كانت قطب الرحى لكل سلوكه وتصرفاته خلافا لما سطره بريدو وسيل وغيرهما ممن افاد ارفنج من مؤلفاتهم . ويقول ((كانت الصلاة احدى اركان الاسلام وهي تؤدي الى صفاء الروح ،وكانت ثقة محمد هي التي تجعله يصمد امام المحن والخطوب ،فكان يتوجه بكل اماله الى الله طالبا منه رحمته))[١].

ان عودة ارفنج تفيسر اسباب انتصارات الرسول (ﷺ) على وفق البعد الروحي العميق دليلا على انه قد تمرد على افكار عصره وتوجهاته ومعارضا للكثير من التقولات المدعية بدنيويته (ﷺ) .اذ يقول: ((رغم انتصارات الرسول العسكرية ،الا ان هذه الانتصارات لم تؤد الى أي مظهر من مظاهر الكبرياء والغرور ،فقد كان يحارب من اجل العقيدة الاسلامية،لامن اجل مصالحه الشخصية ...وان كان يهدف

---

(١) Irving, L.M,Op,Cit,P, 24.

(٢) Ibid.

(١) Irving, L.M,Op,Cit,P.37.

الى تكوين دولة عظيمة الا انها كانت دولة الاسلام ،وحكم فيها بالعدل ،ولم يفكر ان يجعل الحكم فيها وراثيا لاسرته))[٢].ويذهب ارفنج الى ابعد من ذلك عند متابعته لماالفّه الاجانب عن الرسول (ﷺ) من روايات اسلامية ونصرانية في مجال اثبات صدق دعوته وتبليغ رسالته فيذكر: ((ان الكثير من الخرافات قد ابتدعها بعض المغرضين ورددها بعض المسلمين وانه ليس هناك دليل على ان محمدا قد اعتمد على مثل هذه الوسائل ليثبت صدق دعوته .بل اعتمد على الحجة والبلاغة والحماسة الدينية في دعوته))[٣] .

ان موقف ارفنج المعارض للتفسيرات والادعاءات السلبية التي تهدف الى النيل من شخصية الرسول (ﷺ) مبنية على جرأته في تحدي المفاهيم الغربية المشوهة والخالية من الاستدلال المنطقي والعلمي ،وكذلك تعكس الاعجاب الصريح بايمان الرسول (ﷺ) .والواقع ان ارفنج قد اقترب من الحقيقة الكلية ،فلو توفرت له فرصة للاطلاع على جميع المؤلفات الاصيلة للمؤرخين المسلمين لعدّل الكثير من وجهات نظره .

وعلى الرغم من ذلك يبقى ارفنج مسحوبا بين قطبين متناقضين ؛ المفاهيم الغربية المزيفة والمغرضة ،وضياء خلاصاته كاتبا ومحللا ،كما بقي متحيرا في زاوية حرجة لم تمكنه او تبعده عن الظفر بالتحرر الكامل من الترسبات المتصلبة التي غلفت ثقافته ونشأته ،في ظل غياب الوثائق والسجلات المحققة تحقيقا منصفا، ذلك ان مصادره ذات المنبع المشترك لم تسعفه في الرقى الى ماهو واقعي وموضوعي ،اذ ظل متأثرا بكتابات (بريدو)وخاصة كتابه (الطبيعة الحقيقية للدجل والمجسدة كليا في حياة محمد) والذي اعتمد فيه على كتابات المجادلين والمناظرين المعادين للاسلام [١]. و الى (جورج سيل) في ترجمته للقرآنالكريم،الذي طعن في مقدمة

---

[٢] Ibid, P.232

[٣] Ibid.

[١] P.M.Holt,the study of Arabic Historians in the 17th Century england:the background and the work of Edward pococke'' in BSOAS/1957;Idem '' the treat ment of arab history by prideaux,Ockley and Sale"in his torians of the middle East (1964),P, P.294 ,299,300.

ترجمته بالاسلام ونبيه وذهب الى ماذهب اليه اسلافه من ان القرآن الكريم من اختراع محمد وهذا لايقبل الجدل [٢].

وحتى (اوكلي)فقد اكد بان الاوربين مدينون للعرب في المعرفة والعلم الا انه قال ان الاسلام كان هرطقة مستنكرة ،ووصف الرسول (ﷺ) محتالا عظيما [٣].

وبالاضافة الى تلك المصادر فان الرواسب الفكرية هي الاخرى لم يتفلت ارفنج من هيمنتها ،ويبدو ذلك واضحا في مناقشته لـ (الوحي) اذ نجده يقول ((ومما يلفت النظر ان الرسول قضى الفترة الاولى من حياته قبل نزول الوحي في عبادة روحية ، في وحدة وصيام وصلاة وتعبد))[٤] ويذكر ايضا: ((كان كثيرا ماينعزل عن المجتمع وينفرد بنفسه في جبل حراء ...حيث يقضي عدة ايام في الصلاة والتعبد ...وكان لايشغل ذهنه الا بموضوع واحد وهو الروح))[٥] .

ويواصل ارفنج مقدماته فيذكر ان احد المؤرخين دون ان يذكر اسم احد منهم او اسم مؤلفه فيقول: ((ظل محمد ستة شهور يرى في احلامه مايفكر فيه وهو متيقظ ،فكان غالبا مايفقد رشده ويستلقي على الارض وكانه فاقد للوعي))[٦].

وعند مقارنة الوصفين السابقين مع ماذكرناه في رأيه الاخير يظهر لنا ان الارتباك واضحا في افكاره فلايخفى تاثير كتابات المستشرقين الذين اعتمدهم في معلوماته عن السيرة النبوية ،فان صحت في جانب فقد اخفقت في اخر ،فالمقطع الاخير الذي يذكر فيه ان الرسو ل (ﷺ) كان يفقد رشده ويستلقي على الارض لم يجاريه فيه احد من المؤرخين المسلمين [١].

ويستطرد ارفنج في خياله الادبي والقصصي فيذكر: ((كانت خديجة زوجته المخلصة ترقب محمدا في وحدته وتعبده بعين من القلق وتتساءل عن السبب الذي

---

[٢] Irving ,L.M,Op,Cit,P296.

[٣] Ibid,P298.

[٤] Ibid,P.239.

[٥] Ibid.

[٦] Ibid,P139.

[١] ينظر ، ابن هشام ،المصدر السابق، ص١٩٥؛ابن سعد ،المصدر السابق ،ص١٩٣-١٩٤ .

يدعو الى ذلك ،ولكنها تخفي قلقها وتساؤلها))[٢]. غافلا عن قول ابن سعد وغيره من المؤرخين المسلمين ان حالة التحنث كانت عادة متبعة ومشهورة في قريش [٣].

اذا علام قلق خديجة وتساؤلها عن السبب ! وهي ابنة تلك البيئة التي الف اهلها التعبد والانقطاع في ايام محددة من السنة ،فالمصادر الاسلامية ذكرت المتحنثين امثال ورقة بن نوفل وامية بن ابي الصلت وزيد بن الخطاب وعبيدالله بن جحش وغيرهم بكثير من التبجيل والاحترام وما كان يكنه لهم مجتمعهم من فضل واحترام واعتزاز زيادة عما كان لهم من مكانة اجتماعية كبيرة ،لم تاتهم من حسب او نسب غير انهم امتازوا بالسلوك القويم ورجاحة العقل [٤] .

والذي يثير الانتباه هنا ان ارفنج ذكر بان خديجة (رضي الله عنها) كانت تخفي قلقها وتساؤلها من تحنث الرسول (ﷺ) وكان الامر فيه شيء من الاساءة او الخروج عن المالوف او ما يشين على صاحبه ممارسته .الا انه ذكر في مقطع آخر يدعم ان افكاره بقيت غير مستقرة و تابعة لبعض اراء المستشرقين، بقوله ((نظرت خديجة الى الامر بعين الصدق والاخلاص ورأت في ذلك جنيا لثمار تعبده وزهده))[١]،فهذا لا ينسجم وما ذهب اليه في الراي السابق، بل يعبر عن عدم الاستقرار والتناقض ،كذلك حاول في بعض الاحيان ان يذكر الرأي الذي لا ينسجم وذهنيته المتحررة فيقول ((ينسب بعض خصوم محمد)) وهذا التعبير يضمر في داخله نقدا لاذعا للكتاب الذين اساؤوا بكتاباتهم لشخص الرسول (ﷺ) كما تحمل الحرج والارباك وعدم وضوح الرؤيا .

---

[٢] Irving ,L.M,Op,Cit,P296.

[٣] ابن سعد ،المصدر السابق،ج٢،ص١٩٤.

[٤] ابن اسحاق ،محمد ابن اسحاق ابن يسار ،سيرة ابن اسحاق ،تحقيق محمد حميدالله ،معهد الدراسات والابحاث للتعريب ،ابن هشام ،ج٢،ص٦٨؛ ينظر ، لسان العرب ،ابن منظور ، مادة حنث،تحنث : تعبد واعتزل الاصنام و بلغ الغلام الحنث أي الادراك والبلوغ وقيل اذا بلغ مبلغا جرى عليه القلم بالطاعة والمعصية، ج٢،ص ١٣٨، مختار الصحاح ، ج١، ص٦٦.

[١] Irving,L.M,Op,Cit,P.35.

نرى ان ارفنج قد هيأت له اهواء عصره المبنية على الشك والريبة في كل مايدور من معلومات حول الرسول (ﷺ)[٢] حتى حجبت عنه الحقيقة .ولم يجانب (مكسيم رودونسن) الحقيقة حين قال ((ان الباحث ابن بيئته ،لان قدرات الانسان على التجرد من نزعاته واهوائه وموروثات عقله في اللاشعور مما تشرّبه من معتقدات ومفاهيم ومسلمات منذ طفولته انما هي قدرات محدودة جدا))[٣].

فتبني ارفنج اراء غيره دون قناعة كاملة فالارباك واضح في رؤياه، والتناقض في افكاره، وتحت ضغوط هذه الافكار حاول ارفنج فهم دلائل النبوة بعد ان وضّح تاريخ الفكر الديني لدى الرسول (ﷺ) مدعيا بانه مر بمراحل حتى وصل لهذا الاعتقاد فقال: ((اخبرنا انه – الرسول (ﷺ) – ان تغيبه تدريجيا عن المجتمع في غار حراء ...كان من اجل ان يحاكي الزهاد النصارى في الصحراء))[٤] واضاف: ((اعتقد محمد ان الوقت قد حان لقيام حركة اصلاحية مرة اخرى ... كانت هذه الافكار تتوارد على ذهنه دائما واثرت في اعماله وافعاله ...وكان يمكث الليالي والايام يختلج في الصلاة والتأمل ، وفي هذه الطريقة كان يقضي شهر رمضان ...واصبح يبحث عن الاحلام والنشوة الغيبوية))[١] .

يبدو ان ارفنج من خلال ما اقتبسناه من اقواله ان اسلوبه القصصي الخيالي لا يفارقه مقرونا بالاستدلالات العقلية الخالية من السند التاريخي ، وبذكره ان الرسول (ﷺ) كان يحاكي الزهاد النصارى دلّ على صحة ما ذهبنا اليه ، فمن الثابت ان التحنث من عادات قريش وان الرسول (ﷺ) قد اقتنع بهذه العبادة وعمل بها دون ان يتأثر بالبعيد عن اجواء قومه .

---

[٢] الدعمي، محمد ،في جذور الاستشراق الامريكي ،المصدر السابق ،ص٩٤.

[٣] رودنسون ،مكسيم ،جاذبية الاسلام ،ترجمة الياس مرقص ،(بيروت ،١٩٨٢م)،ص١٠-١١.

[٤] . Irving,L.M,Op,Cit,P.239.

[١] . Irving,L.M,Op,Cit,P.36.

اما اعتقاد الرسول (ﷺ) حسب رأي ارفنج بان الوقت قد حان للقيام بالاصلاحات التي دفعته للتامل والانقطاع في غار حراء ،باحثا عن الاحلام والغيب فاننا نشاطره في رايه هذا ذلك لان الرسول (ﷺ) قد نبذ الكثير من العادات والتقاليد الدينية والاجتماعية وكان يبحث عن الهداية بفطرته السليمة ،الا انه لم تكن الاحلام والتخيلات هي التي قادته الى الرؤيا الصادقة بعد ان حببت الى نفسه الخلوة كما يريد ان يصل اليه ارفنج حينما قال: ((طبقا لاحد مؤرخيه ،فان احلامه المستمرة قد ولدت لديه افكارا تتماشى ومواضيعه)) [٢].

قبل ان نناقش هذه الرؤيا علينا ان نذكر الروايات الاسلامية التي كان ارفنج يقصد الاعتماد عليها .قال ابن اسحق: ((ذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها انها حدثته :ان اول ما بدأ به رسول الله (ﷺ)من النبوة ،حين اراد الله كرامته ورحمة العباد به ،الرؤيا الصادقة ،لايرى رسول الله (ﷺ) رؤيا في نومه الا جاءت كفلق الصبح .قالت :وحبب الله تعالى اليه الخلوة ،فلم يكن شيء احب اليه من ان يخلو وحده))[٣] . وقال ابن اسحق: ((حدثني وهب بن كيسان مولى ال الزبير .قال :سمعت عبدالله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي :حدثنا ياعبيد ،كيف كان بدء ما ابتدأ به رسول الله (ﷺ) من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام .قال :فقال عبيد :وانا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير من عنده من الناس :كان رسول الله (ﷺ) يجاور في حراء في كل سنة شهرا ،وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية))[١].

وفي رواية اخرى عن عائشة رضي الله عنها ان ((اول مابدء به رسول الله (ﷺ) من النبوة حين اراد الله تعالى كرامته ورحمة العباد به ،الرؤيا الصالحة ،لايرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح ،وفي لفظ اخر ،فكان لايرى شيأ في المنام الا كان كفلق الصبح))[٢].

---

[٢] Ibid.

[٣] ابن هشام ،المصدر السابق ،ج١، ص٢٥٠؛ السهيلي ،المصدر السابق، ج١، ص٣٧٥.

[١] ابن هشام،المصدر السابق، ج١ ، ص٢٥١.

[٢] ابن سعد، المصدر السابق،ج٢،ص١٩٤.

وقال القاضي ((انما ابتدأ رسول الله (ﷺ) بالرؤيا لئلا يفاجئه الملك الذي هو جبريل بالنبوة فلا تتحملها القوى البشرية ...فكانت الرؤيا تأنيسا له (ﷺ)))[٣].

لقد فهم ارفنج الرواية كما يبدو بشكل معكوس ووظفها لتناسب الغرض الذي ذهب اليه حيث قال: كانت احلام الرسول (ﷺ) انعكاسا للقضايا التي كان مشغولا في التفكير بحلول لها في اليقظة .الا ان الرأي الذي اكده الكتاب المسلمون هو ان رؤياه(ﷺ) كانت تتحقق على ارض الواقع كفلق الصبح . ويرى ارفنج ان استغراق الرسول (ﷺ) في اصلاح انحرافات المجتمع الاجتماعية والدينية قد هيأ له لان يكون برهانا للمنقذ من الضلال مما دفعه للانقطاع عن المجتمع وبشكل تدريجي من ليالي وايام شهر رمضان منهمكا بموضوع الروح والاحلام التي استمرت ستة شهور متتالية دون انقطاع ،مما انتجت لديه احلام اليقضة (reverie)[٤] .

اذاً حاول ارفنج ان يضع المقدمات التي تفضي بالنتيجة الحتمية الى استنتاج نتائج مسلم بها مسبقا ،وان كان ذلك ليس من امهات افكاره بل ااجترارا مرتبكا لافكار (اوكلي)الجدلية ضد الاسلام ونبيه[٥].

ويبدو ذلك واضحا في النتيجة النهائية التي وصل لها ارفنج ،اذ ان احلام اليقظة تختلف عن احلام النوم التي اكدها مؤرخو السيرة النبوية بقولهم ((لايرى شيأ في المنام الا جاء كفلق الصبح))[١]. فالشهور الست التي سبقت الوحي كان رسول الله (ﷺ) مايراه في نومه من رؤيا صادقة تنبلج منها الحقيقة التي ينشدها والتي ينبذ من خلالها غرور الحياة و زخرفها .

فخيال ارفنج القصصي لطالما دفعه للانسياق معها وانسته ان السيرة موضوع تاريخي حيوي اعتمد على مصادر اولية وفق منهج البحث التاريخي واسسه التي

---

[٣] م.ن.

[٤] Irving,L.M,Op,Cit.P.46.

[٥] Holt,Op.Cit,p.301-302.

[١] ينظر ،ابن اسحق ،المصدر السابق، ج٢،ص١٠٢.

[٢] Irving,L.M,Op,Cit,P.46.

تتعارض مع خيالات الباحث. فعند تطرق ارفنج عن بداية نزول الوحي على الرسول (ﷺ) يذكر ارفنج رواية خالف بها جميع المصادر الاسلامية[٢]، فيقول: ((عندما كان محمد في غار حراء ملتحفا بردائه سمع مناديا يناديه من الاعلى ؛ رفع رأسه فأذا بالضوء الساطع مالئا المكان الذي لم يستطع تحمل روعته مما افقده الوعي ،وبعد ان استرد وعيه نظر الى الملاك وكان بشكل انسان الذي اطل عليه عن بعد لابسا رداءا حريريا منقوش عليه حروف ،قال الملاك :اقرأ! قلت –الرسول (ﷺ) – :انا لااعرف القراءة ،كرر الملاك اقرأ باسم ربك الذي خلق ،خلق الانسان من علق ،اقرأ وربك الاكرم ،الذي علم بالقلم ،علم الانسان مالم يعلم)) .

وقد اجمعت الروايات الاسلامية ان الرسول (ﷺ) كان نائما حين ظهر الوحي فذكر ابن هشام في سيرته: ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :فجاءني جبريل وانا نائم ...فانصرف عني فهببت من نومي ...))[٣].

تؤكد ذلك الروايات الاسلامية الاخرى ((اول مابدء به رسول الله (ﷺ) من الوحي ،الرؤيا الصادقة في النوم))[٤] .

ويذكر السهيلي في ذكر نزول جبريل عليه السلام على رسول الله (ﷺ) ((...فأتاني وانا نائم ...))[١].

والظاهر ان ارفنج يظن انه وجد في هذه الروايات ما يؤيد فكرته دون الالتفات الى روايات المؤرخين المسلمين ،فاحلام اليقظة لاتنسجم مع تلك الروايات وليس هناك مايؤيدها من قريب او بعيد ،مما اضطره الى صياغتها باسلوبه الخيالي الذي طالما يبعده عن الموضوعية وعن المنهج التاريخي فلا ريب ان اجماع مصادره على اراء محددة قد اثارت شكوك ارفنج واورثت التناقض والارباك في كتاباته رغم محاولاته الجريئة لانتزاع الحقيقة من بين ذلك الركام الهائل المملوء بالضغائن

---

[٣] ابن هشام ،المصدر السابق،ج١ ،ص٣٢٠.

[٤] ابن اسحاق ،المصدر السابق ،ج٢،ص١٠٥.

[١] السهيلي ، المصدر السابق،ج٢،ص٢٤٣.

والاحقاد ،لكنه خلص الى نتيجة مشوشة وغير منسجمة مع اصول البحث العلمي ،فبينما يصف الرسول (ﷺ) ((بانه حسن الطباع ،رحيما ،حليما،صبورا ...زاهدا لايميل الى الترف ويميل الى البساطة ...كانت جميع تصرفات الرسول تدل على رحمة عظيمة ...واسع الافق عظيم الذكاء))[٢].ويذكر ايضا ((...دائما متمسكا بعقيدته وايمانه))[٣]((وظل الرسول حتى الساعة الاخيرة من حياته مؤمنا بالله وبانه رسول الله ...))[٤].

الا ان ذلك لم يستمر اذ سرعان مانجد ارفنج يتحزب مع كتابات اوكلي،بريدو ،سيل ،وغيرهم في موضوع النبوة والوحي والقرآن ويعطل قدراته الاستنتاجية التي اعتمدها امام اراء من سبقه مما يدفعه لقبول رواياتهم المنتحلة والضعيفة[٥] . وعلى سبيل المثال لا الحصر اخذ ارفنج باراء (فايل) في مسألة الوحي دون مناقشتها او تفسيرها، على الرغم من انه قد اطلع عليها في وقت متاخر من كتاباته عن سيرة الرسول(ﷺ) [٦].

لم يُبد ارفنج رأيا قاطعا بشأن تفسير (فايل)، لكنه وضع في اخر الفصل كلمة (Note)، ولعل ارفنج قد اطلع على رأي (فايل)بعد ان كتب الفصل فاضطر الى وضعه في النهاية على شكل ملاحظة ،اذ اهتم (فايل) بتعرض الرسول (ﷺ) لحالات الصرع ،وهي المسألة التي يثيرها خصومه من الكتاب النصارى ،ويبدو ان بعض المؤرخين المسلمين القدامى –كما يذكر (فايل)– قد ايدوها ،فذهبوا الى ان محمدا (ﷺ) كان يصاب برعدة عنيفة يتبعه نوع من الاغماء والارتجاف،وخلالها يتصبب العرق من جبينه اثناء الطقس البارد وهو مستلق وعيناه مغلقتان وتخرج من فيه رغوة ويصدر خوار كجمل صغير .عائشة زوجته وزيد مولاه من بين الاشخاص الذين شهدوا على تاييد ذلك التاثير. والذي اعتقدوه وهو في تلك الحالة تحت تاثير

---

(٢) Irving,L.M,Op,Cit,P.270.

(٣) Ibid,P.271.

(٤) Ibid,P.273.

(٥) Holt,Op.Cit,P.302.

(٦) Pierre, Op.Cit,P.73.

الوحي.كانت تتكرر هذه الحالة لديه في مكة قبل نزول القرآن عليه ،وقد استولى على خديجة الخوف من ان تكون ارواح شريرة،وحاولت طلب المساعدة من احد المشعوذين (Conjuror) لتخليصه منها،ولكنه منعها من ذلك. ولم يفعل ذلك كل من رءاه اثناء العارض . تخيلاته او احلامه (vision) على كل حال ليس دائما تسبق بمثل هذه الحالة ، وفي ذات مرة سأله (الحارث بن هشام) عن طريقة الرؤيا(الوحي) ، كيف كانت تأتيه.اجاب : بانه غالبا ما ياتيني الملك بشكل انسان ويكلمني ، واحيانا اسمع اصواتا تشبه صلصلة الجرس ولا ارى شيء (ورنة الجرس هذه هي من اعراض الصرع) عندما يغادر الوحي اعي ما قاله.((بعض إيحاءاته كما اوضح ياخذها مباشرة من الله واخرى بالاحلام)) [١] .ويذيلها ارفنج بالقول ((قد يستفيد القارئ من هذه الملاحظة في القاء بعض الضوء على المنهج الغامض لهذا الرجل الخارق))[٢] ((the reader will find this note of service in thrawing some degree light upon the emigma tical carcer of this extraor -dinary man)).

هناك عدة نقاط يجب الوقوف عندها في هذه الملاحظة من اجل معرفة مدى اقتراب (فايل وارفنج) او ابتعادهما من اصول البحث التاريخي بالاضافة الى مستوى الموضوعية في هذا الطرح . منها ما هو منتحل كما في قوله ((كانت تتكرر الحالة لديه في مكة قبل نزول القرآن عليه))[١] فليس هناك شيئ من هذا في المصادر الاسلامية سواء منها المتقدمة او المتأخرة التي اختصت بسيرة الرسول (ﷺ) لا من قريب ولا من بعيد. والنقطة الثانية التي رواها (فايل) وايده فيها (ارفنج) هي قوله: ((وقد استولى على خديجة الخوف من ان تكون ارواح شريرة وحاولت طلب المساعدة من احد المشعوذين لتخليصه منها ولكنه منعها من ذلك))[٢] . وعند الرجوع الى كتب السيرة نجد ضعف هذه الاقاويل ،فان كانت داخلت الرسول (ﷺ) خشية مما رآه وشاهده حيث قال لخديجة رضي الله عنها (اني اذا خلوت وحدي

---

(١) Irving,L.M,Op,Cit,P.39.

(٢) Ibid.

(١) Irving,L.M,Op,Cit,P.39

(٢) Ibid.

اسمع نداء وقد والله خشيت أن يكون هذا لامر .فقالت :معاذ الله ،ما كان ليفعل بك ذلك ،فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث)[٣] .

يظهر ان الرواية تشير على عكس ماذهب اليه (فايل)حيث كانت خديجة رضي الله عنها تحاول ازالة المخاوف عن الرسول(ﷺ) وتطمئنه .

وفي رواية اخرى لما رجع رسول الله (ﷺ) من غار حراء ورأى الملك في وسط السماء ورجع الى خديجة وقال لها : (لقد خشيت على نفسي) فكانت اجابة خديجة رضي الله عنها (كلا والله لايخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق)[٤].

ان الروايات الاسلامية لم تذكر ما قاله فايل ،انما ذلك افتراءات بعض المستشرقين وجدت لها من يروجها ويسلم بها دون العودة الى المصادر الاصيلة وللتثبت من صحتها،وهذا مما يقلل من شأن ما كتبه فايل او ممن اخذ منه لابتعاده عن الحقيقة التاريخية الموضوعية .

والشيء الغريب انهم ينسبون تلك الاقاويل الى مؤرخي السيرة الاوائل دون ان يحدد اسم او عنوان الكتاب الذي اخذ منه ،وعند مراجعة كتب السير تتضح الحقيقة المخالفة لما اورده فايل وغيره ،فالمصادر الاسلامية لم تترك خبرا يصف حالة الرسول (ﷺ) عند نزول الوحي الا ذكرته ،وعلى الرغم من ان الرواية فيها ما يطابق بعض الروايات الاسلامية الا ان فايل حاول ان يجعل من ذلك مقدمة لما سلم به مسبقا بان الرسول (ﷺ) كان مصابا بمرض الصرع ، حيث ذكر سؤال الحارث بن هشام لرسول الله (ﷺ) عن طريقة الرؤيا كيف كانت تأتيه ،اجاب (ﷺ) :غالبا مايأتيني الملك بشكل انسان ويكلمني ،واحياننا اسمع اصواتا تشبه صلصلة الجرس ولا ارى شيئا ،وعندما يغادر الوحي اعي ما قال .

---

[٣] ابن اسحاق ، المصدر السابق ،ج٢،ص٩٣.

[٤] اليعقوبي ،احمد بن يعقوب ،تاريخ اليعقوبي ،ج١،(دار صادر ،بيروت ١٩٩٧م)، ص٢٧٠.

لانجد في الرواية مايدل على تحريف او وضع ولكن محاولته قسر الرواية لتؤكد ما يريده المستشرق في (صلصلة الجرس) بانها الدلالة القاطعة على ان الرسول (ﷺ) مصاب بداء الصرع.

ان معالجة موضوع الوحي ينبغي ان لا نعزلها نحن المسلمين عن المسألة الروحية العقيدية ،وكذلك لانطالب المستشرق ان يؤمن بالوحي ،ولكن يتوجب عليه ان يلتزم اصول البحث التاريخي التي من شأنها اضفاء الدقة على البحث والنزاهة العلمية .لذا سأحاول ان نناقش اراء فايل من خلال المختصين العلميين بمرض الصرع .

يؤكد الاطباء ان هناك نوعين من الصرع،النوع الاول (Grand mal or major convulsions) (الصرع العظيم)،والنوع الثاني (Petit mal –Absence attack)(الصرع الصغير).فالنوع الاول والذي يقصده فايل له من الاعراض التي لاتنسجم مع ما كان يحصل عند نزول الوحي[١] .

١- مدة الصرع مستمرة لمدة ثواني او دقائق او حتى ساعات .
٢- تسبق حالة الصرع عادة بحالة الخوف ،او احساس برائحة كريهة او هلوسة سمعية مع احساس غريب يشبه الخدر في الذراع والساق .
٣- يظهر هذا النوع من الصرع في كل الاعمار .
٤- تصاحبه حركات موقعية في الوجه والاطراف .
٥- يبدأ الصرع بحالة مفاجئة من البكاء بسبب تقلص عضلات التنفس .
٦- فقدان الوعي .
٧- حالات من الانبساط والتقلص الشديد الذي يصيب الاطراف والجذع .
٨- توقف التنفس مع ازرقاق .
٩- فقدان السيطرة على الادرار والخروج .
١٠- عض اللسان عند مرحلة التقلص .

---

(١)Generalized seizures وهذا المصدر له القيمة العلمية القيمة المعتمدة في تدريس معظم كليات الطب الغربية ،وخاصة للحصول على الدرجات الطبية العليا بعد الشهادة الاولية ،ص٢١١٧ .
Cecil ,text book of med.vol.2, 1982,P.2117.

١١- بعد ذلك تتوقف فعاليات الجهاز الحركي الزائدة عن حدها ويرجع التنفس الى الوضع الطبيعي .

١٢- يشعر المريض بتعب عام مع صداع في بعض الاحيان مع بقايا من الشلل النصفي وتدهور في الاحساس العصبي مع صعوبة في البلع .

١٣- يحصل للمريض بعد الصرع حالة من النسيان لكل ماحدث ،مع نعاس قد يبقى لايام قليلة.

ان نوبة الصرع العظيم التي تبتدأ بالتسلسل (١ وتنتهي بالتسلسل ١٣) سوف نناقشها على ضوء ما ادعاه فايل ،وعلى ما ذكر في كتب السير الاسلامية الاولية.قالت ام المؤمنيين عائشة رضي الله عنها: ((لقد رأيت الرسول (ﷺ) ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ،وان جبينه ليتفصد عرقا [١])). واخرج مسلم عن عبادة بن الصامت ((ان رسول الله (ﷺ) كان اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد –احمر –له وجه))[٢] واخرج ابو نعيم عن زيد بن ثابت قال ((كان اذا نزل الوحي على رسول الله ثقل لذلك وتحدر جبينه عرقا كأنه الجمان وان كان في البرد)) [٣].واخرج الطبراني عن زيد بن ثابت قال ((كنت اكتب الوحي لرسول الله وكان اذا نزل عليه الوحي اخذته برحاء شديدة –الشدة والمشقة–وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ثم سري عنه وكنت اكتب وهو يملي علي فما افرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن))[١]. واخرج ابن سعد عن ابي اروى الدوسي قال : ((رأيت الوحي ينزل على النبي وانه على راحلته فترغو وتفتل يديها حتى اظن ان ذراعيها تنفصم فربما بركت وربما قامت مؤتدة يديها حتى يسري عنه من ثقل الوحي وانه لينحدر منه مثل الجمان))[٢] .واخرج احمد والبيهقي عن عائشة قالت ((ان كان ليوحى الى رسول الله وهو على ناقته فتضرب بجرانها من ثقل مايوحى اليه وان كان

---

[١] ابن هشام ،المصدر السابق ،ج٢،ص٧٥.

[٢] م.ن.

[٣] ابن اسحاق ،المصدر السابق ،ج٢ ،ص١١٢.

[١] الطبري ،المصدر السابق،ج١،ص٥٣٢؛السيوطي، ابي الفضل جلال الدين ، الخصائص الكبرى،ج١(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)،ص١٥٥-١٥٧.

[٢] ابن سعد ،الطبقات،المصدر السابق ،ج٢،ص٢٢٠.

جبينه لينطف بالعرق في اليوم الشاتي اذا اوحي اليه))[٣] .عن زيد بن ثابت قال:((اني قاعد الى جنب النبي يوما اذ اوحي اليه وغشيته السكينة ووقع فخذه على فخذي حين غشيته السكينة ،قال زيد:فلا والله ماوجدت شيئا قط اثقل من فخذ رسول الله ،ثم سري عنه فقال:اكتب يازيد)) [٤].اخرج احمد والترمذي والنسائي والحاكم والبيهقي وابو نعيم بسند جيد عن عمر بن الخطاب قال ((كان رسول الله اذا نزل عليه الوحي نسمع عنده دوي كدوي النحل وفي لفظ نسمع عند وجهه كدوي النحل))[٥].

يبدو مما سبق عدم توافق ماذهب اليه فايل من التحليل والاستنتاج مع الاعراض العلمية والطبية التي اكدها الطب العالمي ،مع ابتعادها عن الروايات الاسلامية الصحيحة ،حيث الصرع يعطل الادراك الانساني ،وينزل بالانسان الى مرتبة يفقد اثنائها الشعور والحس ،اما الوحي فسمو روحي اختص الله جل جلاله به انبيائه ليلقي اليهم بحقائق الكون اليقينية العليا كي يبلغوها للناس .

لم تتحدث الروايات الاسلامية بان الرسول (ﷺ) كان يفقد الوعي اثناء نزول الوحي ،او يصاب بحالة الانقباض ويتبعها البكاء ،ولا فقدان السيطرة على الادرار والخروج ،كذلك لم يكن هناك من ذكر ان الرسول (ﷺ) قد عض لسانه او حصل له مايشابه ذلك اطلاقا ،والشيء الاهم ان من يمر بنوبة الصرع يمر بحالة من النسيان بينما كان الرسول (ﷺ) في جميع اوقاته مسيطرا على حواسه ومداركه فيذكر لاصحابه مايتلقاه وما يتلوه بدقة بعد ذلك على اصحابه ،فاسلوب القرآن معجز لفظا ومعنى ،خلافا لما اراده فايل .كما ان الذي يصاب بنوبة الصرع فانه يفقد الوعي ونجد ان الرسول (ﷺ) كان ينزل عليه الوحي وهو على ناقته كما مر في الروايات السابقة دون ان يسقط عن راحلته .على ضوء ذلك يبدو ان اراء فايل ومن بعده ارفنج تتجافى والحقيقة الروحية والعلمية لذا لايمكن الاعتماد عليها بل يمكن ان نصفها بالجهل علميا وروحيا .

---

[٣] السيوطي،الخصائص الكبرى،المصدر السابق ،ج١،ص١٩٨.

[٤] ابو الفرج،عبد الرحمن بن علي ،صفوة الصفوة ،تحقيق محمود فاخوري،ط٢،(دار المعرفة ،بيروت ،١٩٧٩م)،ص٨٣.

[٥] الخصائص الكبرى،المصدر السابق ،ج١،ص١٩٨.

المبحث الثاني

ارفنج والقرآن الكريم

ناقش ارفنج القرآن الكريم على اساس انه وثيقة تاريخية (Famous Document) تشكلت على ضوء دراستها وجهتي نظر متناقضتين ، مثل كما يرى ارفنج المسلمون المتحمسون ومعظم المثقفين (While Zealous Moslems and Some of the most learned Doctors of the faith)[1] الطرف الاول حيث يؤكدون قدسية القرآن الكريم وانفراده بالاسلوب والصياغة .اما الطرف الثاني فهم الذين وصفهم ارفنج بالنقاد القليلي الاخلاص (Less Devot critics) ((يرون ان القرآن الكريم مشوش فيه من

---

(1) Irving,L.M, Op.Cit, P.232.

المحاسن والعيوب، خالي من الترتيب والمنهجية ،وملىء بالغموض،والتكرار وعدم التناسق ...وملىء بالتناقضات))[٢].يخلص ارفنج من الرأيين الى رجاحة الرأي الثاني على الرغم من محاولته اظهار استقلاليته عن الطرفين بقوله: ((الحقيقة ان القرآن الذي بين ايدينا الان ليس نفس القرآن الذي جاء به محمد ...لان اتباعه حمّلوه الكثير من التشويهات والحشو))[٣] ويبرر رأيه بعدد من الاستنتاجات التي يؤكد من خلالها حتمية صحة ماذهب اليه فيرى ان نزول القرآن الكريم في اوقات مختلفة واماكن متعددة مع اختلاف الاشخاص الموجودين عند نزوله .ولعدم تسجيله بشكل كامل اثناء نزوله ،مع قلة اهتمام الرسول (ﷺ) في حياته بتصنيفه وترتيبه ،كذلك بقاء قسم من القرآن الكريم في ذاكرة الحفاظ مما يصعب الاعتقاد بصحة ما املوه عند جمعه في زمن ابي بكر[٤].ونتيجة لذلك حسب مااعتقده ارفنج ظهر التكرار والتناقض في آيات القرآن الكريم .كما تم ادخال بعض الآراء التي لم يذكرها الرسول (ﷺ) .

قبل ان نبين مدى تهافت تحليلات ارفنج علينا ان نجد الاسباب التي دفعت به الى ذلك النوع من التحليل المتحامل فعلى الرغم من قراءاته واسهاماته عن الاندلس الاسلامية في مؤلفاته غزو غرناطة ،قصر الحمراء كان يميل الى الابتعاد عن المنهج الفلسفي الجدلي ، فكان سرديا ذلك ممايتفق مع منهجه كاديب .كذلك الحق يقال انه لم يكن يهدف الى اثارة نعرات طائفية وانه ميالا لدعوة صليبية كما هو الحال عند غيره من المستشرقين امثال (بكوك واوكلي وبريدو) وغيرهم . و انه في كتابته عن سيرة الرسول (ﷺ) قد ظهرت حالات الارتباك والتناقض وعدم الترابط في افكاره بشكل لافت للنظر ،وربما يرجع الى قلةالمصادر التي اعتمدها وهي في الاعم الاغلب اعمال مستشرقين معاصرين له او قبله دفعته الى عدم الاطمئنان لبعض الاراء البعيدة عن العقل والمنطق ،واظهرت في افكاره حالة الرفض للمفاهيم البيزنطية عن الرسول (ﷺ) بتساؤلاته الكثيرة ،محاولا من خلالها الرد على بعض كتابات المستشرقين التي كانت مورده الاساسي وهي النافذه الوحيدة التي اطل من

---

[٢] Ibid, P.233.

[٣] Ibid, P.232.

[٤] Ibid, P.232,P243.

خلالها على سيرة الرسول (ﷺ).هنا يثير ارفنج الشك امام الكثير من الروايات التي استنتج من خلال مراجعته لها انها مجانبة للحقيقة ،و بلغت به ومضة التحرر الى اعمق من ذلك حيث يتساءل عن الهدف والغاية التي من اجلها قدم الرسول (ﷺ) هذه التضحيات الجسيمة ،فيقول ((هل هو الثروة او الغنى ؟))[١]،ويجيب نفسه قائلا: ((كلا ،لان زواجه من خديجة قبل هذه المدة قد هيء له مايغنيه من طلب الثراء))[٢] ((اذا هل كان يبحث عن المكانةوالشرف))[٣]،ويجيب ارفنج ((انه قبل الان له المكانة السامية بين مواطنيه ووصف بالاستقامة والذكاء بالاضافة الى انه ابن المع قبيلة في قريش واكثرها شرفا))[٤]((فهل كان يبحث عن السلطة ؟)) ((كلا لم تكن كذلك ،لان الوصاية والقيادة تحت اشراف عائلته ومقامه ووضعه العام يمكنه من الاطمئنان لنيل ذلك))[٥]. ويستمر ارفنج في تساؤلاته فيقول ((هل هناك أي شيء مغري في منهجه النبوي يكافئه عن هذه التضحية ؟)) واجاب ((على العكس بدأ بسرية لسنوات لم يصاحبها أي توفيق مادي وقد قوبل بالسخرية والازدراء والطعن ،وضيّع ثروته وثروة اصدقائه ،فلماذا اذا استمر في مسلك الاحتيال كما قيل عنه،وانهك كل نصيبه الدنيوي الذي كان قد بناه مؤخرا ؟))[١].

يتضح لنا جليا ان هذه التساؤلات لاتعكس أية حالة من الشك والضغينة على الرسول (ﷺ) بل ان الشك والضغينة يكمنان في المصادر التي اطلع عليها وما تحويه من كتابات مبطنة ،من الصعب عليه اختراقها ،ويمكن ان نعزو ذلك الى مجموعة اسباب قد اشرنا الى البعض منها المملوءة بالرواسب الفكرية المنحدرة من اعماق التاريخ ذات النزعة المتشددة المتحاملة على الاسلام ونبيه ،بالاضافة الى ثقافة

---

(١) Irving,L.M, Op.Cit, P.234.

(٢) Ibid, P.235

(٣) Ibid, P.234

(٤) Ibid.

(٥) Ibid.

(١) Irving,L.M, Op.Cit, P.235.

عصره وسيادة المفاهيم المتعالية المعادية للآخر [٢] .والامر الاكثر اهمية حكمه المسبق قبل البدء بموضوع بحثه على النتائج التي سلبت الصفة الروحية من الرسول (ﷺ) ،يبدو هذا واضحا عنده بعد ان فند اراء المستشرقين القدامى والمعاصرين ،ثم عاد للقول ((في غياب الحوافز الدنيوية الكافية نضطر للبحث عن مبررات اخرى))[٣].

وعلى الرغم من الانتقالات الجريئة في ارائه الا انه يعود هو الآخر للنتيجة نفسها التي انتقدها فيقول ((نحن لانستطيع الا ان نظن بخداع النفس))[٤] .وبعد تلك التساؤلات العقلية المتحررة من عوامل التعصب والتعنت يعود ارفنج الى النقطة نفسها التي بدأ منها غيره.

والاكثر دهشة انه كلما اقترب من الحقيقة عاد لحالات الارباك والتشويش مرة ثانية ونظنه اكثر شدة ،حيث يحاول اثبات صحة الافكار التي بين بطلانها بنفسه .فيرى ارفنج ((ان انحراف الرسالات السماوية، اليهودية،والمسيحية ،وغيرهاووصفها بالصهاريج المهدمة والسواقي المكسرة والجداول المضطربة ،وانتشار الوثنية العمياء التي رفضها –يقصد الرسول –منذ طفولته ،كل هذه دفعته للعزلة واورثت لديه احلام اليقظة وخداع النفس ،ومن ثم ادعائه تلقي القرآن من الوحي !))[١].

ويبدو ان ارفنج حاول التأكيد على ماذهب اليه غيره من المستشرقين القرآن الكريم من تأليف الرسول (ﷺ) وجعل من الظروف التي مرّ بها العالم وخاصة الجزيرة العربية وما جاورها دفعت بالرسول (ﷺ) للتفكير جديا باصلاح المجتمع على اسس دينية ،لذا فكر في ان ينسب مايقوله الى الوحي ويعده من الله سبحانه وتعالى .فاكد ارفنج على ان القرآن الكريم يحتوي على الكثير من التكرار وعدم التناسق ،بسبب تلاوة السور القرآنية على عدة اشخاص ،وفي اوقات مختلفة دون

---

[٢] P.M.Holt The study,Op,Cit,P.295.

[٣] Ibid, P.235

[٤] Ibid, P.236.

[١] Irving, L.M, Op .Cit,P.236.

تدوين الكثير من اجزاءه والاعتماد على الذاكرة ،كل ذلك اورث الاعادة والتكرار في ايات القرآن [٢] .ويرى ان القرآن الموجود في الوقت الحاضر ليس نفس القرآن المنزل على الرسول (ﷺ) لدخول التحريف الكثير على اياته [٣].

ان استدلالات ارفنج لاثبات ماذهب اليه لاتتجاوز ان تكون صدى يردده دون قناعة توقف شكه وتردده من مصادره ذات الافق الضيق والمنهج العدواني فنراه يقف بعد كل التفسيرات والتحليلات والاستنتاجات ليصف الرسول (ﷺ) بانه ((لغز في شخصيته وقيادته))[٤].

ان هذا الوصف يؤكد مدى الاضطراب الفكري لعقلية ارفنج ويكشف صعوبة وقوفه على عتبة استنباطاته الموهوبة وبين ما سلم به عصره وما روجه الكتاب والمؤلفين حتى اصبح حقيقة لايمكن الخروج عنها [٥].ويكاد يكون ذلك جليا في ضعف الادلة التي ساقها باثبات كون القرآن الكريم الموجود في الوقت الحاضر ليس نفس القرآن المنزل على الرسول (ﷺ) ،حيث يعتمد الافتراضات ويترك الروايات المسندة ،فيقول : ((اوعز ابو بكر في بداية خلافته لجمع القرآن ،ربما قد يكون لسبب سياسي ،من اجل ان يدس فيه عددا من المواضيع التي تساعده في الظروف الطارئة، وتقوي الامبروطورية الاسلامية))[١]. وكذلك يشكك فيما عرف عن زيد بن ثابت الذي انيطت به مهمة جمع القرآن فيذكر ((وقد ادعا زيد انه قد كتب عدة اجزاء عند نزول القرآن عن الرسول (ﷺ)))[٢].

---

[٢] Ibid.

[٣] Ibide, P.234.

[٤] Ibide, P.243.

[٥] Obidate, Op.Cit,P.39.

[١] Irving, L.M, Op.Cit,P.243.

[٢] Ibid.

يكتفي ارفنج بذكر هذه الادلة لاثبات زيف اهم مصدر من مصادر الشريعة الاسلامية ،والذي بنيت عليه اركان اعظم امبروطورية كما وصفها، استطاعت ان تهز وتقلب امبروطوريات الارض [٣].

فضعف الادلة لم يكن ناتجا لخواء جعبة ارفنج من المعلومات الكافية عن التاريخ الاسلامي وبشكل خاص حقبة صدر الاسلام فحسب ،بل لعدم توفر القناعة الكافية بمصادره التي دفعته للشك والتردد والافتراء .فالمصادر الاسلامية قد ذكرت الكثير عن اسلوب نزول القرآن وكيفية تدوينه وتبليغه والاهتمام به .

ان حقيقة جمع القرآن في زمن الرسول (ﷺ) تعد من الحقائق التاريخيةالناصعة ،التي لاتحتاج الى مزيد من البحث والاستقصاء ،فالرسول (ﷺ) حث الصحابة على حفظه حيث قال ((من قرأ القرآن ،حتى يستظهره ويحفظه ،ادخله الله الجنة ،وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار))[٤].وعن عباده بن الصامت قال :كان الرجل اذا هاجر دفعه النبي (ﷺ) الى رجل منا يعلمه القرآن ،وكان لمسجد رسول الله ضجة بتلاوة القرآن ،حتى امرهم رسول الله (ﷺ) ان يخفضوا اصواتهم لئلا يتغالطوا [٥].وقد ازداد عدد حفاظ القرآن بشكل ملحوظ لتوفر الدواعي لحفظه ،ولما فيه من الحث من لدن الرسول (ﷺ) والاجر والثواب الذي يستحقه الحافظ عند الله سبحانه وتعالى ،والمنزلة الكبيرة والمكانة المرموقة التي يتمتع بها بين الناس ،وحسبك مايقال عن كثرتهم على عهد رسول الله (ﷺ) وبعد عهده ،اذ قتل منهم سبعون في غزوة بئر معونة خلال حياته (ﷺ) [١]،وقتل اربعمائة في حروب اليمامة عقيب وفاته ،ولم يقتصر حفظ القرآن الكريم على الرجال فقط ،بل هناك من النساء عدّدن من الحفظة ،منهن ام ورقة بنت عبد الله بن الحارث

---

[٣] Ibid.

(٤) البخاري، محمد بن اسماعيل،صحيح البخاري ،تحقيق مصطفى ديب ،ط٣،(بيروت ،١٤٠٧هـ،١٩٨٧م)،ج٤،ص١٧٢٠.

[٥] القاضي اسماعيل ،اسماعيل بن اسحاق ، احكام القرآن ،(بيروت،١٩٧٤م)،ص٢٦٣.

[١] القاضي اسماعيل،المصدر السابق،ص٢٦٣.

،وكان رسول الله (ﷺ) يزورها ويسميها الشهيدة [٢].واشتد حفظهن للقرآن حتى ان المسلمة قد تجعل مهرها تعليم سورة من القرآن او اكثر [٣].

وكان حول الرسول (ﷺ) الكتاب المختصون في كتابة مايملي الوحي على رسول الله (ﷺ) وقد رتبهم لذلك .روى الحاكم بسند صحيح عن زيد بن ثابت قال: ((كنا عند رسول الله (ﷺ) نؤلف القرآن من الرقاع))[٤]وقد نصت كتب التاريخ والسيرة على اسماء كتاب الوحي حتى وصل عددهم الى اثنين واربعين رجلا ،وكان (ﷺ) كلما نزل شيء من القرآن امر بكتابته لساعته ،روى البراء ((انه عند نزول قوله ﴿لايستوي القاعدون من المؤمنين ﴾ [٥]قال رسول الله (ﷺ) ادع لي زيدا ،وقل يجيء بالكتف والدواة واللوح ،ثم قال اكتب لايستوي ...))[٦].

وقد جمع القرآن الكريم طائفة من الصحابة رضي الله عنهم على زمن رسول الله (ﷺ) منهم (علي بن ابي طالب ،ابي بن كعب ،زيد بن ثابت ،وغيرهم)وكان رسول الله (ﷺ) يشرف بنفسه مباشرة على مايكتب ويراقبه ويصححه بمجرد نزول الوحي ،روي عن زيد بن ثابت قال :كنت اكتب الوحي لرسول الله (ﷺ) وكان اذا نزل عليه الوحي اخذته برحاء شديدة ...فكنت ادخل عليه بقطعة الكتف او كسرة ،فاكتب وهو يملي علي ،فاذا فرغت أُقرِأه ،فاذا كان فيه سقط اقامه ،ثم اخرج الى الناس [١] .وقد روي عن ابن عباس ،قال :ان رسول الله (ﷺ) كان اذا نزل عليه الشيء دعا من يكتب ،فيقول : ((ضعوا هذه الايات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا))[٢].

---

[٢] ابن حجر ،احمد بن علي ،الاصابة في معرفة الصحابة ،تحقيق علي محمد البجاوي ،ط١، (بيروت،١٤١٢هـ،١٩٩٢م) ،ج٨ ، ص٣٢١.

[٣] ابن حنبل ،احمد بن محمد بن حنبل ،مسائل الامام احمد ،تحقيق د.فضل الرحمن دين محمد،ط١،(دلهي ،١٩٨٨م)،ج١،ص٢٣٢.

[٤] البخاري ،المصدر السابق ،ج٤ ،ص١٧٢٠.

[٥] سورة النساء ،اية ٩٥.

[٦] ابن حنبل ،المصدر السابق ،ج١،ص٢٣٢.

[١] الامام مسلم ،مسلم بن الحجاج ابو الحسين ،صحيح مسلم ،(تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،(بيروت ،١٩٨٢م)،ج٣،ص١٥٠٨.

[٢] القرطبي ،محمد بن احمد ،تفسير القرطبي ،(تحقيق احمد عبد العليم البردوني ،ط٢،(القاهرة،١٣٧٢م)،ج١،ص٦٠.

وفي ذلك منتهى الدقة والضبط والكمال ،وفيه الدليل الكافي للرد على ادعاءات وافتراضات ارفنج .وروي في احاديث صحيحة ان جبريل كان يعارض الرسول (ﷺ) القرآن في شهر رمضان ،في كل عام مرة ،وانه عارضه عام وفاته مرتين،وكان رسول الله (ﷺ) يعرض مافي صدره على مافي صدور الحفظه الذين كانوا كثرة ،وكان اصحاب المصاحف منهم يعرضون القرآن على النبي (ﷺ) [٣].

عن الذهبي قال :ان الذين عرضوا القرآن على الرسول (ﷺ) سبعة (عثمان بن عفان ،علي بن ابي طالب ،عبدالله بن مسعود، ابي بن كعب ،زيد بن ثابت ،ابو موسى الاشعري ،وابو الدرداء)[٤] ،وكانت العرضة الاخيرة على مصحف زيد بن ثابت [٥].

ومن الادلة التاريخية على تدوين القرآن الكريم قصة اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند دخوله على اخته فوجد لديها صحيفة مكتوب فيها سورة الحديد وصحيفة اخرى مكتوب فيها سورة طه[٦] .

اما ماذكره ارفنج بان ابا بكر جمع القرآن الكريم لاسباب سياسية ليدس فيه مايخدم دولته ، فأن المصادر الاسلاميه قديمها وحديثها لم يظهر فيها خلاف حول الاسباب التي دفعت ابو بكر لجمع القران الكريم بين دفتين . عن الزهري عن عبيد بن السلف، ان زيد بن ثابت حدثه ، قال: ((ارسل الي ابو بكر فأتيته فأذا عمر بن الخطاب عنده فقال ابو بكر : أن عمر اتاني فقال لي ان القتل قد استُحر بالقراء يوم اليمامه ، واني اخشى ان يستحر القتل في القراء في المواطن كلها ... فارى ان يجمع القران))[١]. فهذه الرواية لم يكن عليها خلاف بين المؤرخين المسلمين ، وليس هناك مايبرر الشك والافتراض الا المعلومات السطحية التي اطلع عليها ارفنج بما يخص قدسية القران الكريم في نفوس المسلمين ،حيث لا يتجرأ احدا أن يغير ما نزل به الوحي عليه السلام، حتى الرسول(ﷺ) نفسه لم يكن له من الامر

---

[٣] ابن حجر ،احمد بن علي ،فتح الباري ،(تحقيق محمد فؤاد ومحب الدين الخطيب ،(بيروت ،١٣٧٩م) ،ج٩،ص٤٤.

[٤] ابن سعد ،المصدر السابق ،ج٢،ص١٩٥.

[٥] ابن اسحاق ،المصدر السابق ،ج٢،ص١٦١.

[٦] ابن هشام ،المصدر السابق ،ج٢،ص٢٤٢.

[١] ابن سعد ،المصدر السابق ،ج٢،ص٢٠٤.

شيء سوى التلقي والتبليغ ، فقد جاء في القران الكريم ﴿ولو تقول علينا بعض الاقاويل ، لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ [٢]. بمعنى لو تقول بعض الاقاويل الباطلة ويكذب علينا لاخذنا منه بالقوة والقدرة ثم لقطعنا منه نياط القلب [٣]. وكذالك لم يكن القران مخفيا على المسلمين حتى يضاف عليه او ينقص منه حسب ماتقتضي الحاجة ،وكيف يكون ذلك وكان المسلمون على عهد رسول الله ر يرقبون الوحي لحظة بلحظة حتى كان المسلمون الاوائل يتناوبون ملازمة الرسول (ﷺ) خوفا من ان ينزل الوحي ولم يحظروه فقد ذكر عن عمر رضي الله عنه ((كنت انا وجار لي من الانصار نتناوب النزول على رسول الله (ﷺ) ، ينزل يوما وانزل يوما ، فاذا نزلت اية يوما جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي واذا نزل فعل مثل ذلك))[٤] وذكر ابن سعد عن مجمع بن حارثة قال : ((كنا بصحبان راجعين الى المدينة فرايت الناس يركضون واذا هم يقولون : انزل على رسول الله ، فركضت مع الناس حتى توافينا عند رسول الله ، فاذا هو يقرا ﴿ انا فتحنا لك فتحا مبينا ...﴾ [٥] . هكذا يستقبل الوحي فتتلقفه الافئدة قبل الالسن والاقلام فيرسخ في الاذهان قبل الصحف ، ويتباشرون عند نزوله حتى يطلع عليه القاصي والداني ، ولشدة شغفهم بالوحي فالمسلمون لم يكونوا منذهلين وحزينين لوفاة الرسول (ﷺ) بقدر ما هم منذهلون وحزينون لانقطاع خبر السماء ((عن انس ان ام ايمن بكت حين مات رسول الله فقيل لها اتبكين ، فقالت : اني والله قد علمت رسول الله سيموت ولكني ابكي على الوحي الذي انقطع عنا))[١] .

وعلى ضوء ما سبق ذكره يتضح ان القرآن قد كتب على عهد رسول الله (ﷺ) وباشرافه وتحت توجيهه ، وكان كل ما يكتب يوضع في بيت رسول الله (ﷺ)،

---

[٢] سورة الحاقة ، اية ٤٦،٤٥،٢٤.

[٣] الطبري ، تفسير الطبري ، المصدر السابق، ج٣،ص٦٨.

[٤] الفاسي،المصدر السابق،ج١،ص١١٤.

[٥] سورة الفتح، من اية ١.

[١] الامام احمد ،المصدر السابق ،ج١،ص٤٦٦.

وينسخ الكتاب لانفسهم نسخة منه[٢]. اما مافعله ابوبكر رضي الله عنه فهو كما ذكر زيد ((فتتبعت القرآن اجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال))[٣]. فكانت من شروط زيد في جمع القرآن ان يتوفر شاهدان لقبول الايات القرآنية ، وهذا تسليما لامر ابو بكر حيث قال لعمر وزيد ((اقعدا على باب المسجد ، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه))[٤]. وكذلك اخرج ابن ابي داود قال : ((قدم عمر ، فقال : من كان تلقى من رسول الله (ﷺ) شيئا من القرآن فليات به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والالواح والعسب ، وكان لايقبل من احد شيئا حتى يشهد شاهدان))[٥].

من هذه الحيطة والحذر الشديدين عندما تقرر جمع القرآن يبدو انه من الصعب جدا افتراض عدد من الافتراضات البعيدة عن العقلانية والمنهجية العلمية ، ونقول ان القرآن الكريم ليس نفس القرآن الذي انزل على الرسول (ﷺ) ، وان ابا بكر اوعز بجمع القرآن لاسباب سياسية . اما تشكيك ارفنج في امكانية زيد فروايات المؤرخين المسلمين الاوائل اجمعت ان زيدا من جماع القرآن الاوائل وهو من اقرب كتاب الوحي الى نفس الرسول (ﷺ) حيث قال : ((من سره ان يقرأ القرآن رطبا فليقرأه كما يقراه ابن ام عبد يقصد زيدا))[١]. وقال (ﷺ) ((استقرؤا القرآن من اربع ، من ابن ام عبد وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة))[٢]. فلم يقع اختيار الخليفة على زيد لهذا المشروع العظيم امرا عشوائيا انما للمواصفات الخاصة التي تنسجم وذلك الواجب المقدس حيث قال له((انك رجل شاب عاقل لا نتهمك ، قد

---

[٢] الزركشي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٠٥.

[٣] السيوطي ، المصدر السابق،ج١، ص ٢٣٤ .

[٤] ابن الجوزي ،ابو الفرج عبد الرحمن بن علي،صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري ،ط٢،(بيروت،١٣٩٩هـ،١٩٧٩م)،ج١،ص٧٠٥ .

[٥] السيوطي،المصدر السابق ، ج١، ص١٢٠ .

[١] الطبري ، محب الدين احمد بن عبد الله ، الرياض النظرة ، دار الكتب المصرية ، (القاهرة ، ١٩٧٨) ،ج١ ، ص٣٥٦ .

[٢] الاصبهاني ،ابو نعيم ، حلية الاولياء ، ط٤،ج٤،(دار الكتاب العربي ،بيروت ،١٤٠٥هـ)، ص١٢٣ .

كنت تكتب الوحي لرسول الله (ﷺ) فتتبع القرآن واجمعه))[٣] . وقال الحافظ في الفتح لو لم تثبت امانته وكفايته وعقله لما استكتبه النبي ، انما وصفه ابو بكر بالعقل وعدم الاتهام دون ما عداهما ، اشارة الى استمرار ذلك له[٤].

قد تبين ان افتراضات ارفنج عن جمع القرآن في زمن ابي بكر(رضي الله عنه) انها لغاية سياسية بعيدة كل البعد عن الحقيقة ، وكذلك لتشكيكه بقدرات زيد وامكاناته في حفظ القرآن وكتابته عن الوحي ، وهذا يعكس بالنتيجة ان احكام ارفنج الكيفية واستنتاجاته الافتراضية هي حصيلة قراءاته للمؤلفات الاوروبية عن سيرة الرسول (ﷺ)وخاصة البريطانية المعتمدة على الاسلوب الكنسي في الجدل، وبشكل دقيق مؤلفات بريدو وسيل[٥]

.

المبحث الثالث

ارفنج وموضوع زوجات الرسول (ﷺ):

لم يترك ارفنج مسألة قد تعرض لها غيره من المستشرقين في سيرة الرسول (ﷺ) الا وابدى فيها رأيا يتناسب وتوجهاته ومفاهيمه التي كونها عبر مراحل حياته الادبية والتاريخية مضيفا لها قراءاته لكثير من المصادر الاستشراقية الاوربية .والمتتبع لفصول كتابه لايجد مشقة في معرفة تركيز الكاتب على زيجات الرسول (ﷺ) حيث حاول اظهارها بشكل لافت للنظر ،حتى افرد لها عناوين رئيسية في مقدمة فصوله .وشغل الكثير من الفصول في اظهار الزيجات على انها ميل ينم عن توجهات جنسية بحتة ، فقوله: ((ان عاطفة الجنس لها سطوة فوق كل المسائل على

---

[٣] الفاسي ، التراتيب الادارية،المصدر السابق ، ج٢ ، ص٨١ .

[٤] م،ن.

[٥] ينظر ، ناجي ، د. عبد الجبار ، الاستشراق والسيرة النبوية ، دراسات اسلامية ، العدد الاول ، السنة الاولى،(بغداد ٢٠٠٠ م)، ص١٠٠ .

محمد ...وكان محمد عند حضور انثى جميلة دائما يتلمس جبينه ويرتب شعره وكأنه قلقا لاظهار محاسنه ...وفي بعض احاديثه يبدو شهوانيا ...ويؤكد ذلك قوله –أي الرسول (ﷺ) – هناك شيئان تسرني في هذا العالم وارغبها ،النساء والعطور ،هذان الشيئان هما قرة عيني وتجعلني اكثر تحمسا في صلاتي))[١]، لقد اتجه ارفنج في دراسته لهذا الموضوع بما لايتناسب وغيرها من المواضيع التي تهم احداث السيرة النبوية .ويعود ذلك الى الدوافع الاولى التي مر ذكرها ،وربما هي انعكاسات نفسية نتيجة حرمانه من المشاعر العاطفية في بداية حياته بعد وفاة محبوبته وعزوفه عن الزواج كان له اثر في تطرفه وانسياقه مع اراء بعض مصادره وخاصة ما كتبه بريدو الذي كان قد ركز على هذه الجوانب خدمة لغرضه الجدلي الذي كان متمسكا به[٢].ويمكن القول ان ثقافة عصره المهتمة بالرومانسية وطغيان فكرة الشرق التخيلي والعجائبي كان لها نصيب في اثارته لهذا الموضوع بهذا الشكل .كما انه كاتب قصصي يهمه اثارة شغف قرّاءه فوظف بعض الحقائق التاريخية باسلوب رومانسي دون الاهتمام بدقة المعلومات[٣].

نستطيع ان نوزع الاولويات التي شدد عليها ارفنج والتي اثارت اهتمامه بسيرة النبي (ﷺ) . فهو ركز على موضوعين شاملين اساسيين لهما علاقة حيوية ومباشرة بالديانة الاسلامية وشخصية الرسول (ﷺ) وسجاياه .وقد يكون ارفنج وزعها على هذا الاساس حسب منهجيته في كتابه وقد لايكون كذلك لكننا افترضنا انها وزعت على هذا الشكل .فالمسألة الاولى التي ركز عليها ارفنج اكثر من غيرها في سيرة الرسول (ﷺ) هي النبوة والوحي وهما موضوعان ظلا مهمين ومركزيين في الكتابات الاستشراقية على وجه التحديد وقد تطرقنا لها في المباحث السابقة .اما المسألة الثانية التي تدخل في التركيب الداخلي للرسول (ﷺ) وسجاياه وصفاته الاخلاقية هي تعدد زوجاته وهذا ايضا يعد من المواضيع التي تكررت في الكتابات الاستشراقية بشكل عام .وعند مقارنة اراءه في هذين الجانبين يتبين لنا مدى عمق المؤثرات الخارجية في اراء ارفنج سواء كتابات المستشرقين ومؤلفاتهم او المفاهيم الشائعة التي سيطرت على العقلية الاوربية وحدها، السبب في الارتباك والتشويش في

---

(١) Irving,L.M,Op,Cit,P.231.

(٢) Holt,Op,Cit,p.301.

(٣) Obeidat,Op,Cit,p.33.

تحليلاته وتفسيراته حول سيرة الرسول (ﷺ) ،بل التكوين الذاتي لشخصية ارفنج الدينية والادبية والعاطفية لاتقل اثرا عن اثارة المغمور النفسي لديه منعكسة على رؤيته في التحليل والاستنتاج .

ولايخفى ان الشبهات والمطاعن في المصادر التي اعتمدها عن الرسول (ﷺ) صادرة من منبع واحد وبسبب دافع واحد وقد تطابقت في نقاط محددة يمكن اجمالها ببشرية الرسالة الاسلامية واعتماد الرسول (ﷺ) على تعاليم الديانات السابقة ،وان الوحي والقرآن من امهات افكاره ،وكلها تتعلق بالرسول كنبي [١]. وكذلك يظهر تطابق ارائهم حين يذكرونه انسانا ،فيتهموه بالسوداوية او ينتابه الصرع ،ويؤمن بالسيف وإراقة الدماء ،اضافة الى انحرافاته العاطفية [٢]. الا انهم تفاوتوا في تضخيم جانب من تلك الشبهات على سواها.

فما اطلع ارفنج عليه من مناظرات ومجادلات ضد الاسلام ونبيه قد تركت اثرها في كتابه (حياة محمد)،غير ان رومانسيته كأديب وكاتب قصصي غلفت تلك الآراء بخيالات تزيد من انشداد قارئه شغفا بالمتابعة والاسترسال ،إلا انها لم تحضى بارساء حقائق جديدة او اراء مقارنة يخلص من خلالها الى استنتاجات تميزه عن اسلافه او معاصريه من المستشرقين[١].

هنا يبدو ان الفهم التقليدي السيء عن الرسول (ﷺ) كإنسان لم تتجاوز افتراءات بريدو ومارجيني وأوكلي،باتهام الرسول (ﷺ) بحب الجنس محاولة منه توظيف الروايات المغرضة خدمة لشبهات مسلّم بها مسبقا[٢] . ان ارفنج في موضوع زوجات الرسول (ﷺ) قد اضاف لمعلومات مصادره حسا خياليا ابعده عن الحقائق وزاد في تناقضاته، فقد ذكر ((ان عاطفة الجنس لها سطوة على الرسول فوق كل

---

[١] الطيباوي ، المستشرقون الناطقون بالانكليزية ، المصدر السابق ، ص ٢٧١؛غلاب ،محمد ،نظرات استشراقية في الاسلام ،دار الكتاب العربي،(القاهرة ،١٩٨٢م)،ص٤٨؛ لطفي، عمر ،المستشرقون والقرآن،مركز دراسات العالم الاسلامي ،(القاهرة،١٩٩١م)،ص٤١.

[٢] Gibb,H.A.,Mohammedanism,(Philadelphia,Pennsylvinia University,Press,1962) p.23-24 ؛حمدان ،نذير ،الرسول في كتابات المستشرقين ،ط٢،(دار المنار ،جدة ،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)،ص٥٥.

[١] علي، محمد كرد ، الاسلام والحضارة العربية ، (لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٨) ص٦٦-٦٧.

[٢] ناجي ،د. عبد الجبار ،حوار مع موضوع الاستشراق وعلاقته بالتبشير ،مجلة دراسات اسلامية ،العدد ٧ ،(بغداد ،١٤٢٢هـ-٢٠٠١م).

المسائل))[٣]. ويستدل على استنتاجه هذا برواية محرفة لاتمت الى الحقيقة بصلة حيث يذكر ((كان محمد عند حضور انثى جميلة دائما يتلمس جبينه ويرتب شعره وكأنه قلقا لاظهار محاسنه))[٤].ويدعم استدلاله السابق عند عرضه رأيه وهو ((في بعض الاحاديث يكون –رأي الرسول –شهوانيا))[٥](In some repects he was a voluptuary).واورد حديثا ارجعه الى الرسول (ﷺ) اعتقد به حكما قاطعا بصحة ماذهب اليه ((Ther are two things in this world'' would he say , which delight me: women and perfumes, these two things rejoice my eyes , and render me more fervent in devotion!!))[٦]. يقصد ارفنج بذلك،الحديث الشريف الآتي ((حدثنا ابو بكر اخبرنا عثمان حدثنا سلام ابو المنذر عن ثابت بن انس قال : قال رسول الله(ﷺ) حُبِبَ الّي من دنياكم النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة))[٧] ويعتقد ارفنج بما ذكره ان ((تطرف الرسول في الوضوء،واستعماله للعطور، والتزين ،ودهن شعره ،يحتمل ان بروز هذه العذوبة او الرائحة للناس سيعتقدها اتباعه انها معجزة))[٨].

يبدو ارفنج في هذا الموضوع يعتمد التحليل فقط دون الاستناد الى مصدر توثيقي ، والا كيف نفسر النظافة والطهارة وحسن المظهر ، تكون كما يرى دليلا على رغبة جنسية . فالاسلام دينا يؤكد على الطهارة والنظافة ، كما لا يخفى ان الشريعة الاسلامية اهتمت ببناء جوهر الانسان ومظهره ، وهناك الكثير من الايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد هذا الجانب ،قال تعالى﴿**قل من حرم زينة الله التي**

---

[٣] Irving,L.M,Op,Cit,P.231.

[٤] Ibid.

[٥] Ibid.

[٦] Ibid.

[٧] ابن حمبل ،الامام احمد ،مسند ،المصدر السابق ،ج٦، ص٢٢٦.

[٨] Irving,L.M,Op,Cit,P.231.(ان بعض هذه الفقرات التي مر ذكرها كان الاستاذ الخربوطلي قد غفل عن ترجمتها والبعض الاخر ترجمها بصيغة ابعدتها عن المعنى الذي قصده ارفنج اذ اختصرها بعبارة قصيرة قال= =فيها:(فقد كان الرسول يحرص على استعمال العطور ،فيعطر رأسه دائما بنوع من الزيت له رائحة عطرة).ينظر ،ترجمة الخربوطلي لكتاب ارفنج (Life of mahomet)،ص ٢٩١، ويقابلها النص الانكليزي في ص ٢٣١ اوكما ورد في المقاطع المشار اليها اعلاه.

اخرج لعباده والطيبات من الرزق ،قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ [١] .وقال تعالى ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولاتسرفوا﴾ [٢].

عن محمد بن بشار ، حدثنا ابو عامر العقدي ، حدثنا خالد بن الياس عن صالح بن ابي حسان قال : ((سمعت سعيد بن الميسب يقول عن رسول الله (ﷺ) : ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب الجود ، فنظفوا افنيتكم وساحاتكم))[٣] وروي ان عثمان بن مظعون بايع في عشرة من اصحاب رسول الله (ﷺ) فعزموا ان يلبسوا المسوح ويهيموا في الصحراء ولا يأتوا بيوتهم ولا يأكلوا اللحم ولا يغشوا النساء ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، فجاء الى دار عثمان بن مظعون ، فلم يجده ، فقال لامراته : ما حديث بلغني عن عثمان ، وكرهت ان تفشي سر زوجها او ان تكذب رسول الله (ﷺ) فقالت : يا رسول الله ان كان قد بلغك شيء فهو كما بلغك ، فقال : قولي لعثمان : اخلاف لسنتي ام على غير ملتي ؟ اني اصلي وانام واصوم وافطر واغشى النساء وآوي البيت واكل اللحم ، فمن رغب عن سنتي فليس مني ، وفي رواية اخرى قال (ﷺ): ((يا عثمان ان لاهلك عليك حقا وان لجسدك عليك حقا ..يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا ، أما لك في اسوة حسنة ؟ فوالله اني اخشاكم لله واحفظكم لحدوده))[١] . وفي صحيح البخاري ، قال (ﷺ): ((كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة))[٢] . ((وعن ... قال انس : وكان رسول الله (ﷺ) يكثر دهن رأسه ولحيته ويكثر القناع وكان يحب الترجل ، وكان يرجل نفسه تارة وترجله عائشة تارة))[٣]

---

[١] سورة الاعراف،من الآية ٦٥.

[٢] سورة المائدة ،اية ٧٢.

[٣]ابن حنبل، المصدر السابق ،ج٦،ص٢٢٦.

[١] البخاري ،المصدر السابق، ج٥،ص٢١٨١.

(٢) المقدسي، ابن قدامة عبدالله ابن احمد ،المغني ،ط١،(بيروت ،١٤٠٥هـ)،ج٣،ص٧٧.

[٣] البخاري،المصدر السابق،ج٥،ص٢١٨١.

وهناك الكثير من الاحاديث التي وردت عن الرسول (ﷺ) تهتم بالنظافة والزينة وتؤكد على عدم الاسراف والغلو احتراما للعفة ومراعاة للاخلاق القويمة.

والذي يثير الاستغراب ان ارفنج في هذا الموضوع قد كشف ليس فقط عن سطحية معلوماته في السيرة النبوية ، بل عن ضحالة الاستنتاج والاستدلال وعمق الاضطراب النفسي والعاطفي عنده . ان حكمه المسبق بسيطرة الرغبات الجنسية على الرسول (ﷺ) دون مبرر سوى روايتين ، الاولى ، ليس لها من الواقعية شيء سواء في كتب السيرة او كتب التاريخ المتقدمة منها والمتأخرة ، فقوله عند حضور انثى جميلة ، يتلمس الرسول (ﷺ) جبينه ويرتب شعره ويبدو عليه القلق بشأن مظهره.

اما الرواية الثانية : فهي حقيقة لا غبار عليها الا انه صاغها بعبارات تخرجها عن حكمتها التي ارادها الرسول (ﷺ) ، كذلك تاويله البعيد عن المنطق والحصافة يدفعنا ان نقدم الانسياق مع افكار غيره وخاصة كتابات (همفري بريدو) المملوءة بالضغينة والكره لشخص الرسول الكريم (ﷺ) في مؤلفه (الطبيعة الحقيقية للدجل والمتمثلة بشكل كامل في حياة محمد) [٤].

فالحديث ذكر بصيغة المبني للمجهول ((حُبّب إلي من دنياكم)) أي انه لا خيار له بذلك (ﷺ) ، بل من الله سبحانه وتعالى ، وفي هذا مجالين ، الاول ، ان الرسول (ﷺ) يريد من ذلك ان يرفع من مكانة المرأة ويعظم قدرها ، وخاصة انها الفطرة السليمة التي فطر الله عليها بني ادم[١] ، حيث قال تعالى ﴿ **ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [٢] .

---

[٤] Holt , Op Cit , P.302.

[١] البيهقي،ابو بكر احمد بن الحسين ،سنن البيهقي الكبرى ،تحقيق عامر احمد حيدر ،ط٣،(بيروت ،١٩٩٦م)،ج٢،ص١٢٨.

[٢] سورة الروم،من الآية ١٣.

ان سنة الرسول (ﷺ) ، اصل من اصول الدين وطاعتها كطاعة القرآن ، وكذلك بما تحويه من جانب تربوي اجتماعي [٣].فعندما يصرح الرسول (ﷺ) بمحبة النساء فهو الزام للمجتمع الاسلامي بذلك.اما تحليل ارفنج للحديث على اساس جنسي ،فانه تحليل غير منطقي ويبتعد عن الواقع ، والا اصبح حب النساء من الابتذال والتهتك ، ولا يليق بالرجل السوي ذو المكانة الاجتماعية المقبولة ، لانه حسب وجهة نظر ارفنج النساء خلقن للجنس فقط ، ولا يمكن النظر اليهن الا من هذه الزاوية .

ولم يتوقف ارفنج عند هذا الحد ، بل ذهب باستنتاجه ان حب الرسول (ﷺ) للطيب وكثرة استخدامه ما هو الا احد اساليب الاستدراج لخديعة اتباعه بان هذا العطر هو معجزة من معجزاته الالهية التي تفرد بها عن غيره من ابناء قومه.

والراجح ان ارفنج في هذه الاراء قد وقع تحت تاثير كتابات (سيل) الذي اعتاد على اقتناص الروايات وتاويلها بغرض توجيه المطاعن الى الرسول (ﷺ) وخاصة زيجاته (ﷺ) [٤]، دون تمحيصها او تدقيقها اوالاشارة الى مراجعها ، خلافا لما فعل فيما اخذه من (فايل) حول موضوع كيفية تلقي الرسول (ﷺ) للوحي، كذلك يتضح عمق التناقض بين ما اكده في هذه المسالة وما ذهب اليه في راي اخر حيث قال: ((ان الرسول لم يدع أي معجزة غير القرآن))[٥]،بينما يحاول في هذا التحليل الوصول الى ان الرسول (ﷺ) يبحث عن اظهار الطيب وكأنه معجزة ينفرد بها . كذلك ان اسراف ارفنج في التحليل والاستنتاج دون الاحاطة بالمصادر الاسلامية ،كان سببا جوهريا في انحداره مع المنزلقات التي وقع فيها غيره من المستشرقين القدامى والمحدثين ،وحقا فقد ظهرت هذه المؤثرات في موضوع زيجات الرسول (ﷺ) بشكل واضح وملموس ، فقوله: ((ان سماحه لنفسه بالاكثار من الزيجات

---

[٣] السباعي ،مصطفى ،السنة مكانتها في التشريع ،(بيروت ،١٩٨٦م)،ص٥٩؛ الخطيب ،محمد عجاج ،اصول الحديث وعلومه،(القاهرة ،١٩٨٢م)،ص١٩.

[٤] اربري، المصدر السابق، ص١٦.

[٥] Irving,L.M,Op,Cit,P.231.

لاشباع شهوته ،زاعما تحقيق امنيته بانجاب انبياء لقومه))[1]. هذا القول المختلق والتبرير الواهي الذي اراد به ارفنج ان يثبت شهوانية الرسول (ﷺ) لكثرة زيجاته لم تذكره المصادر العربية الاسلامية ولم تنقل شيئا عن ذلك حتى من الذين ناصبوا الرسول (ﷺ) العداء في بداية الدعوة سواء من المشركين او المنافقين.كذلك ان الذي ورد في القرآن الكريم يخالف هذا الادعاء بشكل صريح اذ قال تعالى: ﴿ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [2] فكيف يبرر الرسول (ﷺ) زيجاته بما يخالف القرآن الكريم ؟

ان موضوع زواج الرسول (ﷺ)هو الموضوع ذاته الذي انشغل المستشرقون في دراسته واخضاعه للمناقشة حسب منهجهم الاستشراقي الذي لايتلاءم طبعا والمنهج الاسلامي .وانهم وارفنج احدهم ،يهدفون الى تجريد الرسول (ﷺ) من أي علاقة برسالة سماوية ،وانه مجرد فرد كاي فرد في المجتمع العربي الاسلامي. ولذلك فان النتائج التي يخرجون بها تظهر متأثرة كليا بواقع الفرد الاوربي .متغافلين عن مسألة جوهرية واساسية في تطور العقيدة الاسلامية[3]. فمنطق حوادث تاريخ السيرة النبوية اصدق شاهد على تكذيب هذه الادعاءات.

ان زواج الرسول (ﷺ) ابتدأ بخديجة بنت خويلد رضي الله عنها والتي كان فيها الرسول (ﷺ) في عز الشباب وريعان الفتوة وكمال الرجولة بينما كانت خديجة ارملة لزوجين هما مالك بن النباش وعتيق بن عائل المخزومي علما بانها قد ناهزت الاربعين من عمرها ،وانجبت الاولاد والبنات من زواجيها الاول والثاني [1]،وظلت خديجة معه (ﷺ) ثمانية وعشرون سنة دون ان يفكر في غيرها ،سبعة عشر سنة قبل البعثة واحدى عشر سنة بعد البعثة ،مع العلم انه (ﷺ) لم يعش له

---

(1) Irving,L.M,Op,Cit,P.232.

(2) سورة الاحزاب ،من الآية ٤٠.

(3) علي،جواد، المصدر السابق،ص١٠.

(1) ابن سعد ،المصدر السابق ،ج٨،ص١٥؛ الزبيري ،الزبير بن بكار ،المنتخب من كتاب ازواج النبي ،تحقيق سكينة الشهابي ،(بيروت،١٤٠٣هـ)،ص٣٣.

الا البنات[٢]،وان نساء الجاهلية لم يكن عليهن حجاب ،بل يتبرجن ويبدين زينتهن التي حرمها الاسلام فيما بعد ،وان تعدد الزوجات امر شائع بين العرب في ذلك العهد ،وان الكثير من العوائل يرغبون بالارتباط به لما عرفوه عنه من الاخلاق الحميدة ، فاذاً كل الظروف مهيأة له (ﷺ) ولم يمنعه من الزواج الا عزوفه عنه لانه لم يجد في تلك الحقبة ضرورة لذلك ،فلو كان كما وصفه ارفنج بالجنسية لما رضي بالزواج من ارملة بلغت الاربعين من عمرها ولم يرض ان تكون شريكة حياته الوحيدة مدة ثمانية وعشرون سنة حتى توفيت رضي الله عنها دون ان يقترن بغيرها ،الا ان ضرورة الدعوة الى الدين الجديد اقتضت الزواج باكثر من واحدة لمبررات اجتماعية وسياسية وتشريعية دون التفكير في مايتعلق بالجنس ، والدليل على ذلك فان زوجاته بعد خديجة كلهن ثيبات عدا عائشة رضي الله عنها ،فزواجه بـ(سودة بنت زمعة العامرية) لم يكن لجمالها ولا لجاذبيتها بل جبرا لخاطرها وانسا لوحشتها بعد وفاة زوجها (السكران بن عمرو) حيث كانت في سن كبير وليس لديها مايرغب به الرجال ،حتى انها وهبت يومها لغيرها من زوجات الرسول لكبر سنها [٣].فزواجه (ﷺ) منها علاجا لمشكلة اجتماعية فحسب.

ولم يكن زواجه (ﷺ) من عائشة رضي الله عنها مايدلل على ماذهب اليه المستشرقون ،بيد انه (ﷺ) رأى فيه منافع للدعوة الاسلامية وتوثيق عرى الجماعة ، وخاصة ان اباها ابو بكر رضي الله عنه له المكانة الكبيرة في نفس الرسول (ﷺ) واثر فعال في الدعوة الى الدين الجديد ،وكذلك كان زواجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بعد وفاة زوجها (خنيس بن حذافة) اكراما لابيها ورصا لوحدة صفوف الجماعة ،كما فعل بتزويجه لابنته فاطمة رضي الله عنها من علي رضي الله عنه ،وابنته ام كلثوم من عثمان بن عفان رضي الله عنه [١].

---

[٢] ابن حجر ،المصدر السابق ،ج٧،ص٦٠٠.

[٣] ابن سعد ،المصدر السابق ،ج٤،ص٢٠٤.

[١] ابن سعد ،المصدر السابق ،ج٤،ص٢١٦.

ولم يكن زواجه من الاخريات الا من اجل خدمة الدعوة الاسلامية ولتأكيد التشريعات الجديدة وترسيخها في النفوس واعطاءها اهمية واثرا كبيرا في المجتمع الجديد بعيدا عن تصورات وتحليلات معظم المستشرقين ،فزواجه من ام سلمة رضي الله عنها بعد وفاة زوجها ولها منه بنين وبنات [٢] وكذلك من جويرة بنت الحارث رضي الله عنها التي كانت مما افاء الله على رسوله فاعتقها وتزوجها[٣] ، وتزوج بصفية بنت حيي بنت اخطب بعد ان اعتقها ليؤكد (ﷺ) ان الدين الجديد يعطي للانسانية دورا متساويا ولا يفرق بين الاَمة والحرة ،كذلك حتى لايكون حرج لدى الامة الاسلامية ، بالاضافة الى كفالة وايواء الارامل واليتامى ومواساتهم.

فان كان الرسول (ﷺ) يبغي الجمال لاختار مايشاء من اجمل النساء حسنا وشبابا ونظرة ،ولما تردد احد في رفض ذلك ،ولم يكن زواجه (ﷺ) بعد خديجة الا بعد سن الخمسين والذي لم يبق فيه للحب والجنس دورا كما هو في سن الشباب والفتوة ،واما ادعاء ارفنج بانه سمح لنفسه تعدد الزوجات دون غيره من اتباعه ففيه الكثير من الشطط والجهل بالتسلسل الزمني للتشريع الاسلامي ،فقد نزلت اية تحديد الزواج باربع في اواخر السنة الثامنة للهجرة [٤] ،حيث قال تعالى ﴿**فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع** ...﴾[١]واما قبل نزول هذه الاية فكل المسلمين مسموح لهم الزواج بما شاؤوا وليس فقط الرسول (ﷺ) الذي سمح لنفسه بذلك ،واما بعد هذه السنة فلم يتزوج الرسول (ﷺ) [٢].

ولا يخفى ان تعلق ارفنج بالقصص العاطفية بالاضافة الى معتقداته الدينية التي تحرم تعدد الزوجات ،قد شاركت في جنوح افكاره وارائه عن الحقيقة العلمية والموضوعية [٣] وحقا فقد ظهرت هذه المؤثرات في موضوع زواج الرسول (ﷺ)

---

[٢] م.ن،ج،ص٢٠٤.

[٣] م.ن.ص٢٠٦.

[٤]ابن هشام ،المصدر السابق ،ج٢،ص١٣٤.

[١] سورة النساء ،من الآية ٣.

[٢]ابن هشام،المصدر السابق ،ج٢،ص١٣٨.

[٣] Pochman,Op.Cit, P.546.

بشكل واضح وملموس وخاصة زواجه (ﷺ) من زينب بنت جحش رضي الله عنها ،والتي سأكتفي بمناقشة اراء ارفنج من خلالها وذلك لما ابداه ارفنج من اهتمام حول ذلك الزواج الذي عدّه مصداقا لارائه وتصوراته عن شبقية الرسول (ﷺ) .

من الميسور لقاريء كتاب ارفنج تشخيص الاخطاء التي وقع فيها عند سرده للقصة التي اعتمدها وسوف اذكر الرواية كما وردت في المصادر العربية الاسلامية ،واناقشها من كل جوانبها بعد تسجيل ما زعمه ارفنج حيث ذكر.

((ذات يوم دخل النبي بيت زيد بكامل حرية الاب الذي يدخل بيت ابنه .وكان زيد غائبا ،وزينب التي كانت متزوجة جديدا في البيت .وهي ابنة لـ(جحش) من (كعبة) ،وهي اجمل بنات قبيلتها. ولخصوصية وجودها في بيتها كانت متجاهلة لحجابها ،وانفرج شيء من ملابسها وانكشفت مفاتنها مما اوقفت نظرة محمد بدخوله المفاجيء .لم يستطع الاحجام عن الاعجاب والاستحسان ،وهي صامته ، لكنها اخبرت زوجها كل ما حصل عند عودته ،زيد يعرف حساسية الغرام عند محمد ،ورأى ان محمدا فتن بجمال زينب ،سارع بالتبرؤ منها واهداها له ،لكن النبي حرمها لان ذلك مخالف للقانون ،حماسة زيد لم تكن لتختبر ؛هو احب زوجته الجميلة ولكنه وقر النبي ،وطلقها دون أي تاخير وبعد انصرام المدة الشرعية ،محمد قَبِل هذه التضحية الورعة مع الامتنان. ان زواجه من زينب فاق بزهوه وبهائه كل زيجاته من الاخريات ،وكانت ابوابه مفتوحة لكل القادمين .وقد اقام وليمة من لحوم الاغنام والخراف ،مع كيك من الشعير ،والعسل ،والفاكهة ،وشرابه المفضل ؛هكذا اكلوا وشربوا وغادروا – انتُقِد هذا الطلاق والعرس المخجل))[1].

لم ينتحل ارفنج هذه القصة وان لاقت هوى في نفسه ،الا ان المهم في طريقة عرضها ،وقد عرضها قبله مستشرقون اخرون بالاضافة الى انها قديمة قدم المواجهة بين الاسلام واعداءه من الصليبيين وغيرهم[2].

---

[1] Irving,L.M,Op,Cit,P.132.

[2] الالمعي، زاهر عوض ،مع المفسرين والمستشرقين ،(بيروت،١٩٨٢م)، ص٢٢-٢٥.

فلا يكاد مستشرق كتب عن حياة الرسول (ﷺ) الا وتناول هذه الرواية بكثير من الغمز والطعن على كذب دعوة الرسول (ﷺ) وان كان الكثير منهم لم يستثن أي زواج من زيجات الرسول (ﷺ) دون التجريح والاساءة واثارة الشكوك [٣]،ولكن بقيت قصة زينب بنت جحش هي القصة المفضلة لدى المستشرقين فاضفوا عليها من استار الخيال حتى جعلوها قصة غرام وولع [٤].

فزينب بنت جحش التي الف عليها ارفنج تلك القصة هي زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن داود بن اسد بن خزيمة الاسدية [٥].وامها اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي [٦].بنت عمة رسول الله (ﷺ) .وكان اسمها (برة) فسماها رسول الله (ﷺ) زينب ،وتكنى ام الحكم [٧].كانت دينة، ورعة، عابدة، كثيرة الصدقة ،قالت عائشة رضي الله عنها : ((مارأيت امرأة قط خيرا في الدين واتقى لله واصدق حديثا واوصل للرحم واعظم امانة من زينب بنت جحش))[١].وكانت تفتخر على سائر ازواج الرسول (ﷺ) فتقول ((زوجكن اهلوكن وزوجني الله من السماء))[٢]. توفيت سنة(٢٠ هـ) وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت في البقيع [٣].هاجرت مع الرسول (ﷺ) الى المدينة ممن هاجر معه.وبعد ثلاث سنوات من الهجرة خطبها

---

[٣] عبد الرحمن ،عائشة ،بيت النبوة ،(بيروت،١٩٦٨م)،ص٣٢٢.

[٤] هيكل ،محمد حسين ،حياة محمد ،ط١٣،(مصر ،١٩٦٨م)،ص٣٢٢.

[٥] ابن خياط ، خليفة ، تاريخ خليفة بن خياط، (تحقيق، د.اكرم ضياء العمري، دارالعلم، دمشق،١٣٩٧هـ)، ص١٤٣.

[٦] ابن سعد،الطبقات ،المصدر السابق ،ج٨،ص١١٤.

[٧] م.ن.

[١] ابن خياط، خليفة بن خياط ،تاريخ ،تحقيق اكرم ضياء العمري ،ط٢،(الرياض،١٤٠٢هـ،١٩٨٢م)،ص٢١٦.

[٢] ابن اسحاق، المصدر السابق ،ص١١٥.

[٣] ابن سعد،المصدر السابق ،ج٣،ص٤٣.

الرسول (ﷺ) على زيد بن حارثة فقالت : ((يارسول الله لاارضاه لنفسي ،وانا آيم قريش ،قال :فاني قد رضيته لك)) [٤].

وكانت امرأة زاهدة ،فقد روي ان عطاءها من بيت المال في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغ اثني عشر الف درهما ولم تاخذه ،الا عاما واحدا ، حمل اليها اثني عشر درهم تقول :اللهم لايدركني قابل هذا المال فانه فتنه ،ثم قسمته في اهل رحمها وفي اهل الحاجة حتى اتت عليه ،فبلغ عمر فقال :هذه امرأة يراد بها خير ،فوقف على بابها وارسل بالسلام ،وقال :قد بلغني مامزقت ،فارسل اليها بالف درهم تستبقيها ،فسلكت بها الطريق الاول نفسه [٥].

وتوفيت رضي الله عنها وكانت كما اخبر رسول الله (ﷺ) اول نسائه لحوقا به ،وكان عمرها ثلاث وخمسون سنة [٦] ، ولما توفيت رضي الله عنها قالت عائشة :ذهبت حميدة فقيدة ،مفزع اليتامى والارامل [٧].

رغم ان بعض المصادر الاسلامية قد ذكرت هذه الرواية الا ان الكثير من المؤرخين والمفسرين قد وقفوا امامها موقفا مخالفا ،فمنهم من ذكرها وفندها،ومنهم من اضرب عنها صفحا بعد الاشارة الى ضعفها ونكارتها .

قال ابن العربي بعد ان ذكر ملخص هذه الروايات ،وبين عصمة النبي(ﷺ) : هذه الروايات ساقطة الاسانيد [١] .

وقال القرطبي بعد ان ذكر التفسير لما كان يخفيه (ﷺ) ،وما الذي كان يخشاه من الناس :وهذا القول احسن ماقيل في تأويل هذه الآية ،وهو الذي عليه اهل التحقيق من المفسرين والعلماء الراسخين ،كالزهري والقاضي بكر بن العلاء القشيري

---

[٤] ابن هشام ،المصدر السابق ،ج٣،ص٨٨.

[٥] م،ن،ج،ص٨٩.

[٦] ابن كثير ،اسماعيل بن كثير الدمشقي ،تفسير القرآن العظيم ،دار الفكر (بيروت ،١٤٠١هـ)،ج٣،ص٤٨٩.

[٧] م.ن.

[١] القاضي اسماعيل،المصدر السابق ،ج٣ ،ص١٥٤٣.

والقاضي ابي بكر بن العربي وغيرهم .فأما ماروي ان النبي (ﷺ) هوى زينب امرأة زيد وربما اطلق بعض المجان لفظ عشق ،فهذا انما صدر عن جاهل لعصمة النبي (ﷺ) ،او مستخف بحرمته [٢].وقال ابن كثير :ذكر ابن ابي حاتم وابن جرير هاهنا اثارا عن بعض السلف ،احببنا ان نضرب عنها صفحا لعدم صحتها فلا نوردها [٣].

وقال ابن حجر :ووردت اثار اخرى اخرجها ابن ابي حاتم والطبري ونقلها كثير من المفسرين لاينبغي التشاغل بها [٤].

ويذكر جميعهم في تفسير قوله تعالى ﴿واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفي في نفسك ماالله مبديه ،وتخشى الناس والله احق ان تخشاه ،فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا﴾ [٥].

جاء زيد يشكو الى الرسول (ﷺ) زوجته ،فجعل النبي (ﷺ) يقول :اتق الله وامسك عليك زوجك،فالسبب في طلاق زيد لزينب ومن ثم زواج النبي (ﷺ) منها ؛هو ماكان بين زيد وزينب من خلافات ،وانه لم يكن بينهما وئام يؤمل معه ان تبق الحياة الزوجية بينهم ،فطلقها بمحض اختياره ورغبته ،وكان رسول الله (ﷺ) ينهاه عن ذلك ،وقد كان الله عز وجل قد اعلم نبيه (ﷺ) ان زيد سيطلق زينب ،وانه ستكون زوجة له ،وانه (ﷺ) كان يخفي هذا ويخشى من مقولة الناس ،انه تزوج مطلقة من كان يدعى اليه ،فعاتبه ربه على ذلك [١].

الا ان المستشرقين يحاولون دائما اصطياد الروايات الضعيفة والموضوعة لتوظيفها بما يخدم اغراضهم المعادية للاسلام ونبيه (ﷺ) .كما اعتمدوا هذه الرواية للتقليل من شأن الرسول (ﷺ) وصوروها مجرد نزوة جنسية قد تأججت في نفس

---

[٢] القرطبي ،المصدر السابق،ج١٤، ص١٩١.

[٣] ابن كثير ،المصدر السابق،ج٣ ،ص٤٩٢.

[٤] العسقلاني ،احمد بن علي بن حجر ،فتح الباري ،تحقيق محمد فؤاد –محب الدين الخطيب ،دار المعرفة ،(بيروت ،١٣٧٩هـ)،ج٨،ص٥٢٤.

[٥] سورة الاحزاب ،اية ٣٧.

[١] ابن العربي ،المصدر السابق، ص١٤٦ ؛القرطبي ،المصدر السابق ،ج١٤،ص١٨٩-١٩٠ ؛ابن كثير ،المصدر السابق ج٢،ص ٧٨؛ابن حجر ، المصدر السابق ،ج٣ ،ص ٤١١-٤١٢؛البخاري ،المصدر السابق ،رقم ٧٤٢.

الرسول (ﷺ) ،لرؤيته المزعومة لمفاتن ابنة عمته [٢]،التي لايمكن تصديقها لكل من يعرف نزاهة وعفة وزهد وعظمة الرسول (ﷺ) ، حتى وان لم يكن الكاتب او القارئ مسلما ، فهذا (مونتكمري واط) يصرح بنفي تلك المغالطة بقوله ((ليس من المبالغة القول بان جميع زيجات الرسول كان لها هدف سياسي ...وبالرغم من القصص العاطفية ، من البعيد ان يكون محمد (ﷺ) قد اسر بمفاتن زينب الجسدية)) [٣].

ويتضح ان الارادة الالهية قد قضت ان يتزوج الرسول (ﷺ) من مطلقة ابنه بالتبني ، وعليه ان يتحمل هذه المسؤولية كما تحمل غيرها وان كانت في نفسه اثقل من اذى قريش في بداية الدعوة [٤] .

وعلى الرغم من عدم الانسجام بين زيد و زينب خلال فترة زواجهما التي فاقت السنة [٥]، والذي يبدو ان سببه الشعور الطبقي الذي صعب على زينب ان تزيله من نفسها ، ولربما لقرب المسافة بين اسلامها و بين موروث الاباء و الاجداد ، فكانت النتيجة ان طلقها زيد ، الا ان الرسول (ﷺ) ظل كاتما في نفسه ما اعلمه الله به من زواجه بزينب ، فقد ذكر الامام الزهري ((نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه و سلم يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ...))[١].

الا ان ماذهب اليه ارفنج ربما كان متأثرا بالمصادر التي اعتمد عليها من المستشرقين الذين حاولوا فهم ماقاله المنافقون والمرجفون في زواج النبي (ﷺ) من انه خرج مرة اخرى عن عادات الاباء والاجداد ،فكيف يتزوج حليلة ابنه بالتبني ،فجاءهم الرد من الله سبحانه وتعالى ﴿وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ۞ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم

---

[٢] هيكل ،محمد حسين ،المصدر السابق،ص٣٢٢.

[٣] واط، مونتكمري ، محمد في المدينة،ترجمة شعبان بركات ،المكتبة العصرية ،(بيروت،بلا ت)،ص ٥٠٤-٥٠٥ .

[٤] هيكل ،المصدر السابق ،ص٣٢٣.

[٥] ابن هشام ،المصدر السابق،ج٢،ص٣١٣.

(١)القاسمي ، المصدر السابق، ج ١٣، ص ٤٨٦٩ ؛ القرطبي ، المصدر السابق،ج١٤، ص ١٩٠.

تعلموا ابائهم فاخوانكم في الدين ومواليكم ﴾[٢] وقوله تعالى ﴿ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾[٣].

يتضح من ذلك ان زواج النبي (ﷺ) لم يكن مبعثه العاطفة كما صوره بعض المستشرقين ،بل هو التشريع الذي يقرن دائما الوحي القرآني بالسنة التطبيقية العملية ،ليكون له قوة الردع والتأثير في التغيير ،وخاصة اذا حصل التغيير على يد الرسول (ﷺ) فكان ادعى لقبولهم واسرع لحسم تلك الظاهرة الاجتماعية التي غيرت الكثير من الحقائق وحرمت الكثير من الحقوق ،وفي اكثر الحالات المهمة المتجذرة في النفوس حاول الرسول (ﷺ) اذا دعى الى شيء طبقه على نفسه او على اقاربه وخاصته ،وخير شاهد على ذلك فان الرسول (ﷺ) نادى في حجة الوداع بحرمة الربا حيث كان منتشرا في البيئات الاجتماعية الجاهلية بشكل خطير، فالرسول (ﷺ) اتبع سياسة الحكمة بازالة هذه الحالة المستشرية فبدأ باقرب الناس اليه فقال ((اول ربا اضعه ربا عمي العباس))[٤] ،وكذلك اول دم وضع هو دم (ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب)حيث قال رسول الله (ﷺ) (وان كل دم في الجاهلية موضوع ،وان اول دمائكم اضع دم ابن ربيعة بن الحارث[*])[٤].

---

[٢] سورة الاحزاب ،من الآية ٤-٥.

[٣] سورة الاحزاب ،اية ٤٠.

[٤] ابن هشام ،المصدر السابق،ج٦،ص٩.

[*] كان مسترضعا في بني ليث فقتلته هذيل .ينظر،الطبري،تاريخ ،ج٢،ص١٤٢.

[٤] ابن هشام ،المصدر السابق، ج٦،ص٩.

المصادر والمراجع

أ-المصادرالاولية

- القرآن الكريم
- ابن اسحاق ،محمد ابن اسحاق ابن يسار ت١٥١هـ٧٦٨م.

-سيرة ابن اسحاق ،تحقيق محمد حميدالله ،معهد الدراسات والابحاث للتعريب ، بلا ت).

- الاصبهاني ،ابو نعيم احمد بن عبد الله،ت٤٣٠هـ/١٠٣٨م.

-حلية الاولياء ، (ط٤،دار الكتاب العربي ،بيروت،١٤٠٥هـ) .

- البخاري، محمد بن اسماعيل ، ت٢٥٦هـ/٨٦٨م.

-صحيح البخاري،(ط٣،تحقيق مصطفى ديب ، بيروت ،١٤٠٧ هـ،١٩٨٧م).

- البيهقي،ابو بكر احمد بن الحسين ، ت٤٥٢هـ/١٠٦٠م.

-سنن البيهقي الكبرى ،(ط٣،تحقيق عامر احمد حيدر ،بيروت ،١٩٩٦م).

- ابن الجوزي ، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ،ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م.

-صفوة الصفوة ،(ط٢تحقيق محمود فاخوري،دار المعرفة ،بيروت ،١٩٧٩م).

- ابن حبان،محمد بن حبان بن احمد البستي،ت٣٥٤هـ/٩٦٥.

-صحيح ابن حبان ،(ط٢،تحقيق شعيب الارنؤط ،بيروت، ١٤١٤هـ،١٩٩٣م).

- ابن حجر ،احمد بن علي العسقلاني ،ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م.

-الاصابة في معرفة الصحابة ،(ط١،تحقيق علي محمد البجاوي ، بيروت،١٤١٢هـ،١٩٩٢م).

-فتح الباري ،(تحقيق محمد فؤاد ومحب الدين الخطيب ،بيروت ،١٣٧٩م).

- ابن حنبل ،احمد بن محمد ،ت٢٤١هـ/٨٥٥م.

-مسائل الامام احمد ،(ط١،تحقيق د.فضل الرحمن دين محمد،دلهي ،١٩٨٨م).

- ابن خياط ، خليفة ،ت٢٤٠هـ/٨٥٤م.

– تـاريخ خليفـة بـن خيـاط، (ط٢،تحقيـق، د.اكـرم ضـياء العمـري، دارالعلـم، دمشق،١٣٩٧هـ).

- الزبيري ،الزبير بن بكار ،ت٢٥٦هـ/٨٦٩م.

–المنتخب من كتاب ازواج النبي ،(تحقيق سكينة الشهابي ،بيروت،١٤٠٣هـ).

- ابن سعد ، محمد بن سعد بن منبع ،ت٢٣٠هـ/٨٤٤م.

– الطبقات الكبرى ،(ط٢،تحقيق ، زياد محمد منصور ،مكتبة العلوم ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨).

- السهيلي ،عبد الرحمن بن عبدالله ،ت٥٨١هـ/١١٨٥م.

–الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ،(تحقيق مجدي منصور الشورى ،بيروت،١٤١٨هـ–١٩٩٧م)،عدد الاجزاء ٤.

- السيوطي، ابو الفضل جلال الدين بن عبدالرحمن،ت٩١١هـ/١٥٠٥م.

– الخصائص الكبرى،(دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م).

- الطبري ، محب الدين احمد بن عبد الله ،ت٦٩٤هـ/١٢٩٤م.

– الريـاض النظـرة ،(تحقيـق عيسـى عبـد الله محمـد ،دار الكتـب المصـرية ، القاهرة ، ١٩٧٨)، عدد الاجزاء ٢.

- الطبري،محمد بن جرير ،ت٣١٠هـ/٩٢٢م .

–تاريخ الطبري ، (تحقيق محمد حميد الله ، دار الفكر،بيروت،١٤٠٥هـ)، عدد الاجزاء ٥.

- الفاكهي ،محمد بن اسحق ،ت٢٥٧هـ/٨٧٠م.

–اخبار مكة،(ط٢،تحقيق ،د.عبد الملك عبد الوهاب ، دار خضر ، بيروت ، ١٤١٤هـ).

- الفاسي ،عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني،ت١٣١٢هـ/١٨٩٤م.

–التراتيب الادارية ،(دار الكتاب العربي ، بيروت ،١٩٩٦م).

- ابو الفداء ،عماد الدين اسماعيل ،ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م.

–المختصر في اخبار البشر ،(مط الحسينية المصرية،القاهرة،بلا ت).

- القاضي ،اسماعيل بن اسحاق ،ت

-احكام القرآن ،(بيروت،١٩٧٤م).

- القرطبي ،محمد بن احمد ،ت٦٧١هـ/١٢٧٢م.

-تفسير القرطبي ،(ط٢،تحقيق احمد عبد العليم البردوني ،القاهرة،١٣٧٢م)،عدد الاجزاء ٢٠.

- ابن كثير ،اسماعيل بن كثير الدمشقي ،ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م.

-تفسير القرآن العظيم ،(دار الفكر، بيروت ،١٤٠١هـ)،عدد الاجزاء ٤.

- مسلم ،الامام مسلم بن الحجاج ابو الحسين ،ت٢٦١هـ/٨٧٤م.

-صحيح مسلم ،(تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،بيروت ،١٩٨٢م) ، عدد الاجزاء ٥.

- المقدسي، ابن قدامة عبدالله ابن احمد ،ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م.

-المغني ،(بيروت ،١٤٠٥هـ)، عدد الاجزاء ١٠.

- ابن منظور، محمد بن مكرم ،ت٧١١هـ/١٣١١م.

-لسان العرب ،مختار الصحاح.عدد الاجزاء ١٥.

- ابن هشام ،عبد الملك بن هشام ،ت٢١٣هـ/٨٢٨م.

-السيرة النبوية،(تحقيق ، طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل،بيروت،١٤١١هـ)،عدد الاجزاء ٦.

- اليعقوبي ،احمد بن يعقوب ،ت٢٩٢هـ/٩٠٤م.

-تاريخ اليعقوبي ،(دار صادر ،بيروت ١٩٩٧م).

ب-المراجع العربية والمعربة

- احمد ،د. كمال مظهر .

-كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى ،ط٢،(بغداد ،١٩٨٤م).

- امين ،احمد محمود، وزكي نجيب .

-قصة الفلسفة الحديثة ،(ج١، القاهرة ،١٩٥٩)

- اربري .أ.ج.

-المستشرقون البريطانيون ، (ترجمة محمد الدسوقي،لندن،١٩٤٦).

- ارفنج .أ.لينارد .

- من عصر الاكتشاف الى عصر الذرة ،(ترجمة فؤاد جميل، القاهرة ، ١٩٥٨م) .

- الالمعي، زاهر عوض .

-مع المفسرين والمستشرقين ،(بيروت،١٩٨٢م).

- انطونيوس ،جورج .

-يقظة العرب ،ترجمة علي حيدر الركابي ،(دمشق ،١٩٤٦).

- باوغ كارل.

-وليم بن ...مؤسس مراكز الاستيطان ،(ترجمة نيقولا جورج ،بيروت ،١٩٥٦).

- برايس ،جيمس .

-المؤسسات والنظم الامريكية ،(ترجمة انيس صايغ ،الدار الشرقية للطباعة والنشر ،بيروت ،١٩٦٤م).

- بروجان د.و.

-الشخصية الامريكية تكوينها ومقوماتها ، (ترجمة زهدي جارالله ، دار اليقظة العربية ، بيروت ،١٩٦٤م) .

- البهي ،محمد .

-الفكر الاسلامي وصلته بالاستعمار الغربي، (ط٥، بيروت ،١٩٧٠).

- التميمي، د.عبد الملك خلف .

- التبشير في منطقة الخليج العربي، دراسة في التاريخ الاجتماعي والسياسي،ط٢(الكويت،١٩٨٨).

- توماس.أي.

-العلاقات الدوبلوماسيه الامريكيه مع الشرق الاوسط، (ترجمة دار طلاس للدراسات والترجمه والنشر ،دمشق،١٩٨٥م) .

- جب ،هاملتون .

-دراسات في حضارات الاسلام ،ترجمة احسان عباس ،(بيروت،١٩٧٩م).

- جبر ،جميل.

-الادب الامريكي في مختلف عصوره (دار الثقافة،بيروت،بلا ت).

- جرنباوم .

-في كتابه اسلام القرون الوسطى ،(دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٦م).

- جعيط ،هشام .

-اوربا والاسلام ،(ترجمة د. طلال عتريسي ،دار الحقيقة ،بيروت ،١٩٨٠).

- جوستن بيركنس .

- رحلة عبر شمال العراق، ١٨٤٩ ، (ترجمة ،د.سيار الجميل ،المورد ، المجلد ١٨ ، العدد ٤ ،بغداد ، ١٩٨٩) .

- جيمس برايس .

-المؤسسات والنظم الامريكية .

- حتي،فيليب د.

-دراسة المشرقيات في اوربا ،(مجلة الهلال،العدد ٣٣،)١٧٥،١٩٨٢.

- حمدان ،نذير .

-الرسول في كتابات المستشرقين ،ط٢،(دار المنار ،جدة ،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

- حميش ،سالم .

-الاستشراق في افق انسداده ،ط١ ،(الرباط ،١٩٩١م).

- حوراني ،البرت .

-الفكر العربي في عصر النهضة، (ترجمة كريم عسقول ،بيروت ،دار النهار ،١٩٦٨م).

- الخطيب ،محمد عجاج .

-اصول الحديث وعلومه،(القاهرة ،١٩٨٢م).

- خليفة ،محمد .

-ازمة الاستشراق ،(الرياض ،١٩٨٧).

- خليل ، د. مصطفى .

-التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ، (القاهرة ، ١٩٧٤) .

-،تطور الصراع نحو السيطرة على اليترول العالمي ،(الاسكندرية،السنة بلا ت).

- خليل ،د.عماد .

-المستشرقون والسيرة النبوية ،مجلة ،مناهج المستشرقين ،مج ١ ،(بغداد ،٢٠٠٠م).

- دانجر فيليد،جورج .

-حرب مستر ماديسن ،مط شفيق (بغداد ،١٩٥٨م) .

- الدباغ ، د.تقي واخرون .

- طرق التنقيبات الاثرية ، (بغداد ، ١٩٨٣م).

- الدعمي ،محمد .

-في جذور الاستشراق الامريكي ،مجلة شؤون اجتماعية ،العدد٢٤ ،(بغداد ،١٩٩٤م) .

- دوران ،دانيال .

-الاحتكارات البترولية وسياستها الدولية (ترجمة ،وليم خوري ، بغداد).

- ديفيد سون، فيليب .

-رائدا الحرية (ادمس وبين) ،(ترجمة نظمي لوقا ،بغداد ،١٩٥٨م).

- رؤوف ،سعاد .

-التغلغل الامريكي في العراق ،رسالة دكتورا غير منشورة ،(بغداد ،١٩٩٥م) .

- رايت ، بويس.

- تجربة في الاستعمار، (ترجمة طوني يوسف، بيروت،١٩٥٦).

- رودنسون ،مكسيم .

-جاذبية الاسلام ،(ترجمة الياس مرقص ،بيروت ،١٩٨٢م).
-الصورة الغربية والدراسات الغربية الاسلامية، بحث في تراث الاسلام (تحقيق د. شاكر مصطفى ، الكويت، ١٩٧٨).

- زيادة ،فرحات .

-تاريخ الشعب الامريكي (برنستون ،١٩٤٦).

- سافيل ماكس ،روجر وليمز .

-اقلية مؤلفة من واحد ،(مط شفيق ،بغداد١٩٦٤م).

- السباعي ،مصطفى .

-السنة مكانتها في التشريع ،(بيروت ،١٩٨٦م)

- سذرن .

-نظرة الغرب الى الاسلام في القرون الوسطى ،(ترجمة د. علي فهمي و د. صلاح الدين حسن ،دار مكتبة الفكر ،طرابلس ،١٩٧٥).

- سعيد ، ادورد .

-الاستشراق ،المعرفة،السلطة،الانشاء،(ترجمة،كمال ابو ديب،ط١،مؤسسة الابحاث العربية ،بيروت،١٩٨١).

- الطعمة ،د.صالح جواد .

-التلقي الامريكي للادب العربي ،ا مجلة الاستشراق ،العدد ٢ ،(بغداد ،١٩٨٧م).

- الطيباوي ،عبداللطيف .

-المستشرقون الناطقون بالانكليزية و مدى اقترابهم من حقيقة الاسلام ،(الفكر العربي ،١٩٨٣،ع ٣٢).

- عبد الرحمن ،عائشة .

-بيت النبوة ،(بيروت،١٩٦٨م).

- عبد الملك ،انور .

-الاستشراق في ازمة، مجلة الفكر العربي المعاصر، عدد٣٢ ،١٩٧١م .

- عثمان،عوض.

-العلاقات الليبيه الامريكيه ،(مركز الحضاره العربيه للاعلان والنشر،الجيزه ،١٩٩٥م).

- العربي ،اسماعيل .

-مقدمة كتاب قصر الحمراء لارفنج.

- عزيز ، يوئيل يوسف .

- اللغات الشرقية وادابها في القرن السابع عشر في انكلترا (مجلة الجامعة ، السنة السادسة، عدد١، ١٩٧٥م).

- علي، محمد كرد .

- الاسلام والحضارة العربية ، (لجنة التاليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٨).

- غارودي، روجيه .

-دعوة الى الاحياء ،(ترجمة د. ذوقان قرقوق ،دار دمشق،١٩٨١).

- غلاب ،محمد .

-نظرات استشراقية في الاسلام ،دار الكتاب العربي،(القاهرة ،١٩٨٢م)

- فروخ ،عمر.

- التبشير والاستعمار في البلاد العربية (ط٥، المكتبة العصرية،بيروت،١٩٧٣).

- فولناي.

-رحلة الى سوريا ومصر ،(باريس،١٨٢١).

- قاشا سهيل .

-المستشرقون الانكليز،الاستشراق،عدد٢،(بغداد،١٩٨٧م) .

- كارليل، توماس.

-الابطال ،ترجمة محمد السباعي ،دار الكتاب العربي،بلا ت.

- كولنجود.

- فكرة التاريخ (ترجمة محمد بكر خليل،١٩٦٨).

- لطفي، عمر .

-المستشرقون والقرآن،مركز دراسات العالم الاسلامي ،(القاهرة،١٩٩١م).

- لورانس ، ايج ، جبسون .

– حضارة العالم الجديد ،(ترجمة فؤاد جميل ، ط١ ،بغداد،، ١٩٥٨).

- لوريمر ج .ج .

–امريكا وعمان ،١٨٣٣–١٩٨٠ دور عمان في استراتجيتي نيكسون وكارتر ،(ترجمة مركز البحوث والمعلومات ،المجلد الاول) .

- لويس،برنارد.

–تاريخ اهتمام الانكليز بالعلوم العربية،ط٢،ص،٣–٧.

- ماكس، ليرنرا.

– الفكر والحياة في الولايات المتحدة، (ترجمة راشد الراوي، القاهرة، ١٩٦٦) .

- محسن محمد حسين و د. عبد الرحمن حسين العزاوي .

– منهج البحث التاريخي ،(بغداد ، ١٩٩٢) .

- محمود ،د. احمد محمود صبحي.

– فلسفة التاريخ،(القاهرة، ١٩٨٢م)

- مطبقاني، د. مازن .

–في الاستشراق الامريكي المعاصر ،(ط١ ،الرياض،١٩٩٩).

- ناجي ، د. عبد الجبار .

– الاستشراق والسيرة النبوية ، دراسات اسلامية ، العدد الاول ، السنة الاولى،(١٤٢٠ –٢٠٠٠).

–موقف الاستشراق الامريكي من دراسة المدينة العربية الاسلامية ،(مجلة الاستشراق ،عدد١ ،١٩٨٧).

–حوار مع موضوع الاستشراق وعلاقته بالتبشير (مجلة دراسات اسلامية ،بغداد ،عدد٧ ،٢٠٠١).

- نوار،عبد العزيز سليمان.

– تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا،(القاهرة ،١٩٦٨).

- الهلالي، عبد الرزاق.

-تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني،(بغداد،١٩٧٥م).

- هولت ،ب . م.

-من رواد الدراسات العربية في انكلترا ،ادورد بوكوك ١٦٠٤-١٦٩١،(ترجمة يوئيل يوسف عزيز ،مجلة الاستشراق ،ع ٢،١٩٨٧).

- هونكه ،زيغريد .

-شمس العرب تسطع على الغرب ،(ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ،دار الافاق الجديدة ،بيروت ١٩٨١).

- هيكل ،محمد حسين .

-حياة محمد ،ط١٣،(مصر ،١٩٦٨م).

- واط، مونتكمري .

- محمد في المدينة ،ترجمة شعبان بركات ،المكتبة العصرية ،(بيروت،بلا ت).
- محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات ،المكتبة العصرية ،(بيروت،بلا ت).

- وايتني ،فرنسيس .

- موجز التاريخ الامريكي ،(مؤسسة طباعة الالوان المتحدة ، القاهرة ، بلا ت)،.

- ويلسون ،جورج ،اف .

-من عصر الاستكشاف الى عصر الذرة ،(بغداد ،١٩٥٨م).

- ويليس ، ويجر .

- الادب الامريكي ، (ترجمة د. نظمي لوقا ، دار المعارف ، القاهرة ، بلا ت) .

- ويليسون ،جورج .

-قراءة الحجاج ،(ترجمة فؤاد جميل ،بغداد ،١٩٥٨)،.

- يانوش دانتسكي .

- الاستشراق بين الشرق والغرب ، (ترجمة عدنان المبارك ، مجلة الاستشراق ، عدد ١ ، ١٩٨٧).

ج–المصادر والمراجع الاجنبية

- Abdul Razzak

-The Arabian Nights in America:A General Survey ,(Orientalism ,3, Baghdad ,1989).

- Addison, James Thayer

-The Christaim Appoach to The Moslem, (New York,1942).

- Alfred M.Hitechcock

-Life of Irving,(U.S.A.,by the Berwick and Smith Co.,1928).

- Allen,Frederick Lewis

-The Big chang, America transfoms itself(Harper and brothors , 1952).

- Arberry

-Oriental Essays(London, Allen and Un win, 1960).

- Beard Charles A.

-The Beard's New Basic History of The United States,(Doubleday and Company,Inc.,1960).

- Bowers cloud

-The Spanish Adventures of W.I.,(Boston,H.Mifflin,1940).

- Bragdon,Henry Wilkinson

-History of a free people,(The Macmillan company,1961).

- Breach Leonard

-W.I.The Artist in a changing world,(University of kansas,1948).

- Brooks Van Wyck

-The World of W.I.,(New yourk ,Doubleday,1944).

- Carl T.Jackson

-The Oriental Religions and American thought: Nineteenth–Century Explorations(Westport, connecticut: Greenwood Press, 1961).

- Carter Harold Dean

-W.I. Sunside(New yourk ,Knof,1957).

- Collins, Concise

-Encyclopedia, (London, Peerage Books, 1985).

- Denovo ,John, A

-American in terests and Policies in The Middle Easy 1900-1939 ,(Winnepolis ,1963).

- Duncan B. Macdonald

-A Bibliographical and Literary Study of thee First Appearance of the Arabian Nightsn Europe,(The Literary Quarterly, 1832).

- E.E,Calverley,

-Review of Zewemer,(Moslem World, 1952).

- Earle,Edward Mead

-Turkey, The Great Powers and the Baghdad railway, A study in Imperialism, New yourk.

- Elsiel

-W.I.As Biographer,(Columbia University,1965).

- Emerson, Ralph Waldo

-The Complete Works Of Emerson , (Boston, Mifflin And Company ,1954).

- Foerster, Norman

-American Poetry and Prose, (4th Ed., Houghton Mifflin Company, 1957).

- Franklin, John Hope

-From Slavery To Freedom ,(Alfred A, Kmopf, 1956).

- Fuck J

-Islam as an Historical problem in Europian History, (London, DSOAS,1962).

- Gabrieli, F.

-Muhammed and the couquests of Islam)london, 1968).

- Gibb,H.A.

-Mohammedanism,(London, 1957).

- Helman , George

-W.I Ambassador , at large from new world to the old ,(New York ,knof, 1925).

- Henry A.Pochman and E.M.Feltskoy:

-Historican note ,(london,1970).

- Hofstadter, Richard

-United States The History Of a Republic, (Prentice-Hall, Inc.,1957).

- Hurewitz, J.G.

-Middle East Dilemmas The Background of United states policy,(New Yourk,1953).

- Irving ,Pierre M

-The life and letters of washington Irving,vol,1,(New york,putnan,1862).

- Larkin, Oliver Waterman

-Art and Life in America, (Ed.,Henry Holt and Company,Inc.,1960).

- Layard, A.H

-Discoveries in Nineveh and Babylon(London, 1853).

- Makdisi, G.

-Arabic and Islamic Studies in the Honour of H.A.R. Gibb(Lieden ,E.J Brill,1965).

- Morison,Samuel Eliot and Commager,Henry Steele

-The Growrh of the American Republic,(4th Ed.,Oxford University,Press,1950).

- Morris, Richard Brandon

-Encyclopedia of American History (2nd Ed.,Harper and brothers,1961)

- Muhsin Jassim Ali

-Nineteenth-Century Criticism of the Arabian Nights ,(Ph. D. dissertation , Dalhousie University, 1978).

- Mukhtar Ali Isani

-The ORIENTAL Tale in America through 1865 : A study in American Fiction (Ph. D. dissertation, Princeton University, 1962).

- Muzzey , David

-Our contry's history , (Ginn and company , 1961).

- N.Daniel

-Isalm and The West (Edinburgh, Edinburgh University Press, 1962).

- Nevins Allan

-The pocket History of The United States, (Washington Square Press,. Inc.,1960).

- Obeidat, Marwan M.

-Washington Irving and Spain,(Intermational Journal of Islamic and Arabic Studies, No,4, 1987).

- P.M, Holt

-The Treatment of Arab History by Prideaux Ockley and Sale in ,History of The near and Middle East in The University of London (London, 1962).

- Parkes, Henry Bamford

-The United States of America; A History, (2nd Ed .,Alfred A. Knopf).

- Pochman Henry A

-Historical note ,(Madison, London, 1970).

- Pochman Henry

-W.I.,representative selections,(New yourk,American book,1934).

- Polk, W.,R.

-Sir Hamilton Gibb Between History and Orientalism, (Jmes ,1974).

- Prideaux H.

-Life of mahomet,(London,1723).

- R.Bell

-The Origins of Isalm in its Christian Enivornment, (London Frank Cass and Cold, 1926).

- R.Southern

-Western Views of Islam in the midlle ages (Combridge Mass. Harvard University press ,1962).

- Raw Laurence

-American Literature and Orientalism ,(Journal of American Studies, No,9, 1999).

- Reichter Walter

-W.I. and Germany,(University of Michigan Press,1957).

- Savelle,Max,A

-Short History of American Civilization,(The Dryden press,1957).

- Scott, P.J.M.
-Reality and Comic Confindence in Charles Dickens . (london and Basingstokes, 1979).
- Southern, R.
-Western Views of Islam in the midlle ages,(Cambridge, Cambridge University press:1962).
- Tor Audrae, Mohammed:
-The man and his faith, (London ,Gearge Allen and Unwin, 1956).
- W.C.Smith
-Islam in Modern History (Princeton, Princeton University,Press ,1957).
- W.Irving
-Life Of Mahomet, (New York, 1944,).
- Slamajundi, (New Yourk, 1894).
-life of George Washington,(New yourk,G.Putnam,1855).
-prefact of sketch book,(U.S.A.,Boston,1936).
- Wadsworth, Henry
-Bibliographical and Critical Notes(Boston and New York, 1891).
- William L.Hedges, W.Irving an Amarecan study 1802-1832, (Baltimore, 1965).
- William R. Polk
-The United States and the Arab Worid(Cambridge, 1975).
- Willis ,Wager
-American Literature, New York,University
- Zewemer ,S.M.
-Arabia the Cradlr Of Islam ,(New york, 1900).

Abstract

The subject of orientalism is not a private project, but it is a cooperating establishment according to the different countries to which these orientalists belong, according to the different languages they are speaking , and according to the different policies of the states to which they belong .

The establishment is still characterized-behaind that-with fixed features in its treatment with the Islamic heritage . This is obyious in the American orientalism which is an extension of the European orientalism in all of its aspects, divisions and directions, due to its scientific prospects, colonialism and missionary expeditions. Although of the bloody wars which were initiated on the new world land among European states, they did not affect the unified point of view towards the East, especially the subject of the honest prophetic biography. Muslims from Arab origin are the centre of the studies of the European and American Orientalists the same.

The American orientalism was coming later on after the European orientalism due to the novelty of the American history or the rise of the European colonies in America; then, the brith of United States, and the depending of the American orientalism at the beginning on the European heritage, all of its literature and the ideas that accompanied it, the conceptions, and the imaginations towards Arabic and Islamic East, its heritage, its human being, its culture.

That literature which has accumulated since medieval centuries and through competition and military struggles, but that did not prevent the United states to attract much of the European orientalists with their different nationalities to work in the field of the American orientalism which has had the first place in the orientalist conferences especially after the second world war when the middle east arouse as a region of strategic and economic importance in the political considerations.

No collision or contrast tookplace between the European and American orientalism, but the second was in integration with the first, and this is obvious in the opinions, ideas, and the conceptions of the European and American orientalists.

For example, we find that Irving in his book The life of Mahomet confirms that the prophet was not looking for wealth, prestige,

honour, and supremacy because head really all of these specifications. He said : nothing remains but the belief in daydream. We find that the French orientalist depends on the same analysis. Montgomery Watt followed them in this opinion as he wrote in his book Mahomet in micca, he said : Mahomet was true because he imagined that he was sent as a prophet, he carried a massage and he was inspired. Not only that but they agreed in all the subjects by which they concentrated on the marriage of the prophet and took divinity from Christianity and Judaism and that he was influenced by Bahira the monk. So , it seemed that the unified point of view was a question on which the orientalists did not differ. That question facilitated the movement of European to America, then it was established several centers for research and study under the administration of the European orientalists who interested in the same subject. They had the same discourse language. This unified point of view emerged from the unified cultural background.

In the light of the previous notes, the American orientalism is considered as the extention of the European orientalism and a stage in its developing stages. The contemporary orientalism is considered as a final resultant for the reaction between these tow orientalism. Embodied this reaction between these two orientalism. He depended on the European orientalists to be aware of the Arabic and Islamic heritage, as well as, he got benefit from the European references in his writing about the prophet biography.

The most important point in the modern American orientalism is the movement from the interest in the traditional subjects about Islam to the subjects and studies which is related to the political, religious, economic, and social reality of the eastern peoples.

This dangerous change indicates to the absence of the traditional centres of orientalism and the emergence of what is called the centres of regional character which interests in the political and economic affairs of the middle East countries or just one country. They are called regional or territorial studies and this is an American orientation because American does not have a huge traditional orientalist heritage so that the American orientalism can be called as a contemporary orientalism.

AMERICAN ORIENTALISM AND THE PROPHETIC BIOGRAPHY

A THESIS

SUBMITTED TO THE COUNCIL OF THE
COLLEGE OF EDUCATION
THE UNIVERSITY OF TIKRIT
IN PARTIAL FULFILLMENT OF THE
REQUIREMENTS FOR THE DEGREE
OF MASTER OF ISLAMIC HISTORY

BY
SAMI AHMED ZAHAO

SUPERVISED BY
PROFESSOR
ABDUL JABBAR NAJI

2004 A.D 1425 A.H